القديس أثناسيوس الرسولي والكتاب المقدس



د.جورج عوض إبراهيم

دكتوراه في العلوم اللاهوتية - جامعة أثينا

باحث بالمركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية

القديس أثناسيوس الرسولي والكتاب المقدس

د.جورج عوض إبراهيم
دكتوراه في العلوم اللاهوتية ـــ جامعة أثينا
باحث بالمركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية

اسم الكتاب : القديس أثناسيوس الرسولي والكتاب المقدس

اسم المؤلف : د. جورج عوض إبراهيم

اسم الناشر georgeibrahim2257@yahoo.com

اسم المطبعة : جي سي سنتر، ١٤ ش محمود حافظ - سفير - مصر الجديدة -
ت : ٢٦٣٣٨١٣٧

رقم الإيداع :٢٠١٣/٥٩١٣

الطبعة الأولى : مارس ٢٠١٣م

الطبعة الثانية المنقحة : نوفمبر٢٠١٣م



قداسة البابا الأنبا تواضروس الثاني

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



فهرس المحتويات

مقدمة ٩

الفصل الأول : آباء الكنيسة ومعلميها ١٥

الآباء والتقليد (التسليم) : ١٥

١- مصطلح أب ومعلم: PATHR KAI DIDASKALOS ١٨

٢- عمل الآباء والكُتاب الكنسيين ودوافع هذا العمل: ١٩

٣- الآباء صاغوا التعاليم الإيمانية بواسطة استنارة الروح القدس : ٢٢

٤- الحقيقة الإلهية وعمل الآباء التعليمي: ٢٣

(أ) بصفة عامة: ٢٣

ب - عطاء الأب والمعلم هو توسع ونمو في المعرفة الإلهية وليس تطورا وتغييراً لها: ٢٧

ج -الآباء دخلوا إلي "الشيء المستتر" أو إلي"البهاء المتوارى" في النصوص الكتابية: ٢٨

٥- الأرثوذكسية والآباء: ٣٢

٦- المراحل المتتالية في عمل الأب والمعلم: ٣٢

أ - الخبرة التامة والشاملة للحق الإلهي : ٣٢

ب - التعبير عن خبرة الحق: ٣٣

ج - تأييد الحق الذي يعبر عنه وإملاءه: ٣٣

٧ - البيئة الفكرية الكلاسيكية وعلاقتها بالآباء (البنيه . الشكل . الحق): ٣٤

٨-الفرق بين الآباء والفلاسفة: ٣٨

٩- التربية والآباء: ٤٠

خصائص لكتابات الآباء ترجع إلي عوامل أخري: ٤٢
١٠-الآباء والمجامع الكنسية: ٤٣
١١- الآباء وتاريخ الفكر البشري: ٤٤
١٢- فهم وتفسير كتابات الآباء: ٤٤
١٣-أهمية كتابات الآباء بالنسبة لنا: ٤٧
علم الآباء في إطار كل التعاليم اللاهوتية ٤٨

الفصل الثاني : لمحات من حياة وتعاليم القديس أثناسيوس ٥١
أولاً : لمحات من حياة القديس أثناسيوس ٥١
العوامل التي أثرت على شخصية القديس أثناسيوس: ٥٣
بعض كتابات القديس أثناسيوس ٥٤
العصر الذي عاشه القديس أثناسيوس ٥٧
ملامح العصر الذي عاشه القديس أثناسيوس ٥٧
ثانياً : لمحات من تعاليم القديس أثناسيوس ٦٤
تعليم أريوس و ((الولادة الطبيعية)) للابن بحسب القديس أثناسيوس : ٦٦
١. أدخل آريوس بداية الزمن في حياة الثالوث الأقدس ٦٦
٢. الولادة الطبيعية للابن بحسب القديس أثناسيوس ٦٦

الفصل الثالث : الإيمان المستقيم بألوهية الإبن ٦٩
الإيمان الصحيح بألوهية الابن: ٦٩
الإبن بحسب الآريوسيين ٧٠
رد القديس أثناسيوس: الابن أزلى وغير مخلوق ٧٠
الكلمة والخليقة ٧٢
البنوة الالهية غير البنوة البشرية ٧٤

خطورة أن نقول إن الإبن مخلوق من العدم ٧٥

الابن الوحيد والثالوث ٧٦

خصائص الآب هي نفسها خصائص الإبن : ٧٨

الفصل الرابع: القديس أثناسيوس الرسولي مُفسّرًا للكتاب المقدس .. ٧٩

أ . قيمة عمل القديس أثناسيوس التفسيري: ٨٠

شخص المسيح وتفسير الكتاب : ٨٤

التفسير الكتابي و " الهدف الكنسي ": ٨٨

نموذج تطبيقي لتفسير القديس أثناسيوس للكتاب المقدس: ٩٠

الفصل الخامس: شرح القديس أثناسيوس لبعض النصوص الكتابية .. ٩٥

أولاً: فيلبي ٢ :٩، ٩٥

تفسير الآريوسيين : ٩٥

رد القديس أثناسيوس : ٩٦

براهين كتابية أخرى ٩٨

ثانياً : شرح نصوص: عب ٣ :٢ .... ١٠٣

رأي الآريوسيين : ١٠٣

رد القديس أثناسيوس : ١٠٣

ثالثاً : شرح نصوص: يو١٤ :١٠ .... ١٠٧

رأي الآريوسيين : ١٠٧

رد القديس أثناسيوس : ١٠٧

رد القديس أثناسيوس على أستيريوس المدافع عن رأي الهراطقة : ١٠٨

رد القديس أثناسيوس: ١٠٩

رابعاً : شرح نصوص: يو١٧ :٣ .... ١١٣

رأي الآريوسيين : ١١٣

رد القديس أثناسيوس : ١١٣

خامساً : شرح نصوص: يو١٠ : ٣٠، يو١١:١ .... ١١٦

رأي الآريوسيين : ١١٦

رد القديس أثناسيوس : ١١٦

براهين كتابية أخرى : ١١٩

إدعاء آخر للآريوسيين : ١٢٢

رد القديس أثناسيوس : ١٢٣

براهين كتابية أخرى : ١٢٣

المقصود بأداة ''كما'' أي كمثال : ١٢٦

سادساً : مقدمة لشرح آيات من الأناجيل عن التجسد ١٢٨

الآلام الخلاصية : ١٣٤

خاتمة : كيف أقرأ الكتاب المقدس آبائياً ؟ ١٣٥

١- أقرأ الكتاب ككل لا يتجزأ ١٣٥

٢- إقرأ الكتاب خريستولوجياً أي على ضوء الإيمان المستقيم ١٣٦

٣- أقرأ الكتاب المقدس داخل الكنيسة جسد المسيح ومجتمع الشركة ١٣٩

٤- أقرأ الكتاب ضمن حياة الصلاة والعبادة والممارسات الروحية :.... ١٤١

مقدمة

يؤكد عالم الآباء كريستوفير هول[1] Christopher A. Hall على أن الآباء يؤكدون على قائمة طويلة من الشروط والاقتراحات التي ظلت من ثوابت الأرثوذكسية في المسيحية. هذه الثوابت بصفة خاصة هي: الاعتقاد بالله كثالوث وباللاهوت الكامل والناسوت الكامل لشخص المسيح، وبالفعل المؤثر لفداء وخلاص موت المسيح على الصليب، والسلطان المطلق للكتاب المقدس، وبالحالة الساقطة للبشرية وبأهمية المعمودية والشركة المقدسة (سر التناول أو الافخارستيا)، وبالأهمية البالغة للصلاة والحياة الروحية المنضبطة. إن الإيمان أو الاعتقاد بهذه الأمور والتي أعلنها الآباء بشكل نهائي، لا رجعة فيه حتى إن كانوا قد أعلنوها بطرق مختلفة، ستستمر علامة مميزة وفارقة للمسيحية حتى هذا اليوم .

كان الآباء . كما يقول Christopher A. Hall . جادين كلاهوتيين، لكن تكريسهم بالأساس كان للرعاية وكانت دعوتهم كرعاة داخل الكنيسة. وكثيرون منهم كانوا أساقفة ورؤساء. إن تفسيرهم للكتاب المقدس كان يتمتع بتأكيد راعوي ملحوظ، وإهتمام رعائي بارز وعملي إلى أقصى درجة. إن انعكاسات تفكيرهم على الثالوث والتجسد الإلهي كانت تمتزج بشكل أساسي وبشكل رصين بين النظرية والتطبيق بشكل لا يبارى. فهُم كرعاة للكنيسة كانوا وهم يُعَلِمون ويصلون ويكرزون يضعون احتياجات الكنيسة وهمومها في قلوبهم وشخصيتهم، ورسالتهم كآباء كانت لا تنفصل عن الكنيسة ذاتها.

وبسبب الدور الرئيسي الرائع الذي لَعِبه الآباء في صياغة كل من التعليم والممارسة، فقد أعانتنا حياتهم وكتاباتهم لفِهم مَنْ نحن ومَنْ نكون كمسيحيين،

---

[1] Christopher A. Hall , Reading Scripture with the Church Fathers,Inter Varisty Press 1998 by Christopher A. Hall, pp54-53

ولماذا نؤمن ونسلك مثلما نسلك في جسد المسيح.

إن الانفتاح والإرادة القوية على الإنصات تظل هي الخواص الأساسية لأولئك الذين يستمعون إلى موسيقى شدو الآباء. إن Michael Casey يضع قائمة بثلاثة أسباب لدراسة الآباء(٢):

أولاً: إن الآباء أكثر قُرباً واستفادة من التقليد الرسولي، تلك هي العبارة الخاصة. لقد عاش الآباء وعملوا في تلاق تفسيري مع كُتّاب الوحي خاصة كُتّاب العهد الجديد.

ثانياً: إن الآباء يساعدوننا على فهم جذورنا أو أصولنا في الإيمان.

ثالثاً: معظم الآباء قد كتبوا وعاشوا كرعاة ، لقد كتبوا ليعينوا الشعب على الإمساك بقبضة تعليم المسيح. إن التعليم اللاهوتي لم يره أحد كحرفة أو وظيفة في الألفية الأولى. لقد أُعتبر أكثر من مجرد حرفة، إنه التزام بالرعاية، أو بالعناية الراعوية. إن النصوص التي تمت كتابتها من هذا المنظور تميل للتعبير عن وجودنا وواقعنا، إنها خبرة عملية وتظل النظرية في تماسكها دون تفكك.

أكد الآباء أيضاً على علاقة وطيدة بين الصحة الروحية لمفسري الكتاب وقدرتهم على قراءة الكتاب أيضاً. وبالنسبة للآباء، فإن الكتاب لابد من دراسته والتعمق فيه وتفسيره في إطار ومضمون العبادة والتكريم والتقديس. وقد أُعتُبِرَ الآباء الكتاب كتاباً مقدساً يفتح نفسه لأولئك الذين كانوا هم أنفسهم ينمون في القداسة بنعمة وقوة الروح القدس.

فمثلاً في عملة الذائع الصيت: تجسد **الكلمة**، يؤكد القديس أثناسيوس على أن البحث والفهم الصحيح للكتب المقدسة (يتطلب) حياة صالحة ونفساً نقية، فلا يمكن للمرء أن يفهم تعليم القديسين إن لم يكن للمرء ذهن طاهر وإن لم يحاول محاكاة سيرتهم. إن أي إنسان يريد أن ينظر إلى نور الشمس من الطبيعي أنه يمسح

---

[2] Michael Casey , Sacred Reading : The Ancient Art of Lectio Divina(Ligouri, Mo. : Triumph Books, 1995), p. 105. Christopher A. Hall , Reading Scripture with the Church Fathers,Inter Varisty Press 1998 by Christopher A. Hall, p5°

عينيه أولاً لينظفها ليقترب بنقاوة من ذلك الشيء الذي ينظر إليه. والشخص الذي يرغب أن يرى مدينة أو بلداً يذهب إلى موضع ما ليفعل ذلك. هكذا أيضاً فإن أي شخص يريد أن يفهم فكر الكُتّاب القديسين عليه أولاً أن يطهر حياته الخاصة. وأن يقترب من القديسين بمحاكاة أعمالهم تماماً. هكذا يتحد بهم في شركة حياتهم، فيفهم الأمور المستعلنة لهم بواسطة الله. ومن ثم يهرب من الهلاك الذي يهدد الخطاة في يوم الدينونة وينال ما أعده الله للقديسين في ملكوت السموات[٣].

ويقدم القديس غريغوريوس النزينزي نفس الأداة في عظاته اللاهوتية حيث إن دراسة أمور الله والحديث عنها جيداً لا يخص أي إنسان، أو كل إنسان، فهذا الأمر ليس لكل المشاهدين أو المستمعين ولا لكل الأزمان، ولا في كل النقاط، بل في مناسبات خاصة، ولدى أشخاص معينين، وفي حدود معينة، ويؤكد القديس غريغوريوس على أن الدراسة اللاهوتية مسموح بها فقط لأولئك الذين تم فحصهم وهم معلموا الماضي البارعون في التأملات والذين تطهروا قبلاً نفساً وجسداً أو على أقل تقدير هم في طريقهم للتطهير.

لا القديس أثناسيوس ولا القديس غريغوريوس قد أظهر التفسير الكتابي أو اللاهوتي الكتابي على أنه مجرد نشاط أكاديمي لعلماء دارسين للكتاب المقدس أو لاهوتيين انفصلوا عن حياة الكنيسة أو البناء الروحي الشخصي. بل بالحرى هم آباء آمنوا بأن أفضل أنواع التفسير يحدث داخل مجتمع الكنيسة. إن الكُتب المقدسة قد سُلمت للكنيسة وقُرئت وكُرز بها وسُمعت وفُهمت وتم إدراك ما بها داخل المجتمع الكنسي، ولهذا تم تفسيرها في أمان فقط بواسطة أولئك الذين صاغت الصلاة خصالهم ومميزاتهم وكذلك العبادة والتأملات وفحص الذات والاعتراف ووسائل أخرى تصل نعمة المسيح بواسطتها إلى جسده، بمعنى أن أي انفصال . كما قال كريستوفير هول . بين السمة الشخصية والمجتمع المسيحي ودراسة الكتاب المقدس سوف يكون خطيراً ومميتاً لأية محاولة لفِهم الكتاب المقدس. إن إصرار الآباء على النمو الروحي وتكاملية السمات الشخصية كلما حاولنا الاقتراب من دراسة الكتاب

---

[3] Gregory of Nazianzus, " The fifth Theological Oration – On the Spirit ", in Christology of the Later Father, ed. Hardy, p.210 .

المقدس هي نصيحة لابد أن نأخذ بها. وللأسف فإن كلماتنا وأقوالنا وحياتنا لا تتناسب دائماً مع هذه الشروط. فنحن نفتقد الوحدة فلسنا وحدة واحدة، إن دعوة الآباء إلى الوحدة داخل المجتمع الكنسي حتى يمكننا فِهم النصوص والتواصل معها بشكل أكثر أمانة هو شرط لا مفر منه لفِهم كيف ولماذا لجأ الآباء إلى عملهم في التفسير. إن الحوار المتبادل بين النمو الروحي وصياغة الشخصية وفهم الكتاب هي بصيرة آبائية أساسية.

المراجع الأساسية لهذا الكتاب:

1- Ιωάννου παναγοπου̃λου, Ή Ερημνεῖα τη̃ς Αγὶας Γραφη̃ς στήν Εκκλησὶα τω̃ν πατέρων, Αθη̃να 1991.

2- Christopher A. Hall, Reading Scripture with the Church father, Inter press by Christopher A. Hall.

3- Στυλιανου̃. Γ. Παπα δοπουλου πατρολογὶα Α`, Αθη̃να 1991.

4- Patrology vol.III by J. Quasten.

بالإضافة إلى نصوص الآباء خصوصًا المقالات الثلاث ضد الآريوسيين للقديس أثناسيوس الرسولي إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. وكتاب تجسد الكلمة، وضد الوثنيين.

٥- القديس أثناسيوس الرسولي، المقالة الأولي ضد الأريوسيين، عربها عن اليونانية أ. صموئيل كامل عبد السيد ود. نصحي عبد الشهيد، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية طبعة ثالثة سنة ٢٠٠٢م.

٦- القديس أثناسيوس الرسولي، المقالة الثانية ضد الأريوسيين، ترجمة أ. صموئيل كامل و د. نصحي عبد الشهيد، مراجعة د. جوزيف موريس فلتس، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، أبريل ٢٠٠٤م.

٧- القديس أثناسيوس الرسولي، المقالة الثالثة ضد الأريوسيين، ترجمة د. مجدي وهبة ود. نصحي عبدالشهيد، ومراجعة د. جوزيف موريس فلتس ود. نصحي عبد الشهيد، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية أبريل ٢٠٠٧م.

٨-القديس أثناسيوس الرسولي، تَجسُّد الكلمة ترجمة د. جوزيف موريس فلتس، مراجعة د. نصحي عبد الشهيد ،المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، طبعة ٤، ٢٠٠٦.

٩- القديس أثناسيوس الرسولي، الرسالة إلى الوثنيين. ترجمة القمص مرقص داود. مكتبة المحبة ١٩٨١.



الفصل الأول

آباء الكنيسة ومعلميها

تحيا الكنيسة بآبائها ومعلميها الذين هم مقيمون في أحضان الكنيسة بفضل معونة الروح القدس . إن هدف علم الآباء هو توضيح وتفسير وفِهم كتابات آباء ومُعلمي الكنيسة وكذلك الكُتاب الكنسيين .

الآباء والتقليد (التسليم):

إن مصطلح التسليم Παράδοση قد ورد في العهد الجديد بشأن التعليم الذي يُسلم، مثلاً في (١كو١١: ٢): " فأمدحكم أيها الاخوة على أنكم تذكرونني في كل شيء وتحفظون التعاليم كما سلمتها إليكم". إذن بهذا المصطلح نعني كل ما يخص محتوى إيمان وحياة المسيحية الأرثوذكسية، والذي سُلم عن طريق "الإله المتأنس" المسيح إلى تلاميذه ورسله وبالتتابع نُقل بواسطتهم إلى الكنيسة بتعاقب مستمر لا ينقطع للأساقفة خلفاء الرسل. كانت الكلمة الشفاهية والحية للرسل، في القرن الأول، تُنقل من فم إلى فم، وأصبحت الكنيسة مميزة بالتقليد الرسولى الشفاهي، لكن هذا التقليد، بمرور الزمن، صار مكتوبًا وانضم إلى الحقائق الصادقة التي تشهد لتفسير الكتاب المقدس. إن الرسل، كما هو معروف، قد سلموا فقط جزءً صغيرًا من الإعلان الإلهي مكتوبًا، أى كتب العهد الجديد. لكن أهمية التقليد الشفاهي أبدًا لم تَقِل، لأن محصلة الإعلان الكتابى سلمه الرسل إلى الكنيسة شفهيًا كتقليد رسولي شفاهي.

لقد امتثل تلاميذ ورسل الرب لوصيته بأن يكرزوا بإنجيله إلى كل الأمم، وذهبوا

إلى المسكونة كلها "حتى أقاصى الأرض" (مت٢٨: ١٩). لذلك دعا الرب تلاميذه رُسلاً (لو٦: ١٣)، لأن الرسالة لم تكن مجرد رسالة معتادة لكن أمر إلهي لتحقيق ما قد أُمروا به بسلطان (مت١٠: ١، مر٣: ١٥، لو٩). وبجانب أنهم صاروا شهودًا للرب بواسطة التقليد الشفاهي ، شعروا في ذواتهم أنهم حاملون لهذا التقليد (غلا٢، ١كو١٥: ٩) وساهموا كتابيًا بجزء من هذا التقليد أى تعليم الرب بدون أن يتمكنوا من كتابة كل ما قاله الرب وعمله.

إن محتوى كتابات الرسل يَظهَر كشهادة لهذا التقليد الشفاهي، والذي تسلمه الرسل أنفسهم وكان ينبغى أن يسلموه للاحقين (١كو٧: ١٠، ٩: ١٤، ١١: ٢٣، ١٤: ٣٧) مع ملاحظة أن التقليد المكتوب لم يُغط تمامًا كل الإعلان الكتابى (أى كل ما علمه وقاله الرب). وفي هذا الاطار نستطيع أن نفهم ما يُقال بأن الكُتّاب القديسين كتبوا بناء على ظهور مسببات معينة وحوادث، ولذا فإن ما كتبوه كان لخدمة هدف خاص. والقديس يوحنا يوضح هذا الأمر عندما يقول " آيات أُخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه" (يو٢٠: ٣) وأيضًا "إذ كان لى كثير لأكتب إليكم لم أرد أن يكون بورق وحبر لأنى أرجو أن آتى إليكم وأتكلم فمًا لفم لكى يكون فرحنا كاملاً" (٢يو١٢). ويكتب القديس بولس إلى أهل كورنثوس قائلاً: "وأما الأشياء الأخرى فلما أجئ سأرتبها"، ويقول في موضع آخر "وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أناسًا أمناء يكونون أكفاء أن يعلّموا آخرين أيضًا" (٢تي٢: ٢)، و" يا تيموثاوس احفظ الوديعة معرضًا عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الاسم" (١تي٦: ٢).

إذن من الواضح جدًا، أن التقاليد الشفاهية وتعاليم الرسل يمثلان التعبير الأساسي للإعلان الإلهي ، وكوسيلة أساسية نحو حفظ وانتقال محتوى هذا التقليد. وهكذا شُكِلَ "نموذج للتعليم" (رو٦: ١٧) بَشَرَ بمقتضاه الرسل ومَن أتوا بعدهم بالإنجيل إلى كل المسكونة، حتى أن بولس الرسول يؤكد لأهل كورنثوس قائلاً: " فسواء أنا أم أولئك هكذا نكرز وهكذا آمنتم " (١كو١٥: ١). نستنتج من ذلك بأن تعليم

المسيح "الإله المتأنس" في الأزمنة الأولى للمسيحية نُقل بواسطة الإيمان المعاش وليس كتابةً، وأن التعليم حُفِظَ دائمًا بواسطة التقليد الشفاهي. وظلت هذه الطريقة هي الفريدة للتعبير عن الإعلان الإلهي. لذلك كل الأعمال سواء رسائل أو أناجيل أُعتبرت أنها استقت محتواها من التقليد الشفاهي والتي تمثل جزءً فقط منه.

إن بولس الرسول كتب إلى أهل تسالونيكى ينصح المؤمنين بالثبات على ما تعلموه شفاهيًا: "فاثبتوا إذًا أيها الأخوة وتمسكوا بالتعاليم التي تعلمتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا" (٢تس٢: ١٥)، أى التقليد الشفاهي والتقليد الكتابى. ولأجل هذا فإن بولس الرسول يعتبر أن التقليد يحوي ليس فقط الكلمة الشفاهية لكن أيضًا التعليم الكتابى للإنجيل، وأن كليهما يمثلان محصلة الإعلان الإلهي الذي صار في المسيح يسوع. ويحذر الرسول، في موضع آخر، المسيحيين " باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التعليم الذي أخذه منا" (٢تس٣: ٦). مما سبق، نجد أن الكنيسة الأولى، على أى حال، قبل ظهور أى كتابة مُلهمة للإنجيليين والرسل، قد نمت واتسعت بواسطة التعليم الشفاهي غير المكتوب والعظة الحية للرسل وليس بواسطة كتابة الإعلان الإلهي والكلمة المكتوبة والتي لم تكن قد وُجدت بعد. وبالتالي فإن الكنيسة الأولى عاشت على التقليد أي بتعليم المسيح والأسرار، وكانت بمثابة الحامل الفريد لحقائق الإعلان الإلهي. وكما هو معروف فإن التسليم الشفاهي لعظة الرسل سبق حفظ هذه العظة كتابيًا. لقد تبلور الإعلان الإلهي بواسطة الكلمة المكتوبة، لكن عمليًا امتد واتسع وانتشر هذا الإعلان بواسطة الكلمة الشفاهية للعظة والتعليم.

١ــ مصطلح أب ومعلم[٤]: PATHR KAI DIDASKALOS

تُميز الكنيسة عدد من الآباء وتدعوهم آباء ومعلمون

يتمتع الأب والمعلم بأداء مهمتين عظيمتين ولأجل ذلك له المكانة الأولي في نظر الكنيسة. هاتان المهمتان هما:

المهمة الرعوية: إذ يلد أبناء مؤمنين ويحرص علي رعايتهم وإرشادهم ويربطهم بيسوع المخلص بواسطة الروح القدس. هذا الراعي يكرز بالإنجيل ويتمم أسرار الكنيسة ولذلك يُدعي "آب".

المهمة التعليمية: هذا الأب لديه موهبة خاصة وإمتياز خاص ومسئولية خاصة بمقتضاها يعلم ويفسر للمؤمنين الحقائق الإلهية، وكذلك يتصدي للمسائل التعليمية الكبيرة وإدعاءات الهراطقة ضد إيمان الكنيسة.

هكذا الآباء الذين كان لديهم هاتين المهمتين: ***مهمة الراعي ومهمة المعلم*** سُموا آباء ومعلمون. نجد الأهمية العُظمى التي نسبتها الكنيسة للأب الروحي فيما قاله بولس الرسول: "كأولادي الأحباء أنذركم. لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح لكن ليس أباء كثيرون. لأني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل فأطلب إليكم أن تكونوا متمثلين بي". (١كو٤: ١٤- ١٦)

ويقول القديس إيرينيوس أسقف ليون في القرن الثاني:

"حينما يتعلم شخص من فم شخص آخر فأنه يُسمي أبنًا للذي علمه والذي علمه يُدعي أباه" (ضد الهرطقات٤: ٤١: ٢).

وكذلك يقول العلامة كليمنضدس الإسكندري (١٥٠-٢١٠):

"الكلمات هي ذرية النفس. ولذلك فأننا ندعو الذين علمونا، آباء لنا ... وكل مَنْ يتعلم هو من جهة الخضوع إبن لمعلمه" (المتفرقات ١:١، ٢-٢:١).

هكذا آباء الكنيسة والمعلمين هم الآباء الذين كانوا مقبولين من قِبل الكنيسة كمعلمين حافظوا علي الإيمان المستقيم، وساهموا في صياغة هذا الإيمان، ودافعوا عنه

---

4 - Στυλιανοῦ. Γ. Παπαδοπουλου πατρολογὶα A`, Αθῆνα 1991, σελ. 2-79.

ضد الهراطقة وكان لهم إجماع واحد وفكر واحد من جهة الشركة والإيمان المستقيم.

إذن آباء الكنيسة هم مُعلّمِو العقيدة وهم الذين ساهموا في تحديد مضمون الإيمان وصياغته وشرحه وأجمعت عليه الكنيسة في مجامعها المسكونية.

ومن الجدير بالملاحظة أن ما قلناه عن ''الأب والمعلم ''لا يقلل من آباء وشيوخ الكنيسة العُظماء الذين بعملهم الروحي والنسكي تقدسوا وصاروا نماذج منيرة .

هؤلاء الآباء الشيوخ صاروا معاينين للمجد الإلهي إذ عاشوا الحق الإلهي، وتركوا لنا خبرات روحية عظيمة ومفيدة، علي سبيل المثال القديس أنطونيوس والقديس مقاريوس والقديس باخوميوس وغيرهم من أباء الكنيسة العظام.

أيضا التمييز الحادث بين الآباء والمعلمين وما ندعوهم الكتاب الكنسيين لا يرجع إلي أفضلية الواحد عن الأخر في القداسة، فآباء الكنيسة وبشكل عام الكتاب الكنسيين ليسوا أقل قداسة من الآباء المعلمين. لكن ببساطة التمييز يرجع إلي أن الآباء المعلمين كانت لديهم موهبة الأبوة والتعليم.

٢ــ عمل الآباء والكُتاب الكنسيين ودوافع هذا العمل:

الضرورات التي جعلت الآباء والكُتاب الكنسيين - كما قال أستاذ الآبائيات ستليانوس بابا دوبلوس - يكتبون أعمالهم التعليمية هي:

أــ الكرازة أو الوعظ:

لقد مارس هؤلاء الكُتاب الكنسيين عملهم التعليمي بأشكال متنوعة بحسب ما تقتضيه الضرورة، فقد شرحوا كلمة الله وأوضحوا أهمية معرفة شخص المسيح وعمله الفدائي لأجل البشر، وركزوا علي العمل التقديسي والإستناري للروح القدس، ومرات كثيرة كانوا يفسرون الكتب المقدسة حتى يعرف المؤمنين الحق ويتقدمون روحيًا.

ب ــ إظهار الحقيقة والتصدي للهرطقات :

لقد تصدي كُتاب الكنيسة للآراء الخاطئة التي كانت بمثابة عائق في سبيل تقدم

المؤمنين، وكانت تُمثل أيضًا خطرًا علي خلاصهم. لأن آراء الهراطقة لم تكن تعبر عن الحقائق الإلهية بل عن حقائق خيالية وغير كافية وبالطبع هذه الحقائق الخيالية المريضة لا تخلص.

لقد تحقق هؤلاء الآباء من هذا الخطر الرهيب وعكفوا علي التصدي له. هؤلاء الآباء عاشوا أولاً الاختبار العملي والحقيقي للتعاليم الإلهية محاولين إظهار الحق الإلهي في مقابل التفسيرات الخاطئة للهراطقة.

لقد واجه الآباء الهراطقة وذلك بإظهار التعليم المستقيم، والمجامع المسكونية ما هي إلا تصديق علي تعليم الآباء المستقيم الذي تصدى للهراطقة وآرائهم الخاطئة. ونقصد بتعليم الآباء كل التدبير الإلهي فيما يخص الثالوث القدوس وعمله الخلاصي للإنسان.

ومن هنا نستطيع أن نقول إن الاحتياج الملح علي ضرورة الرد علي العالم اليهودي واليوناني والغنوسي وعلي العالم الوثني عامةً هو الذي نتج عنه جزء كبير من الكتابات المسيحية.

ج ـــ التعبير عن خبرتهم الروحية:

إن أعضاء الكنيسة الذين كان لديهم خبرات إلهية سامية ونادرة بفضل عمل الروح القدس فيهم قد شعروا ضرورة وصف هذه الخبرات الإلهية، وبالحري التعاليم الإلهية التي أتبعوها وعاشوا بها هذه الخبرات، وهكذا لدينا نصوص الآباء النُساك. وهذه الأعمال النسكية أظهرت أن التعاليم اللاهوتية المستقيمة كبناء لحياتنا الروحية يمكنها أن تتسع وتمتد بدون وجود صراعات لاهوتية وانشغال بالكتابات الدفاعية.

د ـــ العبادة والتمجيد:

العبادة كانت الانشغال الأول لأعضاء الكنيسة وكذلك تتميم الإفخارستيا وبقية الأسرار. هكذا لدينا النصوص الليتورجية ونصوص صلوات الأسرار. لقد عاش المؤمنين في المسيح بحماس وعَبَروا بغيرة وحماس عن إيمانهم بشكل شعري جميل، وهكذا بين أيدينا تسابيح غنية في الكنيسة، بالإضافة إلي الطِلبات والتوسلات ومدائح القديسين ونصوص تعليمية تُقرأ أثناء العبادة.

هـ- حفظ الذاكرة:

نميز في مجال الكتابات المسيحية أعمال كثيرة قيّمة لها صفة تاريخية أو قصصية، مثل الأعمال التاريخية الكنسية والسينكسار ونصوص الشهداء، وحياة القديسين ورسائلهم وكتاباتهم، هذه النصوص تحفظ للكنيسة ذكرى الأحداث الهامة وكذلك، الشخصيات المهمة التي عاشت في العصور السابقة.

ومن الواضح، احتياج الكنيسة للذاكرة وعلينا أن نُميز بينها وبين الاحتياج لبناء المؤمنين بواسطة هذه الذاكرة.

هذه الدوافع التي تحدثنا عنها والتي كانت سببًا في وجود أعمال الآباء العظيمة المتنوعة يتطلب تجميعها مهارات وإمكانيات كثيرة:

تنظيم تعليمي لاهوتي عظيم، معايشة ومعرفة بالتقليد الكنسي، مقدرة وتدريب علي تفسير الكتاب المقدس، معرفة متسعة للعالم الروحي والفلسفي للعصر، موهبة للكتابة سواء كانت كبيرة أم صغيرة هذه الموهبة، وطبعًا استنارة الروح القدس.

من الواضح أن عمل أب من الآباء به تنوع كبير، فلا يخص فقط الموضوع الذي كتبه بنعمة خاصة باستنارة خاصة من الروح القدس، علي سبيل المثال **القديس أثناسيوس الرسولي**، من المعروف لدى الجميع أن الروح القدس أعطاه نعمة خاصة جدًا في الرد علي الهرطقة الأريوسية. وأستخدمه الروح القدس في الرد علي هذه الهرطقة بكتابات كثيرة. لكن هذا لا يمنع أن القديس أثناسيوس له كتابات أخري متنوعة مثل: حياة أنطونيوس، تفسيراته للكتاب المقدس، وغيره من الأعمال.

إذن كل الأعمال المتنوعة مثل: الوعظ، الكرازة، التفسير، الأعمال التعبدية والتمجيد، الشعر، سرد الخبرات الروحية والرؤى الإلهية، ووصف مراحل الحياة النسكية، سرد حياة القديسين، كتابة النصوص المجمعية وقراءتها، كل هذا التنوع يعبر بأتساع عن عمل الآباء.

وطبعًا أشترك في كتابة هذا التنوع ليس فقط آباء الكنيسة العظام، بل كل الكُتاب الكنسيين الذين عددهم كبير وعملهم كثير. وإن كنا نركز علي الآباء

المعلمون ذلك لأن كل أب ومعلم في الكنيسة كان بمثابة مركز يتحرك حوله بقية الكتابات الكنسية.

هذه الكتابات الكنسية هي عبارة عن تفسيرات وتعليقات علي تعليم الآباء المعلمين ونمو واتساع لها.

٣ـــ الآباء صاغوا التعاليم الإيمانية بواسطة استنارة الروح القدس :

إن عمل الآباء المعلمين قد تم بواسطة فعل ونعمة خاصة من الروح القدس في أوقاته المناسبة والضرورية. لذلك تعطي الكنيسة لهذا العمل أهمية كبيرة . يُعبر دائمًا في نصوص الآباء عن اليقين الداخلي بأن المدخل إلي الحقيقة، والإنقياد والصعود ناحية الحقيقة، يصير فقط بمعونة أو استنارة الروح القدس.

هذا اليقين الذي للكنيسة عن عمل الروح القدس في كتابات الآباء اللاهوتية قد عُبرِ عنه في المجامع المسكونية، وبالتالي فإن هذا اليقين ليس مرجعه آراء شخصية بل إيمان الكنيسة المسلم مرة للقديسين.

لقد كان **القديس أغناطيوس الأنطاكي** واضحًا بخصوص هذا الموضوع إذ كتب في رسالته الي أفسس :

"إذا أهلني يسوع المسيح بصلواتك، وإذا أراد الله، فسأتابع في رسالتي الصغيرة الثانية، التي أنوي كتابتها لكم شرح ما بدأته عن مخطط الله المتعلق بالإنسان الجديد، يسوع المسيح، بالإيمان به بمحبته بآلامه بقيامته، خصوصًا إذا كان السيد يكشف لي ذلك. فإذا كنتم جميعكم تجتمعون كواحد، متشددين بنعمته وبالإيمان الواحد بيسوع المسيح ابن داود حسب الجسد، ابن الإنسان وابن الله فأنكم متحدون قلبيًا بطاعة غير مزعزعة للأسقف والكهنة" (فصل ٢٠).

هكذا لا يستطيع أحد أن يكتب شيئًا عن شخص المسيح أكثر مما قيل إن لم ينقاد بروح الله، أو إن لم يكشف له الله نفسه بحسب تعبير **القديس أغناطيوس** عن مزيد من التوضيح والشرح اللازم لفهم التعليم. طبعًا هذه الحالة نادرة جدًا في الكتابات المسيحية. لذلك هذه الكتابات الآبائية لها أهمية عُظمى في مسيرة الإيمان

المستقيم، إذ أن كتابات الآباء المعلمين هي بمثابة محطات عظيمة في هذه المسيرة لإن محتوى هذه الكتابات يرجع إلي الاستنارة الإلهية وتمثل نواة التعاليم اللاهوتية التي التفت حولها كل الكتابات الكنسية. هذا التقليد الإيماني السليم نُقل بفضل أولئك الذين تمتعوا بالنعمة الإلهية وعاشوا في الكنيسة وسُلم من جيل إلي جيل. وهذا ما أطلق عليه **القديس إيرينيوس** "قوة التقليد" (ضد الهرطقاتAX2).

٤ــ الحقيقة الإلهية وعمل الآباء التعليمي[٥]:

أ ــ بصفة عامة:

إن الحقيقة الإلهية والتي تتطابق مع الواقع الإلهي أُعطيت وتُعطى للإنسان بطريقة كشفية أستعلانية، فلقد اتضحت هذه الحقيقة(الله مثلث الأقانيم وعمله الخلاصي من اجل الإنسان) علي مراحل بالناموس. الأنبياء. الإنجيل. يوم الخمسين... إلخ. هذه المراحل يسميها القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات "بالتحولات الحياتية" والمرحلة الأخيرة من هذه النقلات تبدأ بيوم الخمسين والذي يستمر عمله داخل إطار الكنيسة كما يؤكد القديس ذهبي الفم[٦].

ويعتبر القديس. غريغوريوس اللاهوتي أن هذه المرحلة أي مرحلة الإرشاد أو الاستنارة التي يعطيها الروح القدس داخل إطار الكنيسة كأنها "رجاء تكميلي" علي حد تعبيره[٧]. أما القديس كيرلس الإسكندري فأنه يوضح المعني المطلوب كثيرًا عندما يكتب قائلاً: "إن الابن الوحيد لم ينته بعد من أستعلانه لنا".[٨] ويفسر ما يقوله تباعًا فيضيف بأن عمل الاستنارة المُعطي للكنيسة بواسطة الروح القدس هو عمل الابن أيضًا. وهذا يعني أن المسيح قد كشف لنا الحق الإلهي، بينما الروح

---

٥ للمزيد قد قام الدكتور/ جوزيف موريس فلتس بترجمة هذا العنصر بتصرف من مرجعنا الأساسي لهذه المقدمة : مجلد الآباء للدكتور ستيليانوس بابا دوبلوس تحت عنوان: دور الآباء في صياغة العقيدة ونشره في مذكرة بعنوان: مقدمة في علم الآباء والعقيدة، ص١٨-٣٤. وقد أخذنا هذه الجزئية رقم ٤ بتصرف من هذه المذكرة.

٦- ذهبي الفم.PG50.454 – العظة الأولى على عيد البندقسطي

٧- غريغوريوس اللاهوتي PG36.456 AB- المقالة ٤١ عن الروح القدس.

٨- كيرلس الأسكندرى PG74.576 - في شرحه لإنجيل يوحنا الإصحاح ١٢.

القدس سوف يقودنا بإرشاده إيانا إلي "كل شيء" عن الحق، وعلينا أن نطلب ونتضرع للروح القدس لكي يتمم عملة هذا فينا. ومن أجل هذا فإن السيد الرب قد علمنا أنه من الممكن أن نتعلم الأكثر من الروح القدس.

إن قناعة الآباء بأن ما في تعاليمهم من أمور تنسحب عليها صفة "الإعلان الإلهي" بواسطة عمل الروح القدس فيها، لهو أمر مؤسس علي كلمات السيد المسيح نفسه لتلاميذه عندما قال لهم:" بهذا كلمتكم وأنا عندكم وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب بأسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم"(يو١٤: ٢٥-٢٦). وأيضًا"وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلي جميع الحق" (يو١٦: ١٢-١٣).

وبالطبع فإن كلمات المسيح هذه سوف تقودنا إلى موضوع "تدبير الاستعلان الإلهي" بمعنى إلي الطريقة التي بواسطتها أعلن الله عن الحق الإلهي . عن نفسه. فالتجسد أو بمعنى آخر "التدبير الإلهي" هو بالفعل إستعلان حقيقي وأصيل **لكلمة** الله. ولكن هذا الاستعلان وهذا الظهور لا يعني أن الله **الكلمة** يُظهر ويُستعلن كل الحقيقة في كل عدم محدوديتها، في كل عمقها وفي كل عرضها.

الله يستعلن للإنسان الحق الإلهي بناءً على خطة ، فمن ذلك الإنسان الذي يجاهد ويطلب بتعب وصلاة يرفع ذلك الحجاب الذي يعوقه عن المشاركة في الحقيقة الإلهية وبالتالي يصبح قادرًا على أن يعرف الحق الإلهي، أي بمعنى أن يصبح الإنسان قادرًا على تصور الحقيقة الإلهية، تلك الحقيقة التي سوف تظل غير محدودة بالنسبة له، طالما أن الإنسان مازال محدودًا.

وبالتالي فعلى قدر ما يعرف الإنسان المحدود من الحق الإلهي فسوف يظل الحق إلهي غير مستنفد. أما معيار تلك المعرفة ومقياسها فهو حاجة الإنسان لكي يتحد بالله وأيضًا درجة استيعابه لقبول شيئًا جديدًا.

وعلى هذا يستطيع المرء أن يدرك مدى خطورة الأمور والمسائل اللاهوتية داخل الكنيسة. ولماذا تعددت هذه المشاكل وبمعنى آخر لقد كانت هناك أمور كثيرة لا تُحصى سوف يُعطي الروح القدس لنا فيها استنارة. إن عمل الروح القدس المعزي

لم يفترض أن استعلان الرب غير كامل. لأن المسيح هو الإله المتجسد وهو نفسه استعلان للحق الإلهي في حد ذاته ، وبالتالي فإن استعلان الحق الإلهي في شخص يسوع المسيح هو أصيل وكامل...

لكن هل نستطيع أن نقول أن السيد المسيح الذي هو الحق الإلهي يمكن أن يُستنفد؟ هل تُستنفد الحقيقة الغير محدودة؟ بالقطع لا.

وهكذا فالله يُستعلن لنا بذاته في شخص يسوع المسيح لأجل خلاصنا، ويعلم عن شخصه ما يضمن للإنسان خلاصه، وبينما يستمر المسيح في الكنيسة . ولدينا كل ما قاله المسيح عن نفسه . فإننا لا نستطيع أن نقول إننا استنفدنا كل الحقيقة (كل المسيح) وهذا يتضح علي الأقل من خلال المحاورات اللاهوتية الكبيرة. فهذه المحاورات اللاهوتية (عن الثالوث وعن طبيعة السيد المسيح) تثبت أن المؤمنين مع أنهم كان لديهم الحق الإلهي (المسيح)، ولكنهم كانوا في احتياج لفهم أعمق لهذه الحقيقة وذلك لكي يتمكنوا من مواجهة تعاليم آريوس على سبيل المثال، مثلما حدث في حالة **أثناسيوس الرسولي** الذي واجه تلك التعاليم وهو مستنير بنعمة الروح القدس كما قال عنه القديس غريغوريوس اللاهوتي. فبينما نحن نشترك في المسيح فإن معرفتنا بالمسيح (الحق) غير المحدود هي معرفة لها حدود.

فالحقيقة ''الكاملة'' تعني بالطبع ما هو ضروري ولازم لخلاص الإنسان على مدى العصور. ولهذا نستطيع أن نفسر تطور المسائل المتعلقة بشخص المسيح داخل إطار الكنيسة.

مع أن المسيح بشخصه تحدث عن نفسه، كما أن الرسل كتبوا شارحين عمله الخلاصي فقد ظهر أولاً موضوع الثالوث وبعد ذلك جرت المجادلات حول علاقة الأقانيم الثلاثة الأمر الذي يعني أن الروح القدس ارشد إلى الحقيقة القائلة بأن المسيح الذي هو ابن الآب هو من نفس جوهر الآب ''ομοουσιος'' (هومواوسيوس) له نفس طبيعة وقوة الآب. بعد ذلك ظهر علي السطح موضوع الطبيعتين في شخص المسيح يسوع. إننا نرصد إذن إجراءات ثابتة في حقل اللاهوت الآبائي تُمثل قاعدة يمكن من خلالها الوصول إلي فهم متصاعد أفضل، وبالتالي إلي معرفة أكثر

للحقيقة ، تلك الحقيقة التي قد أُستعلنت بالفعل في الكتاب المقدس ولكنها كحقيقة غير محدودة تبقي غير مستنفدة. إن هذا الفهم الأعمق والمتصاعد للحقيقة الإلهية يتحقق بواسطة الروح القدس الذي يستخدم بعض أعضاء الكنيسة لكي يصبحوا بهذا الشكل آباء أو معلمين فيها.

وفي عرضهما لمسيرة الإعلان الإلهي المتصاعد هذا فإن القديسين غريغوريوس اللاهوتي ويوحنا ذهبي الفم يبرران هذا التصاعد في الإعلان الإلهي ويؤيدانه. فهؤلاء الآباء يرون أنه: [لم يكن ممكنًا للذين كانوا يسمعون السيد المسيح وهو يتكلم عن نفسه أن يفهموه وهو يقول لهم أنه مساوٍ للآب لأنهم لم يكونوا قد استطاعوا أن يفهموا إنه ابن الآب].[9]

ويؤكد القديس غريغوريوس اللاهوتي على جانب آخر للموضوع يقودنا إلى تفسير لاهوتي لظاهرة النمو في فهم الحقيقة الإلهية فيقول: إن الله لم يرى حسنًا أن يعلن للناس الحقائق الإلهية بدون أن يريدوها أو أن يطلبوها بأنفسهم.[10]

وبالتالي فإن شغف الناس في الكنيسة الأولى، وفي فترة ما بعد حلول الروح القدس لإيضاح أكثر وأعمق لحقيقة يعتبر عاملاً أساسيًا لتحقيق هذا الهدف بواسطة الله نفسه مستخدمًا في ذلك آباء الكنيسة.

وهكذا ففي الفترة التي صيغ فيها تعبير "ομοουσιος" (هوموآوسيوس) أو تلك الفترة التي نوقشت فيها طبيعة السيد المسيح فإن المؤمنون كانوا يطلبون معرفة هذه الحقائق اللاهوتية بصبرٍ وإصرارٍ ولهذا فإن الله تراءف عليهم وأوضح وكشف وأعلن لهم نفس الحقيقة الإلهية أو نفس هذا الحق الإلهي الذي هو المسيح، من تلك الناحية التي كانت غامضة عليهم.

إن آباء الكنيسة ومعلميها هم هؤلاء الأشخاص الذين تُعلَّن بواسطتهم تلك الحقائق، بمعنى أنهم يُستخدَّمون بواسطة الله لنمو الكنيسة في التعليم والعقيدة كما يعلق القديس يوحنا ذهبي الفم: [ونحن نحب بالحق نحب الله كما نحب القريب

---

[9] يوحنا ذهبي الفم في شرحه لأعمال الرسل 161 . PG 36 .

[10] ق. غريغوريوس اللاهوتي . المقال رقم ٣١: عن الروح القدس PG 36. 161.

وليس لدينا عقيدة كاذبة ولا نعيش في نفاق، فإننا ننمي كل شيء لدينا وننمو في كل حياتنا].[11]

ب ــ عطاء الأب والمعلم هو توسع ونمو في المعرفة الإلهية وليس تطورا وتغييراً لها:

لقد قدم الآباء وهم مستنيرون بالروح القدس، علي طول مسيرة الكنيسة، شيئًا إضافيًا في إيضاح الحقيقة الإلهية. وهكذا فعلى الأساس الكتابي وذلك الشيء الإضافي الذي يقدمه الآباء يكون لدينا لبنة ما نسميه بعلم اللاهوت، وهو العلم الذي يتعامل مع القضايا اللاهوتية بعد أن يمحصها بطريقة دقيقة ومجهود كبير لكي يُعبر عن الحقيقة الإلهية مستخدمًا في ذلك الوسائل والطرق اللغوية والتاريخية.

ولكن هل يعني النمو في علم اللاهوت المدعم بمشورات الآباء وآرائهم اللاهوتية، أنه قد حدث تطور وتغيير في الإعلان الإلهي الأول (الأصلي)؟ أم شيء آخر. وبمعني أخر هل حسّن الآباء وطوروا وأيضاً غيروا ما قد استلموه من الرب ومن الرسل ومن سبقوهم من الآباء؟ بالقطع لا.

فما يوجد في الكنيسة كحقيقة هو شيء حق وأصيل ولا يقبل إعادة نظر وتغيير. وذلك لأن أية تعاليم عن الإعلان الإلهي هي تعاليم من الرب ولأجل خلاص الإنسان. وهذه تبقى حقائق ثابتة علي مر العصور من القرن الأول وإلي اليوم وإلي آخر الدهور.

فلو كان ما يقدمه علم اللاهوت هو تطورًا وتغييراً للحقيقة، الأمر الذي يجعلنا أمام إيمان آخر غير الإيمان المسلم مرة للقديسين، فإن هذا يشككنا في أصالة الكنيسة في كل عصر يظهر فيه عطاء جديد للآباء، الأمر الذي في الواقع إنكارًا لماهية الكنيسة نفسها.

إن آراء الآباء اللاهوتية والعقيدية هي تُمثل خبره روحية ومعرفة للحقيقة تُضاف إلي الخبرات السابقة، فالكنيسة تتقدم عن طريق مُعلميِّها في المعرفة

---

[11] ذهبي الفم في شرحه لرسالة أفسس PG 124.1088D-1089 A.

الإلهية للحقيقة بواسطة عمل الروح، فهي تعيش في مراحل مُعينة في نمو، وهذا النمو ليس نمو في الحقيقة بحد ذاتها لكن هو نمو في خبرة الحقيقة الإلهية.

فالحقيقة الإلهية نفسها لا تقبل الزيادة أو النقصان لأنها الحق الإلهي. والشيء الوحيد الذي يُمكن أن يحدث هو أن يتمكن الإنسان من أن يختبر هذه الحقيقة بطريقة أوسع، وبهذا الشكل فنحن لدينا "استكمال" لخبراتنا بالحقيقة الإلهية بما يتناسب مع المشاكل اللاهوتية التي تواجهنا بين الحين والآخر.

وفي المصطلحات اللاهوتية المعتادة فإننا نسمي بالحقيقة الإلهية كلاً من "الحق الإلهي" نفسه وخبرة هذا الواقع الإلهي والمعرفة الحية بهذا الواقع الإلهي.

وهذا ربما يسبب الخلط وسوء الفهم الحادث في بعض الأحيان، لذلك فإننا نريد أن نوضح وبكل الطرق أنه **بالنسبة للآباء الذين أضافوا أبعادًا متسعة إلي التعليم الكنسي والعقيدة فإنهم يضيفون فقط خبرة ومعرفة بالحقيقة الإلهية وهذا يتضح من موقف القديس باسيليوس الذي واجهه نفس سوء الفهم هذا والذي يرى أنه لا يجب أن نضيف حقائق إلهية أو عقائد أخري في الكنيسة ولكن خبرات وإضافات تتعلق بمعرفتنا للحقيقة ذاتها**[١٢].

ج ـــ الآباء دخلوا إلي "الشيء المستتر" أو إلي "البهاء المتوارى" في النصوص الكتابية:

إن آراء الآباء ومعلمي الكنيسة بالنسبة للخبرة والمعرفة بالحقيقة الإلهية ليس هو بالأمر المستقل أو المنعزل بل هو استمرار وتوسّع لواقع معين، هذا الواقع الذي يحتويه الكتاب المقدس. ولهذا فكل ما يحدث في حياة الكنيسة هو مرتبط بشدة بالحقيقة الإلهية المعبر عنها داخل الكتاب المقدس. **فالآباء بالتالي كتبوا تعاليمهم علي أساس كتابي فالجانب الأعظم من كتاباتهم كان يتعلق بجوانب تلك الحقيقة الإلهية الواردة في الكتاب المقدس، وذلك لأن الآباء كانوا يؤمنون في داخل ضمائرهم بأن الكتاب المقدس هو كتاب "موحى به" يعبر عن حقيقة إلهية**

---

١٢ القديس باسيليوس الرسالة ٢٢٣o: PG 32 .829 B .

وواقع أصيل وفريد، لقد رأوا أن الكتاب المقدس هو تعبير عن الحقيقة الإلهية وليس الحقيقة الإلهية عينها، وذلك بالطبع لأن الحقيقة نفسها لا يمكن لأي كتاب أو أي شكل أن يستوعبها.

ولقد تحدث الآباء دائمًا عن ضرورة الدخول إلي ما هو "مُستتر" أو إلي ذلك "البهاء المتوارى" والذي يوجد خلف أو أسفل أو أبعد من الحروف الكتابية. وهم يتحدثون عن هذا لأن إسهاماتهم اللاهوتية كانت وظهرت أنها مرتبطة بشدة بالحقيقة الكتابية الإلهية. فالجديد الذي يقدموه هو جديد بالفعل بالنسبة للنصوص الكتابية ولكنه في نفس الوقت يُمثل فقط تعبيرًا عن وجهات أخري لنفس الحقيقة الإلهية الواحدة التي كانت مُختفية بين سطور النصوص الكتابية.

وبتشديدهم على هذه النقطة فإن الآباء خلقوا معيارًا ومقياسًا لصحة أو زيف أية إسهامات وآراء يقدمها اللاهوتيون الكنسيون. بمعنى أنه **لو كان هذا الجديد الذي يقدم بين الحين والآخر كتعبير عن الشيء "المستتر" للحقيقة الإلهية أو عن "البهاء المتوارى" يشهد ويوافق ويمثل امتدادًا طبيعيًا لتلك التي عُبر عنها من خلال النصوص الكتابية لكان هذا الجديد أصيلاً وصحيحًا ولكان نتيجة طبيعية لعملية استنارة حقيقية بالروح القدس، الأمر الذي يمكنه أن يُشكل يقينًا وإيمانًا وتقليدًا للكنيسة.**

٥- الأرثوذكسية والآباء:

إحتضنت الكنيسة الآباء وعاشت بتعاليمهم وحكمتهم ونظرت دائمًا لتعليمهم علي أنه تعليم أصيل وأرثوذكسي. الآباء والمعلمون كانوا بالنسبة للكنيسة هم إستمرارًا وإمتدادًا للرسل. فالأثنى عشر رسولاً سلموا خدمتهم الشخصية والتي هي تسليم التعليم للآباء (ايرينيوس، ضد الهرطقات ١،٣م). الروح القدس أنار الرسل وينير الآباء.

وحيث إن الآباء يُمثلون استمرارًا للرسل، بالتالي فيما كتبوه يُعتبر أرثوذكسي وأصيل وموضوع تقدير من الكنيسة.

إن تعليم الآباء هو تعليم مستقيم لأنهم أنفسهم إستناروا بالروح القدس في كتاباتهم. هكذا أمنَّت المجامع المسكونية علي تعليم الآباء المعلمين.إن تعليم الآباء يتطابق مع تقليد الكنيسة، بإيمانها وبحكمتها وبكل ما تسلمته من الله، فحفظت هذا التعليم بدون تحريف أو تغيير أو تزييف مثلما حفظت الكتاب المقدس.

الكتاب المقدس والتقليد التفسيري يُمثلان مسيرة تعليمية ولاهوتية واحدة، إذ هما التعبير عن الحق الإلهي الذي يُخلص الإنسان في الكنيسة. نرى فيهما (في الكتاب والتقليد) مراحل التدبير من جهة إظهار الحقيقة لكن لا ينفصلان. فالتقليد هو استمرارية، وتوضيح، واتساع للكتاب المقدس. فالكتاب المقدس يُمثل الأساس الثابت والفريد، بدون هذا الأساس لا يقف شيئًا ويثبت. وعندما نتحدث عن التقليد التفسيري نقصد التعليم وتقدمه الآباء أي مساهمة الآباء الكتابية الخاصة بشرح الإيمان المستقيم.

وعلي العموم فالتقليد لا يبدأ بالآباء، لكن بعمل الرب والرسل. بمعنى أن الكنيسة لديها منذ البداية هذا التقليد، والكتاب المقدس وُلد في أحضانها، والذي هو بمثابة جزء من التقليد المسيحي الأول، الذي أستمر ونما بمساهمة الآباء.

لقد صاغ الآباء التعليم بإستنارة الروح القدس مع الاستفادة من دراساتهم الفلسفية والأدبية والعلمية التي كانت سائدة في عصرهم واكتسبوها وتعلموها لكي يتواصلوا مع العالم المحيط بهم. لكن لا يعني هذا أنه لا توجد آراء للآباء تندرج تحت الآراء الشخصية والتأملات والتي لا تمس أساسيات الإيمان بسوء. أما التعليم الذي أجمعت عليه الكنيسة من خلال آبائها ويتوافق تمامًا مع الكتاب المقدس وتصديق المجامع المسكونية هو من ضمن تقليد الكنيسة. إذن ما لم تتبناه الكنيسة يندرج تحت الآراء الشخصية، وهذه الآراء قد تُنسي من ذاكرة الكنيسة أو تُهمل أو تُرفض وذلك إذا كانت هذه الآراء الشخصية لا تتوافق مع السياق العام لإيمان الكنيسة.

فعلي سبيل المثال آراء **القديس إيرينيوس** عن الملك الألفي، وكذلك **أفكار القديس غريغوريوس النيصي** عن إعادة أو رَد كل شيء في المسيح الذي يؤدي بنا إلي المناداة بما يُسمى الخلاص الشامل، وأفكار غيرها قالها الآباء دخلت باب النسيان والرفض.

الآب المعلم هو حامل لتقليد الكنيسة ، ولكن ليس بطريقة جامدة أو ساكنة بل بطريقة ديناميكية، فهو يأخذ من التقليد ويشرح ويتوَّسع لكي يواجه مشاكل عصره بدون أن يحيد عن النواة الأساسية للإيمان المسلم مرة للقديسين.

لقد تميز كل أب بموضوع رئيسي عن بقية مُعاصريه، وذلك بمساهمته الكبيرة بخصوص هذا الموضوع. إذ صار هذا الموضوع هو مسألة محورية في تفكيره ومناقشاته وصلاته. فنجد آثار هذا الموضوع ومحاولته لمواجهته ومعالجته موجودة في كل نصوصه. علي سبيل المثال القديس أثناسيوس كان موضوعة المحوري هو مساواة الابن مع الآب في الجوهر. والقديس كيرلس الإسكندري كان موضوعه المميّز هو العلاقة بين الطبيعيتين الإلهية والبشرية للمسيح، والقديس غريغوريوس اللاهوتي وموضوعه الرئيسي: الروح القدس . علي الجانب الأخر، فإن انشغال كل واحد من الآباء بموضوع معين كان يتعلق بحياة الكنيسة وأزماتها ومشاكلها كان أمرًا يكون ثابتًا. فلا يوجد أب معلم إلا وانشغل بمشكلة تعليمية معينة أثناء مسيرة الكنيسة، لذا أرتبط إسمه بالموضوع الذي تصدي له. لذلك حين نقول إسم القديس أثناسيوس الرسولي نتذكر آريوس وهرطقته، وعندما نذكر إسم القديس كيرلس الإسكندري نتذكر الهرطقة النسطورية. وهكذا تلازم إسم الأب مع إسم الهرطقة التي تصدى لها.

وأهمية التصدي للهرطقة أو للفكر غير المستقيم يرجع إلي خطورة هذا الفكر أو هذه الهرطقة علي حياة المؤمنين وخلاصهم. ومن هنا كان صراع الكنيسة مع الهراطقة صراعًا شرسًا قويًا يهدف إلي تأمين خلاص المؤمنين.

علي سبيل المثال: الثالوث القدوس. ينبغي علي المؤمنين أن يكونوا في غاية اليقين من ألوهية الابن والروح القدس، لأن لو أن الابن ليس إله لكان غير قادر علي أن يُخلّص الإنسان ولو أن الروح القدس ليس إله لكان غير قادر علي تحقيق وحدة كل مؤمن بالمسيح ولن يستطيع أن يُقدس الإنسان. هكذا صارت هناك ضرورة ملحة للتصدي للهراطقة وأفكارهم الخاطئة. ولكي يكون هناك ردًا قاطعًا من آباء الكنيسة المعلمّين علي الأفكار الخاطئة كان لابد لهم أن يعرفوا الحقيقة كاملة فيما يتعلق بالمسيح والروح. هكذا فإن الرد القاطع يأتي من آب لديه خبرة تامة بالحقائق الإلهية.

وهذه الخبرة التامة تتحقق –كما سبق أن أشرنا– بإستنارة وفعل الروح القدس. إذن مساهمة الأب في مواجهة الهرطقة أو الهرطقات التي مرت بها الكنيسة في عصره هي التي جعلته أب ومعلم. أما بخصوص بقية مساهماته الأخرى فهي مأخوذة من التقليد كما هي. لكن المساهمة الشخصية الخاصة في تصديه للهراطقة هي أيضا من التقليد ولكن إضافاته الشخصية هي بمثابة توسيع وتفسير وتوضيح اقتضته الضرورة لكي يرد علي الفكر الخاطئ الذي نادي به أحد الهراطقة. هذه المساهمة الشخصية قد تبنتها الكنيسة وصارت حلقة في سلسلة التقليد وهكذا في حالة كل أب معلم لدينا ظاهرة أتساع وإيضاح أُضيف للتقليد وهو بمثابة نمو وأتساع للكنيسة نفسها.

٦ــ المراحل المتتالية في عمل الأب والمعلم:

العلامات المحورية والعملية لمسيرة الأب والمعلم اللاهوتية نستطيع ان نميزها –كما يقول أستاذ الآبائيات ستليانوس بابا دوبلوس – في ثلاث مراحل أو محطات أساسية كالآتي:

أ ــ الخبرة التامة والشاملة للحق الإلهي :

أنه أب ومعلم في الكنيسة حامل للتقليد يستخدم التعاليم اللاهوتية الهامة والعناصر الثقافية والعلمية، وهو يجاهد لكي يصل إلي الحقيقة ويحياها باستقامة بهدف تأمين الخلاص الذي تعرض للخطر بسبب أزمة معينه واجهتها الكنيسة. عندما يفحص الروح القدس وينير الفكر المشغول بمشكلة تعليمية ما، يرفع الستار الذي يعيق الإنسان أن يري كل الحقيقة وهكذا يكتسب الأب خبرة الحق المتسعة ويفهم هذه الخبرة فهمًا أفضل. لذلك يكون لديه موقف أساسي يتحرك به نتيجة هذه الخبرة الشخصية ليعطي حلاً للمشكلة التعليمية التي تواجهها الكنيسة والتي لم تكن من قبل. ليس لأنه جديد بل هو موجود في إيمان الكنيسة، لكن هذا الأب بخبرته قد أظهرها وأوضَّحها ليتمكن من الردَّ علي الفكر الخاطيء، ولا يتردد في استخدام العلوم اللغوية والفلسفية المتاحة في عصره لكي يبرهن علي صدق ما يقوله.

ب ـــ التعبير عن خبرة الحق:

الخبرة التامة في حالة الأب مُنحت له ، لكي يُعبر عنها وليس لكي تظل فقط خبرة شخصية، لقد مُنحت إليه لكي يقدمها لكل الكنيسة. هذا الأمر كان يدركه الآباء جيدًا، ومحاولاتهم في التعبير عن خبراتهم الإلهية كانت محاولات تتميز بصراع شديد ومن هذا الصراع يتولَّد التعليم اللاهوتي الأساسي لكل أب. هكذا صار مفهومًا أنه يشترك في هذا الصراع عناصر متنوعة وعوالم كاملة ينبغي أن تُساعد في الرد علي الفكر الخاطيء. وقبل أي شيء اللغة ينبغي أن تساعد والتي تتميز بخاصية لغوية وبمناخ فكري للعصر. اللغة التي أستخدمها الآباء لم تكن مجرد أداة لكن مناخ أو إطار. لقد كانت الحاجة لاستخدام كلمات ومصطلحات كان يستخدمها العالم الفكري في ذلك العصر.

هذه الكلمات كانت مُحملة بمحتوى معين فعبرَّوا عن قناعات وأفكار عالم كان مختلف تمامًا بالنسبة للكنيسة وأسلوبها الأخلاقي ، ولم يكن الآباء يجهلون هذه الحالة الموجودة ، لأنها هي اللغة التي يفهمها العالم الموجهة إليه رسالتهم.

أي لغة أخري ستكون غريبة ، هكذا كان لابد للآباء أن يعبروا بلغة الفلسفة والعلم والفن وثقافة الأديان الوثنية والشعر عن خبرتهم الإلهية التي هي بمثابة شيء مختلف تمامًا. العمل كان صعبًا بكل المقاييس. ما عمله الآباء كان إنجازًا مدهشًا علي كافة المستويات، وما فعلوه كان بمثابة معجزة في مسيرة الإنسان الفكرية. جانب كبير من توفيقهم ونجاحهم هذا يرجع إلي التمييز الذي أدركوه بالصواب بين المحتوى الفكري للمصطلحات اللغوية لعصرهم والحق الإلهي الذي هو مختلف تمامًا عن محتوى هذه المصطلحات.

(ج)- تأييد الحق الذي يعبر عنه وإملاءه:

عمل الأب لا يستنزف بمجرد التعبير عن خبرته. يجب أن يوسع موقفه اللاهوتي الذي هو تعبير عن الخبرة الإلهية حتى يتمكن كل أعضاء الكنيسة أن يتناولونه. يجب أن يُشرح هكذا حتى يصير مقبول ومفهوم علي أنه وجه من الحقيقة الواحدة التي يظهرها الكتاب المقدس.

إنه من الضروري أن يقدمها الأب في إطار التعاليم اللاهوتية التي تنادي بها الكنيسة في عصره، وكيف أنها تنسجم بالفعل مع الوجوه التعبيرية للحق. كل هذا يعني تنظيم وتأطير العمل اللاهوتي للأب. ومثل هذا العمل لكي يُنجز يجب علي كاتبه أن يكون معلم متميز، لديه معرفة مُتسعة وعميقة بموهبة كتابية مع معرفة ممتازة للكتاب المقدس والتعاليم الكنسية اللاهوتية. لذلك مرات كثيرة تُصدق المجامع المسكونية علي تعاليم الأب اللاهوتية. قبول كل الكنيسة تدريجيًا للتعاليم اللاهوتية للأب لا يعنى أن القبول بدون تدخل النعمة الإلهية.

٧- البيئة الفكرية الكلاسيكية وعلاقتها بالآباء (البنيه ــ الشكل ــ الحق):

لقد عاش الآباء المناخ الفكري لعصرهم. وعملهم يمثل مرآة للتيارات الفلسفية المعاصرة، والقناعات الدينية والأفكار السائدة في وقتها عن العالم والكون، وكذلك عن الأفكار السياسية. إن العوامل التي حددت المناخ الفكري للقرون الأولي للكنيسة هي اليهوديه والهيللينية والغنوسيه، الديانات والدولة.

هذا العالم المتنوع والديناميكي كان يمثل مشكلة كبيرة، وفي نفس الوقت، أداة لآباء الكنيسة، المشكلة: إذا حاول الأب أن لا يعبر عن تعاليم الكنيسة اللاهوتية من خلال هذا العالم سيكون معزول وغريب عن أناس عصره الذين تعلموا أن يفكروا فقط بالبنية الفكرية لهذا العصر. وإذا أستخدم لغة العالم الفكري الكلاسيكي هنا خطر أن يتم تزييف الحق الذي يكرز به.

الأداة: لقد إستخدم الكُتاب الكنسيين بفاعلية المناخ الفكري أو الأداة اللغوية لعصرهم. ومن الجدير بالملاحظة عندما نقول "الأداة اللغوية" نقصد شيئًا أكثر من الشكل اللغوي. نقصد الطريقة التي كان يفكر بها أناس عصرهم، وكذلك طريقة معالجتهم للمشاكل. نقصد الروابط الاجتماعية التي بها يعبر ويفهم الإنسان المثقف العالم وكذلك أخيه في الإنسانية.

يبدوا أن الكُتاب الكنسيين كان لديهم وعي وإدراك مطلق لأهمية المناخ الفكري الذي تكلمنا عنه وكذلك المشاكل الناتجة من تجاهلة. هذا الوعي هو الذي نشأ من

تفاعلهم مع الحق الذي يكرز به الإنجيل.

إذن لكي يتقابل آباء الكنيسة مع إنسان هذا العالم تحدثوا بلغته. وإن كان الحق الذي كرز به الإنجيل لم يعتريه أي تزييف فهذا يرجع إلي وعي آباء الكنيسة بالاختلاف الجذري بين المسيحية والفكر الكلاسيكي المتنوع لعصرهم. فالأب المعلم كان يدرك تمامًا هذا الاختلاف ويعمل جاهدًا علي حفظ الحق المسيحي.

وفي هذا الموضوع نشأ سوء فهم باتجاهين متعارضين:

الاتجاه الأول: هذا الاتجاه يؤدي إلي الرفض التام للغة العصر الفكرية.

أما الاتجاه الثاني: يؤدي إلي استخدام لغة العصر بدون تمييز. **الاتجاه الأول** أتبعه الذين التصقوا بحرف الكتاب المقدس والذين لم يفهموا القوة المتسعة للحق الإلهي، وهؤلاء الذين عن معرفة أو غير معرفة حبسوا الكنيسة في نظام مغلق. وهؤلاء بحسب القديس غريغوريوس اللاهوتي سقطوا في الهرطقة والفكر الخاطئ.

أما الاتجاه الثاني: لم يروا بعمق العالمين أي العالم المسيحي والمناخ الفكري فانجذبوا مرات كثيرة إلي الفكر اليوناني والغنوسي واعتقدوا أن الفكر الكلاسيكي يصل إلي نفس الحقيقة التي يعلنها الإنجيل ، وكان من الطبيعي لهم أن يأخذوا الفكر الكلاسيكي الفلسفي في تعاليمهم فعلي سبيل المثال أدخل آريوس أفكار فلسفية في تعليمه اللاهوتي وكانت النتيجة هي المناداة بهرطقة.

لكن آباء الكنيسة المعلمين قد إستخدموا المصطلحات والفكر البنائي لعصرهم وكرزوا بمساعدة هذه العناصر السائدة في عصرهم لكن بمحتوى جديد للمصطلحات، بينما العوامل المساعدة الأخرى كاللغة وطريقة التفكير السائدة كانت كما هي. **التشديد هنا علي محتوى جديد للمصطلحات غريب تمامًا عن الفكر السائد في عصرهم. وإن كانت مرات كثيرة ظهرت روابط فكرية وعناصر جديدة، وكذلك طرق تفكير جديدة وبالرغم من ذلك نستطيع أن نقول أن تقليد الكنيسة لا يتطابق مع الأشكال الأدبية والطرق البنائية له، بل مع المحتوى الجديد لهذا التقليد.** إذن الآباء لم يجهلوا الفكر الفلسفي الكلاسيكي. قد استخدموا - كما قلنا - النُظم الفلسفية وطُرق التفكير لكن

الأمر الهام هو إعطاء محتوى جديد تمامًا للمصطلحات. آباء كثيرون خُطباء وشعراء أُعجبوا كثيرًا بجمال اللغة اليونانية فصارت لُباسًا للحق الإلهي. نظر الآباء إلى طرق التفكير الغنوسي التي كانت تتصارع لاكتساب المعرفة والخلاص. واستطاعوا أن يميزوا الحق الإلهي ويكرزوا به ويحاربوا الفكر الغنوسي الذي كان يهمش المحتوى المسيحي الجديد. وكذلك بالنسبة للديانات التي كانت موجودة في عصرهم مثل اليهودية، استخدموا التعاليم الموسوية ولكن بمحتوي جديد تمامًا وأصبح العهد القديم بالنسبة للكنيسة هو إنجيل المسيحيين، لأن المسيح كان هو الموضوع الرئيسي له.

نرجع إلي موضوعنا، ونقول أن آباء الكنيسة أجمعوا علي أنه لابد أن يتحدثوا بلغة عصرهم لكي يؤثروا بتعاليمهم علي إنسان عصرهم. هذا ما يجعلنا أن نركز علي أننا لكي نفهم كتابات آباء الكنيسة، فلابد من فِهم المناخ الفكري لعصرهم وكذلك طُرق التفكير والنُظم التي كانت سائدة علي المستوى الثقافي والاجتماعي والسياسي.

وأيضًا وهو الأهم، الخبرة الروحية والاختبار الحي الذي عاشه الآباء بإستنارة الروح القدس وعمله في النفس. التمييز الواضح من جانبنا بين الشكل الخارجي للنصوص المتعلق باستخدام أدوات العصر، وطرق التفكير البنائي الثقافي، وكذلك الظروف الاجتماعية والسياسية وبين المحتوي الجديد وجوهر تعليم الآباء الخاص بالإيمان المستقيم والشهادة الحية للإنجيل هو الأمر الهام والضروري لفِهم نصوص الآباء.

لم ينحاز الآباء لمنهج معين أو لطريقة معينة في التعبير عن الإيمان بل تحركوا بحُرية واستخدموا المنهج الذي اقتضاه الموقف والمناسبة والتوقيت لكي يكون منهجًا فعالاً. فالهدف بالنسبة لهم ليس المنهج ولا نظام معين. لذلك رُفض الرأي الذي يقول أن هدف الآباء كان ربط المسيحية بالهيللينية أو إدخال محتوى فلسفي هيلليني على الرسالة الكتابية. **هدف الآباء الوحيد هو التعبير عن اختبارهم الإلهي وهذا التعبير صار من خلال أشكال متنوعة لم تكن بالنسبة لهم أشكال مُطلقة**. لذلك لم يتردد الآباء في استخدام أشكال خارجية فقط مع محتوي جديد تمامًا من:

اليهودية والغنوسيه والأفلاطونية المحدثة وفكر أرسطو الفلسفي، والأفكار السياسية البيزنطية.

لذلك نقول إن اعتبار هذه الأشكال مُطلقة ولا يمكن الحياد عنها هو خطأ كما أن اعتبار الروح الآبائية الأصيلة هي نسبية أيضًا خطأ.

الاتجاه الأول يطلق عليه **الاتجاه المحافظ أو الأصولي** أما الثاني يُطلق عليه **الاتجاه التحرري** ويغيب عن الاتجاهين الفضيلة التي تُسميها الكنيسة: فضيلة التمييز.

بالرغم من أنه منذ عصر الآباء إلي الآن حدث تغيير للنُظم الاجتماعية والثقافية والفكرية لكن الإنسان يتعرض لنفس المشاكل الكيانيه: أين أذهب؟ مَنْ أكون؟ لماذا الألم؟ لماذا الموت؟...الخ.

والروابط البنائية الفكرية للقرون الأولي المسيحية لم تختلف اختلافًا جذريًا عن عصرنا فلم نبتعد كثيرًا عنهم لدرجة إستحاله فهم البنية الفكرية التي كانت وقتذاك. الأهم بالنسبة لنا هو القدرة علي تمييز الدور الذي لعبه النظام الفكري السائد في كتابات الآباء.

انتقال الروح الآبائية لتقليد الكنيسة إلينا مرهون بإعادة التعبير عنه بلغة عصرنا، وإلا سيظل هذا الإرث الآبائي غريبا عنا أو علي الأقل سيكون من الصعب فِهم هذه الكتابات.

عدم التمييز بين جوهر الكتابات الآبائية والأشكال المستخدمة للتعبير عن هذا الجوهر أدى إلي المناداة بأن الآباء قد طوروا الرسالة المسيحية الأولى أو غيروها وأضافوا عليها الكثير. بينما مسألة أن الآباء أخذوا الأشكال الفكرية لعصرهم قد أظهر بلا شك مدى حيوية وأصالة التقليد الكنسي.

وإن كان بعض الكُتاب الكنسيين الذين أضفوا فقط على الأفكار الفلسفية صبغة مسيحية بدون محتوى مسيحي جديد تمامًا، أمثال: أثيناغوراس وتاتيانوس، لم تتبنى الكنيسة أفكارهم ولا جعلتها من ضمن التقليد الكنسي .

٨- الفرق بين الآباء والفلاسفة:

لقد نادي بعض المفسرين والنقاد أراء غير مقبولة بالنسبة للكنيسة في أعمال وكتابات الآباء والفلاسفة. لقد نادوا بأن الآباء كانوا مجبرين على أن يكونوا تقليديين، لقد كانوا فقط حاملين للحق المعلن لهم، فهُم مجرد مفسرين لهذا الحق وهذا العمل ليس شاق، بينما الفلاسفة بدون أي إعلان خارجي أخذوا يبحثون عن الحق. علي النقيض . بما يزعمون . الآباء استلموا الحق جاهزًا سواء من الكنيسة أو من الإعلان الإلهي. إذن بحسب زعمهم نجد في أعمال الفلاسفة حقائق لم تكن معروفة من قبل وهذا الأمر يغيب عن كتابات الآباء.

ولدى هؤلاء النقاد المعيار الحقيقي للأب أو للفيلسوف هو مدى الجديد الذي وصل إليه أي منهما.

الجديد هذا يُدعى الفكر الأصلي أو النموذج الأصلي "πρωτοτυπί΄α".

كل هذا ما هو إلا جدل نظري يدل على عدم دراية الذي شرَع في القول به أو قبوله.

الآباء هم حاملين ومعبرين عن الحق الذي هو موجود ومُصاغ في الكتاب المقدس والتقليد. لكن على أي حال هذا الأمر ليس سهلاً ولا هو جاهزًا ، فالتعبير عن هذا الحق يتطلب- كما قلنا- مُعايشة هذا الحق.

إعلان الله يُعطَّى فقط للإنسان الذي يشقى ويتعب من أجل الحق. ثم إن عمل الآباء في إطار معايشة الحق، هو الآتي :

أ-التعبير عن حق التقليد بلُغة العصر من خلال هوية فكرية معينة يتميز بها البشر. الصعوبة تنشأ من أن التعبير عن الحق ليس هو واقع إستاتيكي. لذلك لكي يتم التعبير عن الحق يتطلب عمل تعليمي إبداعي تمامًا.

التعليم اللاهوتي لعصر ما يعبر عن محاولة الأب لكي يتجاوب ويتحاور مع المحيط الفكري، وإقناع المؤمن بهذا التعليم. أن يُقنِع بأن الكرازة والتعليم اللاهوتي يحتضنا الإنسان بمشاكله، وتحرره من الأحضان الخادعة المتنوعة التي أحيانًا تخنقه.

الكلام هنا عن خلق عالم كامل جديد في كل مرة طالما أن الأب مدعو لكي يرتفع وينتصر علي عوالم كل مرة مختلفة عن عوالم العصور الأخرى أو على مجال فكري في حالة تغيير دائم.

ب ـــ عمل الآباء كان التعمق والتوسع في حقائق إلهية كانت بالفعل معروفة. وهذه عملية في غاية الصعوبة في مجال التعاليم اللاهوتية. إن أساس هذا العمل هو مواجهة كل مشكلة تتقابل معها الكنيسة. لقد جاهد الآباء وواجهوا صعوبات جمة لكي يقدموا تقدماتهم هذه، التي كانت أمراً جديدًا له جوانب كثيرة، أمرًا يحتوي على أبعد ما وصل إليه الآباء السابقين. لقد بحثوا وفتشوا لذا ما وضعوه يُعتبر الحق في ثوب جديد تمامًا لم يكن من قبل معروفًا، فهُم يعتبروا بذلك نماذج أصيلة ولم يأخذوا شيئاً جاهزًا كما أدعى بعض النقاد. والآباء يختلفون عن الفلاسفة فيما يخص نوعية المحتوى والنهج والتقدمة أو المساهمة ، فالفيلسوف يُعبر عن الحقيقة التي إكتشفها داخل إطار نظري لا يتعداه.

أما الآباء فعبروا عن الحق بمعايشة التقليد الكنسي، وعبرًوا بأشكال منطقية عن خبرة الحق الإلهي بأكثر إتساعًا.

أيضًا الفيلسوف نظريًا يفكر ويتأمل في حالة مستقلة تمامًا عن السابقين له من الفلاسفة، أي أنه غير ملتزم بآراء السابقين في نفس المشكلة التي يبحثها، يفتخر الفيلسوف أنه يعطي إجابة شخصية جديدة تماماً ويدافع عن صحة رأيه واستقامته بغض النظر عن رأي السابقين له. هكذا مع كل فيلسوف نجد إجابة جديدة ورؤية جديدة للعالم وللإنسان. على النقيض يحدث مع الأب. فالأب لا يعمل وهو غائبًا عن غنى الكنيسة الروحي. فهو حامل ديناميكي ومُفسر لكل عناصر الآباء السابقين له في مجال التعليم وخطوته الجديدة أو تقدمته الشخصية أو مساهمته هي فتح شباك جديد للحق على ما هو موجود بالفعل، أو إضافة خبرات روحية جديدة تُسَّهل فهم ما هو موجود. أما الفيلسوف فهو يبني مبنى جديد مستخدمًا مواد كانت غير مستخدمة من السابقين له. أما الأب يستمر في إقامة وتعلية المبنى الذي هو موجود بالفعل.

٩- التربية والآباء:

أ- الكُتاب الكنسيين والمعروفون منهم لديهم تربية شاملة وعميقة من إغناطيوس ويوستينوس وإيرينيوس. يبدوا لنا أن الآباء من العارفين الممتازين لليهودية وللديانات المتنوعة، وللغنوسية وللهيلينية وللنظم الدينية والثقافية السائدة في عصرهم. معرفة الإنسان التامة أو علي الأقل الدراسة الجيدة للتيارات الفكرية الكبيرة يدل على أنه مثقف. وليس لدينا أي كاتب كنسي لم يتذوق هذه التيارات الفكرية الكبيرة. وكما قلنا، بدون معرفة المحيط الفكري للعصر لا يستطيع أي أب التعبير عن الحق الإلهي، ولا يمكن أن يكون عمله مفهوم لدى إنسان العصر.

هذا لا يمنع أن بعض الكُتاب الكنسيين كان لهم تحفظ صارم على التربية الهيللينية التي كانت سائدة في عصرهم خوفًا من أن هذه التربية تجذب البسطاء عن التقليد الكنسي من أمثال هؤلاء: إغناطيوس وثيؤفيلوس الأنطاكي وكاتب رسالة الراعي هِرماس. لا يجب أن يُستهان بحقيقة أن العالم الفكري الهيلليني به بعض الحقائق التي ينتج عنها شكوك لدى أعضاء الكنيسة. هذه الحقائق قادت بعض الكُتاب الكنسيين القدامى إلي الرأي بأن الفكر الهيلليني الفلسفي والخلقي به بذور للحق الإلهي، والتي توجد بالفعل في المسيحية. من أمثال هؤلاء: يوستينوس وكليمنضس الإسكندري وأوريجينوس.

أما البعض الذين احتقروا الفكر الهيلليني، أجابوا علي سؤال من أين أتت الحقائق الموجودة في هذا الفكر؟ قائلين إن اليونانيين أخذوا هذه الحقائق من ناموس موسي أو من أنبياء العهد القديم (من أمثال هؤلاء تاتيانوس) أو من البرابرة الذين كان لديهم فكر ديني سامي (من أمثال هؤلاء: أوريجينوس، هيبوليتوس). هذه الردود كانت موجودة في القرن الثاني والثالث، لكن موقف الكنيسة من التربية الكلاسيكية الهيلينية لم ينتهي بعد.

المعيار الذي بمقتضاه أستخدم بعض الآباء التربية الهلِينية ورفضها البعض الآخر تمامًا يرجع إلى مدي التقدم الروحي أو الفكري للمؤمنين في كل حالة تحت ظروف متنوعة. عندما أحتقر آباء عظام الفكر الكلاسيكي الهيلليني فهذا يعني أن

مؤمنين معينين تعرضوا لخطر فقدان تدبيرهم الكنسي الأصيل من إحتضانهم المفرط للحكمة الكلاسيكية. أما حين أعتبر آباء آخرون عظام التربية الهيللينية أن بها جمال حسن فهذا يعني على الجانب الآخر أن أشخاص من المؤمنين احتقروا هذه التربية وتعرضوا لخطر فقدان الجانب التثقيفي في شخصياتهم، وكذلك الإمكانيات الذهنية الضرورية لدرجة أنهم نسوا الحقيقة البسيطة التي تقول أنه لكي يكرز أحد إلي أُناس يمارسون تربية فكرية معينة، فلابد أن يعرفها ويعبر بواسطتها عن محتوى كرازته.

هكذا الموقف الشخصي للآباء أمام التربية الكلاسيكية لا يجب أن يكون مشكلة. لأن كتاباتهم تُجيب بوضوح على هذا الأمر. فكل الآباء عايشوا وعَرفوا بعمق المناخ الفكري المحيط بهم، وتأثروا به واستخدموه بتقنية عالية، لكي يعبروا عن الحق الإلهي. الكلام هنا عن نوعية العلاقة بين الكنيسة والعالم، أي عن إستخدام الكنيسة للعالم المحيط وليس عن استخدام العالم للكنيسة. في الحالة الأولي ، العالم يصير كنيسة أما في الثانية تصير الكنيسة مثل العالم. في المجال الأول تسير الأرثوذكسية أما في الثاني تسير الهرطقه.

المسيرة الفكرية للكاتب الكنسي لم تكن حدث بسيط وساكن، لكن هامة جدًا وديناميكية، ولها تأثير علي كتاباته، لذلك كان الآباء كُتاب عظام في مجال الأدب والشعر والعِلم. فالعلامة أوريجينوس مثلاً كان ناقدًا أدبيًا عظيمًا في عصره، والقديس باسليوس كان قانوني مميز ومصلح اجتماعي، والقديس غريغوريوس اللاهوتي كان شاعرًا عظيمًا وفيلسوفًا، وكان القديس غريغوريوس النيصي فيلسوفًا مميزًا، والقديس يوحنا ذهبي الفم خطيبًا عظيمًا. طبعًا التربية التي كانت للكُتاب الكنسيين لم تكن مقتصرة على الفلسفة الهيللينية، بل امتدت إلى الخطابة،القانون، الرياضيات، الجغرافيا، الموسيقى، الشعر، ...الخ.

كل هذا كان بمثابة مجالات شَعَرَ فيها الآباء بارتياح قياسًا بموقع كل أب الجغرافي، والإطار الاجتماعي الذي نشأ فيه، وشخصيته ودعوته. لدينا في اللغات الشرقية ترجمات للأعمال المكتوبة باللغة اليونانية، بعض هذه الترجمات أنقذت أعمال كُتِبَت باليونانيةِ وفُقدت.

اللغة تُميز الكُتاب الكنسيين في الشكل والمنهج والتوجه. لأن كل لغة تستلزم مناخ فكري مختلف له تأثير كبير أم صغير على صياغة التعليم اللاهوتي الغربي والتعليم اللاهوتي الشرقي يرجع إلي اللغة المستخدمة التي تعبر عن مناخ فكرى مختلف.

خصائص لكتابات الآباء ترجع إلي عوامل أخري:

١ــ **التقليد ذات الشكل الخاص**: الكاتب الكنسي هو حامل لتقليد له علاقة بالكنيسة المحلية التي نشأ فيها الكاتب، وكذلك بشخص قريب تعلم منه الكاتب. والمدرسة التي أنتمي إليها وكذلك الطريقة التربوية التي أنتهجها.

٢ــ **التكوين الخاص**: شخصية الكاتب وتوجهاته الداخلية والمناخ المحيط بكل كاتب هو عامل قوي يجعله مختلف عن الآخرين. هكذا لم ينشغل الكل بكل أنواع الأحاديث.على الجانب الآخر لم يستطع الجميع أن يكتبوا شعرًا أو يعبروا بطريقة شعرية. كانت الموهبة الأدبية مختلفة لكل شخصية على حده. فواحد عنده موهبة في تجميع الشواهد الكتابية وآخر في سرد مبررات منطقية لتوضيح ما يريده وآخر أيضًا متميز بالخطابة، وكذلك آخر متميز بطريقته المؤثرة في سرد القصص. نرى أيضا أب يتميز بدقة رياضية وحسابية في كتاباته وآخر له ميل فلسفي في أعماله.

٣ــ **نوعية المشكلة التي يواجهها الأب** : نوعية المشكلة هي التي كانت تحدد الصفة المميزة للكتابة عند الأب. فالمشكلة في حد ذاتها كانت تفرض طريقة دراسية خاصة ومنهج ولغة معينة.

٤ــ **العصر (الزمن) الذي عاش فيه**: عامل قوي هو الزمن ، ففي القرن الخامس يوجد محتوى تربوي مختلف عن القرن الثاني فالمشاكل مختلفة واللغة مختلفة من حيث الدلالات والمعاني. والأهم من كل هذا هو أن آباء القرن الخامس كانوا يحملون تقليد متسع وأشمل من آباء القرن الثالث مثلاً، فالأولون عبروا عن تعاليم لاهوتية لقرون خمسة ، أما أباء القرن الثالث فعبروا عن تعاليم قرنين فقط من الزمان.

٥ــ **الاستنارة والإلهام**: نتحقق في كل أب من أن الروح القدس أنار وألهم بطريقة خاصة ومميزة تتناسب مع الاحتياجات اللاهوتية للعصر ومع شخصية الأب.

كل العوامل التي ذكرناها انعكست على كتابات الآباء، لكن ليس من المفترض أن نطبقها بصورة صارمة، لأنها مجرد عوامل تساعد على فهم روح الأب وكتاباته وليست معايير بأي حال من الأحوال. لأن استنارة الروح القدس والمساهمة التي بذلها لكي يحل المشكلة التي واجهها هما عاملان أساسيان لفهم النصوص الآبائية. الآباء كانوا أعضاء عاملة مع الله، حققوا ما أراده الله في حياتهم وخدموا الكنيسة وبذلوا جهدًا مضنيًا لأجل خلاص الإنسان.

١٠-الآباء والمجامع الكنسية:

إن كتابات الآباء والمعلمين له علاقة مباشرة مع المجامع سواء كانت هذه المجامع مسكونية أو محلية. هذه العلاقة هي غير محددة وغامضة عند حد معين. فمعظم المجامع المسكونية- يقول البعض- تمت بدون حضور آباء عظام ومعلمين كأعضاء. وهذا لا يعني أن العمل اللاهوتي للمجمع تحرك في غياب مساهمة واحد أو أكثر من الآباء المعلمين. ففي المجمع الأول المسكوني كان **لأثناسيوس** تأثير عميق وحاسم بدون أن يكون عضو في المجمع. بينما في المجمع الثاني المسكوني كان **القديس باسليوس** قد تنيح، و**القديس غريغوريوس اللاهوتي** تغيب لكن التعاليم اللاهوتية للمجمع عبَّرت عن تعاليم هذين الاثنين العظام، الأمر الذي يعني ان نطاق المجمع ليس هو مجرد نطاق مكاني يعطي حل للمشاكل الكبيرة ، يميز المجمع باستنارة الروح القدس الحل المستقيم الموجود فعلاً (خبرة الحق علي الموضوع المجتمعين لأجله)، وكذلك الرأي اللاهوتي المصاغ من بين حلول أخري وآراء معروضة عليه.هذا التمييز والتحقق والتبني والتصديق علي حل لاهوتي مستقيم هو عمل صعب ويتطلب إرشاد الروح القدس[١٣].

إن قادة المجمع هم عادة آباء أساقفة يرعون في الكنيسة، وكُتاب كنسيين، وأيضًا أحيانًا آباء ومعلمون عِظام (على سبيل المثال **القديس كيرلس الاسكندرى** كان عضوًا ورئيسًا للمجمع الثالث المسكوني). لا تُفهم التعاليم اللاهوتية للمجامع وكذلك قراءاتها بدون المساهمة اللاهوتية للآباء والمعلمين، هذه المساهمة كانت

---

[١٣] أنظر كيرلس الإسكندري الرسالة الأولي PG 77, 16B.

تجهز وتُعد الأجواء لقبول الموقف المستقيم من جانب الكنيسة. طبعًا قبول الموقف اللاهوتي الآبائي المستقيم لا يعتمد على موافقة أو عدم موافقة أغلبية الأعضاء بالتصويت مثلاً بطريقة عشوائية. بل يستلزم أساسيات أرثوذكسية وقبول موقف لاهوتي آبائي يتأسس على مبدأين:

١- أن يكون هذا الموقف أو الرأي اللاهوتي الآبائي من تقليد الكنيسة.

٢- أن يكون هذا الرأي نابع من استنارة الروح القدس.

المعيار النهائي والحاسم للتعاليم الآبائية وللمجمع المسكوني هو الحق الإلهي الذي يقدمونه الآباء. أما بقية المعايير هي نسبية وتقبل المناقشة والتفاوض بشأنها.

١١- الآباء وتاريخ الفكر البشري:

إن مكانه الآباء في تاريخ الفكر البشري لم يُقيَّم بعد كما يجب. لذا نعتبر أنه من الضروري التشديد علي الآتي:

أ - إن الآباء لهم الفضل في التعبير عن التعليم اللاهوتي وطريقة تدبير الكنيسة وكذلك البُعد السلوكي الخُلقي للمسيحية.

ب - لقد كان الآباء ممثلون للواقع الفكري الجديد، الذي بدأ في الظهور بتأنس **الكلمة**. هذا الواقع أحدث هزة وتغييراً حقيقيًا للبشرية بدرجة كبيرة وعميقة، فالآباء هم واضعي المقياس الفكري الجديد في العالم.

ج - بالنسبة لتاريخ الأدب العالمي إحتل الآباء مكانة أكثر من ممتازة. أُعتبروا كُتاب عظام ورجال فكر في عصرهم.

د - الآباء الذين كتبوا باليونانية خاصة هم المنقذين العظام للروح اليونانية الكلاسيكية وامتداداً لهذا الكنز الكلاسيكي.

١٢- فهم وتفسير كتابات الآباء:

عمل الأب المعلم هو بمثابة عمل صعب بالنسبة للذين لم يتجاوبوا مع النعمة الإلهية، ومجال مقدس ومليء بعلامات الاستفهام، وهو عمل حقيقي وله بُعد أساسي

ووجودي. إنه صعب لأنه يمثل حدث روحي لا يُقترب منه، ولا يمكن التعبير عنه لمن لا يحيا النعمة الإلهية التي أبدعت هذا العمل. أيضًا بالنسبة للمؤمن أو اللاهوتي ، لم يتوقف الأب أن يكون صعب والحاجة إلى جهاد ونعمة إلهية عنية لمنْ يريد التسلل داخل فكر الأب. الكلام هنا عن حقيقة واقعية ملموسة هي موجودة ويراها العالم، إنما هي شيء آخر يختلف عنه، إن هذا المحتوي الحقيقي للنصوص الآبائية ومميز عن أي محتوي طبيعي وعادي لأنه يمثل التغيير الديناميكي لإنسان مأسوي إلي كائن يشترك في الوجود مع الحق، ويحيا فيه ولأجله. علاقة الأب الديناميكية والحقيقية مع الحق الإلهي، بمعني مع الله الثالوث يجعل هذا الشخص مُميَّز وجذاب. العنصر الحقيقي والمقدس والمتباين أي الغريب في تميزه يصير قطب جذب ومدهش بالنسبة للمؤمنين الذين تذوقوا الحق الإلهي. لكن، في نفس الوقت، العناصر التي تحول الأب إلي قطب جاذب، تجعله . إيجابيًا . محل تصادم. الكلام هنا عن الوجه الآخر للإعجاب الذي يحتوى علي خوف وجُبن من جانب المتلقي أو قارئ النص. بقدر ما يتولد داخله الانجذاب نحوه، يتولد بالقدر نفسه وأيضًا الخوف أمام الشيء الجديد والذي هو غامض وصعب الاقتراب إليه. إن خبرة ما هو إلهي أو الحق الإلهي، والاختطاف إلي السموات مثل بولس الرسول، هي بمثابة شيء ليس من المفترض أن يتحقق دائمًا. ليست هي من ضمن الحالات الدائمة. فالأب ليس في كل لحظات حياته هو عظيم. العظمة هذه تُمنح له في لحظات كثيرة أو قليلة في حياته.

في هذا الإطار نشأت مشكلة كيف نفهم نصوص الآباء؟ البعض يحصر موضوع فهم الآباء في المناهج التاريخية والأدبية والتي هي بمثابة السطح الظاهري، والإطار الذي يحتوى علي جوهر العمل. إذن هذه العناصر غير كافية. في موضوعنا هذا الابتعاد عن عالم الأب يمثل السبب الأول للغموض الذي ينتاب المفسر أمام النص. إذن الابتعاد عن فكر الأب وكذلك عن طريقة التعبير أي المنهج والشكل والأدوات التي أستخدمها في كتابة النص يجعلنا غير فاهمين للنص ولا لتعاليم الأب اللاهوتية. والصعوبة الكبيرة تكاد تنحصر في الاقتراب من فكر الأب نفسه، وكذلك مِن طريقة تعبيره لأنها لا ترتبط فقط بفكر الأب بل تعتمد عليه هو نفسه في استخدامها.

التعبير عن التعاليم اللاهوتية ليس هو أكلشيه ثابت محفوظ بدون استلزامات وشروط ونتائج. لان الأب أخذ الأدوات المستخدمة في محيطه الفكري المعاصر، وعَبرَ عن تعاليمه داخل أبنية فكرية حية في عصره، لكن بطريقة خاصة طوَّعها لخدمة هدفه ولإظهار الحق الإلهي. وهكذا نستطيع أن نقول أن الفهم الصحيح للجوانب الخارجية للتعاليم الآبائية، ونقصد العنصر التاريخي واللغوي والأدبي يتحقق عندما نفهم روح أو فكر الأب نفسه. فبالعناصر الهامة والضرورية: التاريخية والأدبية والاجتماعية المتعلقة بالنص الآبائي إذا جمعها الدارس يستطيع بها أن يعرف الأب ككاتب وأديب ومفكر لكن لن يتعرف عليه كأداة لله والمعبر عن الحق الإلهي الذي يؤَّمن الخلاص.

إذن فِهم فكر الأب ليست مشكلة معرفة بسيطة بخصائص النص الخارجية. كما قلنا. بل هي مشكلة اشتراك في فكره، إنها مشكلة إدراك واستيعاب الأب نفسه والدخول فيه. وانعزال الدارس عن المشاركة والدخول في فكر الأب يعيقه عن فهم النص. في هذه الحالة حيث الدارس يظل منعزلاً بعيدًا عن الله والحق الإلهي الذي ينادي به الأب، لن يستطيع أن يفهم إطلاقًا روح الأب. لأن الأب تخطى مرحلة العزلة وصار في الحق. وكونه في الحقيقة، فإن خبرة الأب صارت قريبة فقط من خلال الطريق الذي أنتهجه الأب نفسه. وهذا الطريق هو تخطي العُزلة والدخول في الحق. تخطي العزلة والإستقرار يتُّمم فقط بالتحرر وبالفداء، بتغير الإنسان وتحوله إلي خليقة جديدة. وروح أو فكر الأب كتعبير للحق هو شيء له علاقة مع فكر الإنسان، إذن يتطلب تغيير جذري لفكر الإنسان هذا ليدخل إلي روح أو فكر الأب، ولا يكفي أي تحسين لفكر الإنسان أو أي عمل ذهني.

إذن فِهم نصوص الآباء هو المشاركة في الخبرة الآبائية للحق بالنعمة الإلهية، والدخول في مناخ الأب الفكري. والدخول يتحقق عندما يتحول الدارس ويتغير تغييرًا جذريًا ليصير خليقة جديدة ويصبح مشاركًا في الخبرات التي يعبر عنها الآباء. والبداية لفهم أي نص آبائي هو محاولة فِهم شخص الأب وفي نفس الوقت عمله. فدراسة الشخصية تُسهل شرح عمله. فأولاً الاقتراب إلي شخصيته ثم بعد ذلك الاقتراب إلي عمله.

١٣-أهمية كتابات الآباء بالنسبة لنا:

أهمية الآباء لعصرنا ليست هي واضحة لان البعض يفترض كيف أن مساهمة الآباء اللاهوتية هي متضمنة في تقليد الكنيسة. بالتالي تعليم وتدبير الآباء هو تعليمنا وتدبيرنا أو على الأقل ينبغي أن يكون. وإذا كان علينا معرفة تعليم الآباء علينا اللجوء إلي كتاب العقيدة لكي نعرف بدون مجهود معلومات عن التعليم الآبائي منظم وموسع بطريقة شاملة. لكن الأمر ليس بهذه السهولة. فالسبب - كما يقول أستاذ الآبائيات ستليانوس بابا دوبلوس - الأول لأهمية الآباء لنا ليس لأجل أن نعرف مَنْ كانوا؟ وما هي تعاليمهم؟ لكن أن نذوق مناخهم الروحي. أن نتحسس آثار الروح القدس في شخصياتهم المقدسة. أن نضع أصبعنا علي صراعهم من أجل الحق. أن نحيا شيئًا من خبراتهم الإلهية، من رؤياهم، من أفراحهم، من أحزانهم، من اختطافاتهم من العالم إلي السماء. نتتبع إيمانهم وثقتهم العميقة في الروح القدس.

ونندهش من شجاعة الآباء علي نحت مصطلحات جديدة في مجال التعالم اللاهوتية. لنتعلم أهمية نمو واتساع التعليم في تقليدنا. لنعرف كم كانوا دمثى الخُلق وكرماء وذو حس رقيق ومشاعر نبيلة. إذن لنتحسس مسيرة الآباء الشخصية لكي نتعرف علي حضور وعمل الروح القدس في العالم. والحقيقة التي يظهرها الروح القدس من خلال شخصيات الآباء في الساعة التي فيها يصارعون، ويدافعون عن إيمان الكنيسة بتعضيد من نعمة خاصة مصدرها الروح القدس نفسه ولكي يصير المرء حامل حقيقي للتقليد المقدس، لابد أن يكون قد تذوق وتحسس وعانى وأختبر الخبرات الآبائية وصراعهم، وصار شاهدًا أمينًا لما كتبوه. هكذا سوف يتعلم التعليم المقدس والأصيل لكي يمارسه ويواجه به مشكلاته المعاصرة. أيضًا نصوص الآباء تمثل عالم يجب أن نعرفه لكي نتتبع مسيرة تاريخ الفكر الإنساني ، فكل العلماء ذودوا علمهم بما وجدوه في كتابات الآباء: المادة التاريخية، الأفكار الفلسفية، اللغات المتنوعة، المعلومات الاجتماعية، عادات الشعوب وأفكارهم. طبعًا الفائدة الكبرى لنصوص الآباء هي فيما يخص التاريخ الكنسي وحياة الكنيسة وتعاليمها.

علم الآباء في إطار كل التعاليم اللاهوتية:

طالما أن الآباء يمثلون التعبير الأصيل للتعاليم الكنسية اللاهوتية، بالتالي الطريقة التي استخدموها للتعبير هي أيضًا أصيلة، هذا بالحري يتمشي مع طبيعة الكنيسة، باستمرار الآباء يوصفون علي سبيل المثال كمفسرين للكتاب، مؤرخي الكنيسة أو اللاهوتيون المدافعون، مؤرخي الهرطقات، معلمي العقيدة. لكن الحقيقة هي أن كل أب . شددنا على هذا الآمر مرات كثيرة . يواجه أساسًا أزمة لاهوتية في عصره ويساهم في بناء المؤمنين. لم يكن هدفه هو التفسير،أو إبرازالعنصر التاريخى أو البُعد العقيدي. لكن لكي يتم عمله أستخدم كأساس بالطبع الكتاب المقدس، محللاً إياه مفسرًا إياه لكي يوضح موضوع لاهوتي معين أو لبناء المؤمنين. بنفس الطريقة الآباء فعلوا هذا الأمر مع التعليم اللاهوتي الذي قدَّموه الآباء السابقين لهم. لقد عبَّروا عن تعليمهم اللاهوتي بوسائل أدبية وفلسفية أو بمقاييس عصرهم، لكن لم يكن أبدًا هدفهم كتابة العقيدة كما نعرفها اليوم. أيضا الآباء كتبوا في اتجاه تفنيد تعليم الهراطقة في عصرهم، لكن لم يكن عملهم الرئيسي أبدًا تفنيد كل الهرطقات السابقة لهم، لأن هذه الهرطقات بالفعل فُنِدتْ. هذا العمل قد مارسه كُتاب كنسيين معينين (على سبيل المثال أبيفانيوس أسقف سلاميس٤٠٣+) الذين كتبوا بالتفصيل براهين اللاهوتيين الأكثر قدمًا والتي بها أثبتوا الفكر الهرطوقي للهرطقات الغنوسية. أيضًا مسألة أن أثناسيوس أهتم بتاريخ المجامع لعصره، لا يعني أن هدفه كان أن يعمل عمل تأريخ. هدفه كان تقديم . بواسطة هذه الحوادث . الحق، لذلك هو لاهوتي بالرغم من لجوءه إلى التاريخ أي ليس مؤرخًا. أما يوسابيوس القيصري، سوزمونوس وغيرهم الذين لم يكونوا آباء معلمون قد كانوا مؤرخين.

طبيعة التعاليم اللاهوتية للآباء تلزمنا أن نضعها في مركز كل التعاليم اللاهوتية لأنها تُمثل في الأساس ضمير أو وعي الكنيسة، ومسيرتها وحياتها. فروع علم اللاهوت اليوم- في الكليات اللاهوتية في العالم- مثل العقيدة ، اللاهوت الراعوي، تاريخ الكنيسة، تفسير الكتاب، تاريخ العقائد لا يُنيرون ولا يحددون علم الآباء، بل على النقيض علم الآباء يُنير هذه العلوم اللاهوتية ويحددها. وهذا لأن كل شيء في التعاليم اللاهوتية للكنيسة كتبه وصاغه الآباء. لأن الله يقود الكنيسة بواسطة الآباء

الذين هم آنيته المختارة. إذن لو أراد أحد أن يعرف باستقامة أي أمر هام تُمم في نطاق الكنيسة ينبغي عليه أن يعرف الآباء وكتاباتهم الموجودة في علم الآباء. لأجل هذا السبب علم الآباء يوجد في مركز أو قلب كل العلوم اللاهوتية. لذا هو منبع أو مصدر لكل فروع علم اللاهوت. إذن ينبغي على علم الآباء أن يفسر ويحلل كتابات الآباء باستقامة (تعاليم لاهوتية)، ومنهج حتى يكون لدى المفسر ومعلم العقيدة ومعلم التاريخ، ومعلم التعليم الراعوي وعلم الوعظ والكارز تقليد أساسي وأصيل يستندون عليه في مسيرتهم التعليمية لفتح آفاق جديدة وتوسع شامل لتعاليمهم. هذه الرؤية تؤَمِن استمرارية التقليد الديناميكي. بقدر ما نقدر الآباء بهذه الطريقة، وبقدر ما يفلح علم الآباء في التفسير المستقيم، علي قدر ما سيكون لدينا أرثوذكسية أصيلة وديناميكية في كل تعاليمنا اللاهوتية بأشكالها المتنوعة.



الفصل الثاني

لمحات من حياة وتعاليم القديس أثناسيوس

أولاً : لمحات من حياة القديس أثناسيوس

وُلِد القديس أثناسيوس بصعيد مصر، حوالي ٢٩٥م ولا نعرف إسمي والديه، إنما كانا مسيحيين[١٤]، تقيين، قد عاشا في الصعيد ثم رحلا إلى الإسكندرية. دَرَسَ أثناسيوس في الإسكندرية الفلسفة واللاهوت في مدرستها المشهورة.

ويروي لنا روفينوس تقليداً جاء فيه أثناسيوس جذب انتباه البابا ألكسندروس، وهو صبي يلعب على الشاطئ مع الصبيان ويمارس المعمودية بوقار. بعد ذلك دعاه البابا ليكون تلميذ له عام ٣١٢م وأقامه قارئاً، في عام ٣١٨ رسمه شماساً وعيّنه سكرتيراً له. وقد صحب الشماس أثناسيوس البابا ألكسندروس إلى المجمع المسكوني الأول بنيقية عام ٣٢٥م، وقد لفت أنظار الجميع بغيرته وقدرته على مقاومة الأريوسية. تنيح البابا ألكسندروس عام ٣٢٨م فانتخب الكهنة والشعب أثناسيوس . رغم معارضة الأريوسيين . ليجلس على كرسي الإسكندرية وكان عمرة وقتذاك ٣٣ سنة.

لقد سام الأب فرمنيتوس كأول أسقف على أثيوبيا باسم " أبّا سلامة الأول" وذلك عام ٣٣٠م، لقد دامت رئاسته ٤٦ عاماً، قضى منها أكثر من ١٧ عاماً في

١٤-اعتمدنا على المخطوط الذي عُثر عليه في أرضية مكتبة دير القديس أنبا مقار ورقة رقم ١٩٩(ب) وقد ذكرة الأب متى المسكين في كتابه : القديس أثناسيوس الرسولي البابا العشرون ، إصدار دير القديس أنبا مقار، الطبعة الأولى ١٩٨١م، ص ٢٣

النفي بسبب مقاومته العنيفة لانتشار الأريوسية التي كان يساندها بعض الأباطرة، ويرى المؤرخ سقراط "بأن فصاحة أثناسيوس في المجمع النيقاوي هي التي جلبت عليه كل البلايا التي صادفها في حياته" (١٥).

وقد نُفي ق. أثناسيوس خمس مرات:

١- **الأولى** إلى مدينة تريف Tréve بفرنسا بعد إدانته في مجمع نقية ٣٣٥م واستمر هذا النفي لمدة سنتين.

٢- **الثانية** إلى روما بعد انعقاد مجمع في أنطاكية ضده ٣٣٩م ولكنه استطاع أن يعود بعد ٧سنوات نفي، كان فيها على كرسي الأسقفية البابا غريغوريوس الكبادوكي.

٣- **الثالثة** هرب فيها إلى الصحراء بعد إدانته في مجمع ميديولانون عام ٢٥٦م وبقي في النفي لمدة ٦ سنوات.

٤- **الرابعة** هرب إلي طيبة حيث عاش وسط الرهبان هناك لمدة سنة ٣٦٢- ٣٦٣م.

٥- **الخامسة** هرب إلى براري مصر ولمدة ٤ سنوات

وقد عاد البابا من النفي الأخير من عمره في سلام، وفي مايو ٣٧٣م رقد في الرب عن عمر يناهز ٧٧ عاماً.

ومن الجدير بالملاحظة أن نذكر أن في مجامع صور وأنطاكية وميديولانون أُتهم البابا أثناسيوس بأنه :

-كان سبباً في قتل الأسقف أرسانيوس . أحد الأساقفة التابعين لمليتوس أسقف أسيوط.

- رفض قبول أريوس في شركة مرة ثانية.

- هدد بمنع شحن القمح من الإسكندرية إلى القسطنطينية.

- إعاقة خطط الأباطرة الأريوسيين في نشر الأريوسية.

١٥- جزء ٢: ٨ تاريخ الكنيسة.

وقد كان الرجوع إلي كرسيه يتم إما بمجمع من الأساقفة الأرثوذكس وإما بضغط الشعب في الإسكندرية وثورته على الإمبراطور.

إن الكنيسة تتذكر دائماً جهاده الإيماني على الدوام وبالذات يوم ٧ بشنس (١٥ مايو) من كل عام.

العوامل التي أثرت على شخصية القديس أثناسيوس:

١- عاش في فترة الاضطهاد العنيف (٣٠٣ - ٣١١م) حيث كان في الثامنة من عمره حتى السادسة عشر، وقد تعرف علي كثير من شهداء الإسكندرية ومعترفيها وصار قلبه ملتهبا بالحب الإلهي مثلهم ومستعد أن يواجه بسببه كل صراع ؛ وآمن بأنه طالما يعمل عمل المسيح فالنصر حليفة . وهذا ما يفسر لنا عدم يأسه قط حتى في اظلم ساعات الصراع ؛ وما اعظم ذلك المثل الذي قيل عنه (كل العالم ضد أثناسيوس وأثناسيوس ضد العالم).

٢- صداقته الحميمة والتصاقه الشديد بمعلمه القديس أنطونيوس وآخرين خلال حياته ؛ كان لها أثرها العميق في المفاهيم اللاهوتيبه له. فالتعليم اللاهوتي بالنسبة للقديس أثناسيوس ليس حقا مجردا إنما هو الحق الذي له أثره في الحياة اليومية. ولذا لم يكن القديس أثناسيوس لاهوتي وعقيدي بالمعني النظري فقط؛ وإنما كان اهتمامه الراعوي غايته هي خلاص النفوس. لذا يقول: ((لم يكن إنسانا صار إلها بل الله صار إنسانا ليؤلهنا)) أي لكي نحمل عملة فينا. لقد قدم أثناسيوس نموذجا رائعا للعلاقة الوثيقة بين العقيدة الكنسية والتقوى؛ إذ يقول ((الإيمان والتقوى حليفان وشقيقان؛ مَنْ يؤمن بالله فهو تقي ومَنْ يسلك في التقوى يؤمن بالأحرى)) (الرسالة الفصيحة ٩ :١١). أيضا لقد دبرت له العناية الإلهية هذه العلاقة الوثيقة مع القديس أنطونيوس؛ وهذه الفرصة للخلوة وذلك حتى لا يشعر في نفيه المتكرر بالغربة بل بالحري يحسبها فرصة حسنة ليمارس فيها الصلاة من اجل شعبة والكتابة إليهم.

٣- تعلن كتاباته عن ذكائه ونقاء شخصيته ؛ إذ نادى بان سبب الهرطقات هو الاعتماد علي العقل دون الايمان؛ لهذا اعطي الأولوية للإيمان ثم بعد ذلك العقل.

٤- في صراعه ضد الهراطقة كان هدفه واضحا وكان قلبه مملوءًا حبًا شديدًا؛ توقًا نحو وحدة الكنيسة؛ فهو لم يصارع من أجل تعبيرات أو كلمات إنما كان يطلب أن يجذب الهراطقة إلي حياه التقوى القائمة علي الحق الإنجيلي

بعض كتابات القديس أثناسيوس

أ ــ كتاباته الدفاعية والعقيدية:

١ - تجسد الكلمة (تتوفر له ترجمة جديدة، إصدار المركز الأرثوذوكسي للدراسات الآبائية، يناير ٢٠٠٣) و ضد الوثنيين (ترجمة أبونا مرقس داود). النص الأصلي موجود في PG 25, 96-197، وقد صدرت عن المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية في أكتوبر ٢٠١٣م ترجمة حديثة عن النص اليوناني قام بها د.جوزيف موريس فلتس.

٢ - المقالات ضد الآريوسيين (إصدار المركز الأرثوذوكسي للدراسات الآبائية: الأولى ١٩٨٤، الثانية ١٩٨٧، الثالثة ١٩٩٣) النص الأصلي موجود في PG 26, 12-526

ب ــ كتاباته التاريخية الدفاعية:

١ - الدفاع ضد الآريوسيين: موجود بالمجلد الرابع،

N.P.N. Vol.4, 97-147

٢ - دفاع إلى الامبراطور قنسطنطيوس: بالمجلد الرابع

N.P.N. Vol.4: 236-253

٣ - دفاع عن هروبه: بالمجلد الرابع N.P.N. Vol.4: 254-265

٤ - تاريخ الآريوسيين: بالمجلد الرابع N.P.N. Vol.4: 266-302

ج ــ كتاباته التفسيرية:

١ - "الرسالة إلى مارسيلينوس على المزامير"

٢ - "تفسير المزامير": غير الرسالة إلى مارسيلينوس وصلتنا أجزاء من هذا الكتاب في سلاسل التفسير Catenae كما وجدت أجزاء من شرح المزامير

بالقبطية الصعيدية ونشرت بواسطة J.David سنة ١٩٢٤.

٣ - "تفسير الجامعة ونشيد الأناشيد":

ذكره فوتيوس ويؤكد أنه لأثناسيوس من أسلوبه المماثل لكل كتاباته الأخرى. ولكن لم يحفظ منه سوى شذرات وجدت في سلاسل التفسير Catenae في ٤ صفحات في Migne P.G 27

٤- شذرات من تفسير التكوين والخروج:

وجدت في سلسلة Catenae لنيسيفوروس شذرات على بعض آيات من سفر التكوين وعلى آية من سفر الخروج ٢٨:٤. كما وجدت شذرات في بعض سلاسل أخرى على سفر أيوب وعلى إنجيلى متى ولوقا وعلى رسالة كورنثوس الأولى.

د ــ الرسائل اللاهوتية الدفاعية:

١ - الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون:

أربع رسائل كتبها حوالى سنة ٣٥٩ أثناء اختفائه بين الرهبان في الصحراء[١٦] . وبالإضافة إلى الرسائل عن الروح، وصلتنا رسالتان إلى سرابيون أيضًا، الأولى كتبها سنة ٣٥٩ وهي ضد القائلين بأن الابن مخلوق. وقد ترجمها المرحوم صموئيل كامل والدكتور نصحى عبد الشهيد ونشرت سنة ١٩٨١ ضمن كتاب " المسيح في رسائل القديس أثناسيوس" والذي أعيد طبعه سنة ٢٠٠٠.

والثانية يروى فيها قصة موت آريوس كما سمعها وهي موجودة بالإنجليزية برقم رسالة ٥٤ من رسائل لأثناسيوس بالمجلد السابق p.464-466

٢ - الرسالة إلى ابكتيتوس أسقف كورنثوس:

كتبت سنة ٣٦٩ ويرد فيها على آراء بعض الآريوسيون والأبوليناريين

---

[١٦] ترجمه إلى العربية (القس مرقص داود في السبعينيات) (ترجمة المركز الآرثوذكسي للدراسات الآبائية عن اليونانية ١٩٩٤).

الذين كان لهم آراء خيالية عن التجسد. هذه الرسالة صارت لها شهرة كبيرة. واستند عليها ابيفانيوس في دحض بدعة أبوليناريوس. وعندما حاول النساطرة أن يزيفوها لخدمة رأيهم كشف القديس كيرلس عمود الدين النص الأصلى السليم الموجود بالأسكندرية، وأشار إليها في رسالته إلى يوحنا الأنطاكى (الرسالة رقم ٣٩).

والرسالة إلى ابكتيتوس تُرجمت ونشرت أيضًا ضمن كتاب المسيح في رسائل أثناسيوس سنة ١٩٨١ وأعاد المركز الأرثوذكسي طبعها سنة ٢٠٠٠.

٣ - الرسالة إلى أدلفيوس المعترف:

كتبها سنة ٣٧٠ للرد على اتهام الآريوسيين للأرثوذكس بأنهم باعترافهم بإيمان نيقية إنما يعبدون المخلوق ويرد أثناسيوس قائلاً إن الكنيسة لا تعبد ناسوت المسيح منفصلاً عن اللاهوت بل تعبد الكلمة المتجسد وهي مثل الرسالتين السابقتين تُرجمت ونشرت سنة ١٩٨١ بنفس الكتاب المذكور وطبعها المركز الأرثوذكسي ثانية سنة ٢٠٠٠م.

٤- الرسالة إلى مكسيموس:

يؤكد فيها أثناسيوس أن إيمان آباء نيقية هو الذي سيسود في النهاية. وقد كتب هذه الرسالة سنة ٣٧١ ضد الذين يجدفون على كلمة الله وبالتالى على الروح القدس. وهي موجودة بنفس المجلد الرابع، N.P.N. Vol.4, p 578-579

٥- رسالة عن قانون إيمان مجمع نيقية:

كتبها حوالى سنة ٣٥٠ يدافع فيها عن قانون نيقية وخاصةً عن تعبير "من جوهر الآب"، وتعبير "مساو Omoousios في الجوهر" . ويبين أن هذه التعبيرات مستعملة في الكنيسة منذ فترة طويلة قبل عصره وأنها وردت عند أوريجينوس، وديونيسيوس الرومانى، وديونيسيوس الأسكندرى، وعند ثيؤغنسطوس. ويقتبس فقرات من

كتاباتهم لهذا الغرض. والرسالة موجودة في المجلد الرابع، N.P.N. Vol.4, p.150-172

العصر الذي عاشه القديس أثناسيوس

منذ تأسيس الإمبراطورية علي يد قسطنطين الكبير (٣٢٤م) وخرج المسيحيون من السراديب وحصلوا للمرة الأولي علي الوجه الاجتماعي والحرية الضرورية للدراسة المتأنية للمشاكل التي نتجت عن معايشة الإيمان. وأصبح المسيحيون مدينون بالعمل والحياة لسيدين: قيصر والمسيح. أن هذه الأحداث جلبت في البداية. علي المسيحيين حماس لانهائي ولكن سريعا ما تغير إلي صراعات درامية من اجل أصالة التعليم.

ومن المسلم بة أن الثلاثين سنة الأخيرة للقرن الثالث أي بعد العمل الهام لديونيسوس الأسكندرى والفكر القيم ليثوغنوستس حقق اللاهوت وحدته الكلية وشيء من الثبات علي الإيمان لكل شي في المسيح كما نادي القديس إيرينيوس.

ملامح العصر الذي عاشه القديس أثناسيوس

١- التقليل من شان الأهمية المولعة لتأنس **الكلمة** وصارت مناقشات عن بداية الشر والتشديد علي قيمة الفكر الفلسفي (التقليد الأسكندرى والتفسير الرمزي) وأجاب القديس أثناسيوس علي هذه الأمور بأعماله الأولي :

+ ضد اليونانيين و + تجسد الكلمة .

٢- عندما ظهرت هذه المسائل والشكوك في هذا المناخ عن كيف كان الخلق ؟ وعن ولادة الابن من الآب؛ وعن الخلاص ؛ قد تطوع أريوس (٣١٨) واتباعه لكي يواجهوا هذه المسائل مستندين علي مبادىء منطقية وفلسفية مع الاحتفاظ بالإطار الكتابي. لم يستطع آريوس أن يفهم علاقة الابن بالآب ولا الخلاص استطاع أن يؤمنه من حيث أن الابن بحسب رأية مخلوق وعندئذ لا يمكن ان يجعل الإنسان يصنع شركة مع الله .

ثم بعد قليل (٣٥٥م) ظهرت هرطقات ضد ألوهية الروح القدس وطبيعتي المسيح.

وهذه الهرطقات ترتبط بشكل مباشر وغير مباشر بآريوس. وبالتالي فان الكنيسة كادت أن تفقد قوتها أي الخلاص إذ تغير مفهوم الخلاص إلى نظام أخلاقي؛ لقد تغير الوجود الكياني جذريا للخلاص. وعلي هذه الأزمة الرهيبة أجاب القديس أثناسيوس بالثلاثة مقالات ضد الآريوسيين.

٣- عندما تدخل الإمبراطور في الأمور الكنسية كانعقاد المجمع نجح آريوس وأتباعه في التأثير علي السلطة المدنية آنذاك مما جعل القديس أثناسيوس يرد علي هذا الموقف وتكلم عن علاقة الكنيسة بالسلطة العالمية وأسس التعليم اللاهوتي للمجمع المسكونى. وقد إضطر القديس أثناسيوس بالرد علي كم من المسائل التي أثيرت في عصره؛ لان الأزمة كانت خطيرة في مواضيع هامة للكنيسة: الله . العالم . الإنسان . الخلق . الثالوث . تجسد الابن . الخلاص . الخرستولوجية . المجامع المسكونية . الروح القدس .

ولا يوجد أب مثل القديس أثناسيوس واجه أزمات كنسية جذرية ومكثفة وهو بذلك يعتبر الأول في ذلك

ظروف أسقفية القديس أثناسيوس وجهاده[١٧]:

وبعد ثلاث سنوات عندما تنيح البابا الكسندروس سنة ٣٢٨م أُختير أثناسيوس بإجماع الأساقفة والشعب خلفًا له رغم أنه كان دون السن القانونية بحسب التقليد الكنسي (Apol. C. Arian. 6) وكان الجمهور ينادى "إنه صالح وقديس وناسك".

ولم تكن مهمته الجديدة سهلة فرغم أن الفكر الآريوسى حُكم عليه في مجمع نيقية إلاّ أنه كان لا يزال له مؤيدون في الإسكندرية، يضاف إلى ذلك مقاومة الميليتيين في الصعيد.

١٧- أنظر د. نصحي عبد الشهيد، القديس كيرلس عمود الدين حياته وتعاليمه، مذكرة للكورسات الآبائية، بالمركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية.

حقبة أسقفية القديس أثناسيوس حتى نياحته ٣٧٣م هي ٤٥ سنة وتنقسم إلى خمسة فترات:

١ - الفترة الأولى من أسقفية القديس أثناسيوس وجهاده: ٣٢٨ــ٣٣٧م

+ زيارته لكنائس الوجه القبلى حتى وصل أسوان.

+ ورحب به باخوميوس ورهبانه (حوالي سنة ٣٢٩) بفرح عظيم. وكانت كل الكنائس بمصر ملتفة حوله.

+ ورسامة فرمنتيوس أسقفًا على أثيوبيا (وهناك احتمال من الوثائق أن يكون ذلك في سنة ٣٥٧م).

+ بدأت المؤامرات ضد أثناسيوس وضد الإيمان المستقيم من الآريوسيين بقيادة يوسابيوس النيقوميدى لتحقيق غرضين:

(١) قبول آريوس في كنيسة الإسكندرية.

(٢) اسقاط أثناسيوس من كرسيه.

واستطاعوا أن يقنعوا الإمبراطور قسطنطين أن يأمر أثناسيوس بقبول آريوس، ولما رفض أثناسيوس تمكن الآريوسيون من عقد مجمع في صور سنة ٣٣٥ ضده وحكم هذا المجمع بعزله. وأمر الإمبراطور بنفيه إلى تريف (حاليًا غرب ألمانيا قرب حدود بلجيكا) وبقى هناك حتى سنة ٣٣٧ (أى حوالي سنتين)، ثم عاد إلى الإسكندرية في نوفمبر سنة ٣٣٧ بعد وفاة قسطنطين الكبير، بأمر قسطنطين الصغير إمبراطور الغرب. وهكذا انقضى النفي الأول.

٢ - الفترة الثانية من ٣٣٧ــ٣٤٦: النفي الثاني (٣٣٩ــ٣٤٦)

+ تجدد الاضطرابات إذ قام الآريوسيون بعقد مجمع في إنطاكيا سنة ٣٣٩ وحكموا بعزل أثناسيوس وعينوا مكانه غريغوريوس الكبادوكى وأدخلوه الإسكندرية بالقوة استنادًا على أمر الإمبراطور قسطنطيوس (إمبراطور الشرق) بعد والده قسطنطين الكبير.

+ ذهاب أثناسيوس إلى روما سنة ٣٣٩ وهناك عقد مجمع برئاسة أسقف روما يوليوس برأ أثناسيوس سنة ٣٤١ ثم عقد مجمع في سرديكا (صوفيا) سنة ٣٤٣ ثبت قرار مجمع روما واعترف بأثناسيوس أنه الأسقف الشرعى الوحيد للإسكندرية. ولكن أثناسيوس لم يتمكن من العودة للإسكندرية إلاّ بعد وفاة الأسقف الدخيل غريغوريوس في سنة ٣٤٥. ووصل أثناسيوس إلى الإسكندرية في أكتوبر سنة ٣٤٦.

٣ - فترة العقد الذهبى (٣٤٦ــ٣٥٦م)

فترة سلام وازدهار روحي غير عادى يسجله أثناسيوس في كتابه "تاريخ الآريوسية" (Hist. Arian., 25.27).

أولاً: أ. بالنسبة للشابات: "كم من عذارى نذرن أنفسهن للمسيح بعد أن كن يطلبن الزواج".

ب- بالنسبة للشبان: "كم من شباب تسلحوا بالغيرة الحسنة بسبب رؤيتهم لنماذج الآخرين، فخرجوا من العالم للحياة الرهبانية".

ثانيًا: إقبال الأُسر على أعمال النسك والتدقيق في الحياة، من صوم وصلاة وصدقة وحضور الاجتماعات الكنسية: "كم من آباء أقنعوا أولادهم وكم من أولاد أقنعوا آباءهم لمزيد من النسك المسيحي".

ثالثًا: دخول المتزوجين في تنافس مع النساك والرهبان، للقداسة بروح إنجيلية: "كم من زوجات أقنعن أزواجهن وأزواج أقنعوا زوجاتهم وتفرغوا للدخول في عهد الصلاة".

رابعًا: تكوين أنظمة شعبية بسبب انفعال المحبة الروحية العملية، لخدمة الأرامل والأيتام من جهة الأعواز الجسدية: "كم من أرامل وكم من يتامى كانوا جياعًا عرايا، وبحماس الشعب امتلأوا شبعًا واكتسوا".

خامسًا: "تكوين اجتماعات روحية في البيوت للصلاة والتسبيح والشكر، حتى صار كل بيت كأنه كنيسة: "كانت غيرة الشعب ومنافسته في الفضيلة

شديدة حتى يكاد يُظن أن كل عائلة وكل بيت قد صار كنيسة، بسبب صلاح الساكنين فيه والصلوات التي يرفعونها أمام الله". "سرور وسط الشعب في كل اجتماعاتهم".

سادسًا: نشاط الخدمات داخل الكنائس والصلوات وعلاقات الأساقفة والكهنة كان يسودها السلام العميق: " أما في الكنائس فكانت هناك موجة من السلام العجيب والعميق، والأساقفة كتبوا من كل ناحية واستلموا من أثناسيوس الرسائل السلامية كالمعتاد" "والسلام هكذا كان يرفرف على الكنائس". " أُلفة بين الأساقفة واتفاقهم في كل مكان".

سابعًا: نشاط ملحوظ في الوعظ والنشرات الدورية لإقناع الآريوسيين والميليتيين بالعودة إلى الكنيسة، وإظهار روح الصفح والقبول: "كم من أعداء تابوا "، "كم من أشخاص اعتذروا له عما بدر منهم نحوه من ظلم أو اتهام بالزور". "كم من أشخاص كانوا معه في عداوة فصاروا في تعاطف وحب"، "كم من أشخاص انحازوا تحت الضغط والإرهاب جاءوا ليلاً وقدموا توبتهم".

٤ - فترة النفي الثالث: (٣٥٦ــ٣٦٢م)

هرب إلى الرهبان في الصحراء. وقضى بينهم سنوات. وفي هذه الفترة كتب "دفاعه إلى الإمبراطور قسطنطين" و"الدفاع عن هروبه"، و" الرسالة إلى الرهبان و"تاريخ الآريوسيين".

بدأت هذه الفترة بهجوم الوالي على كنيسة ثيؤناس أثناء وجود أثناسيوس مع المؤمنين للتسبيح والصلاة فيها. وفرض الأسقف الدخيل جورج الكبادوكي.

موت قسطنطين في ٣٦١، والأسقف الدخيل قُتل في ديسمبر من سنة ٣٦١م. وفي فبراير ٣٦٢ عاد أثناسيوس إلى كرسيه هو وغيره من الأساقفة المنفيين بأمر الإمبراطور يوليانوس.

٥ ـ الفترة من ٣٦٢ـ٣٦٦م:

أ- مجمع الإسكندرية: (سنة ٣٦٢ . النفيان الرابع والخامس)

بعد عودته من المنفي عقد القديس أثناسيوس مجمعًا بالإسكندرية لمعالجة المسائل التي تعطل عودة السلام إلى الكنيسة، وأهم ما اتفق عليه المجمع:

١- قبول كل الأساقفة الذين سقطوا من شركة الكنيسة، عن طريق الاعتراف بإيمان نيقية، وبأن يعترفوا بأن الروح القدس غير مخلوق وأنه من جوهر واحد مع الآب والابن ضمن الثالوث.

٢ - حل الخلاف في فهم معنى الهيبوستاسيس Hypostasis فأشباه الآريوسيين تعودوا أن يقولوا أن هناك ٣ ''هيبوستاسيس'' (أي أقانيم) في الله ولكن الأغلبية كانت لا تزال تفهم بالمعنى القديم أن في الله ''هيبوستايس'' واحد أي جوهر واحد. فهؤلاء الأخيرين يتهمون أصحاب الـ٣ هيبوستاسيس بالآريوسية وهؤلاء يتهمون أصحاب ''الهيبوستاسيس الواحد'' بالسابيلية. وحل المجمع هذه المشكلة بقيادة أثناسيوس الحكيمة . بأن التعليم واحد والاختلاف في التعبير عن المعنى أى بسبب سوء الفهم للألفاظ وهكذا يمكن أن يستعمل كلا من التعبيرين رغم أنه كان يفضل تعبير الهيبوستاسيس بمعنى الجوهر الواحد.

وبفضل قيادة أثناسيوس في هذا المجمع أمكن عودة كثيرين من الأساقفة إلى الكنيسة. ولذلك قال القديس إيرونيموس عن هذا المجمع انه ''بمنهجه التصالحى الحكيم انتزع العالم كله من بين فكى الشيطان'' (Jerome adv. Lucif,20).

ب - الإمبراطور يوليانوس يأمر بطرد أثناسيوس من الإسكندرية (النفي الرابع) فتركها في أكتوبر ٣٦٢م. وبعد وفاة يوليانوس سنة ٣٦٣م عاد أثناسيوس في فبراير سنة ٣٦٤ بأمر الإمبراطور جوفيان المسيحي، مدة نفيه الرابع ١٥ شهرًا.

ج - نُفي أثناسيوس للمرة الخامسة بأمر الإمبراطور فالنز الآريوسى إمبراطور الشرق فخرج أثناسيوس من كنيسة ديونيسيوس في نفس الليلة التي حاول الوالي فيها أن يقبض عليه (٥ أكتوبر ٣٦٥) واختبأ في بيت ريفي كما يقول سوزومين. أما

سقراط المؤرخ فيقول إنه اختبأ ٤ أشهر في مقبرة أبيه.

د . ثار الشعب في الإسكندرية ثورة شديدة مما جعل الإمبراطور يأمر بعودة أثناسيوس في فبراير سنة ٣٦٦. فذهب الوالي ومعه وفد من المدينة وأحضروا أثناسيوس بإكرام كبير من ضواحي المدينة حتى كنيسة ديونيسيوس. وكان يوم فرح عظيم لكل الشعب.

٦ ــ الفترة السلامية الأخيرة (من ٣٦٦ــ٣٧٣).

في ذلك الوقت كان أثناسيوس في عقد السبعينيات من عمره، فقضى فترة سلام ورعاية أمينة لشعبه.

وأيضًا في هذه الفترة حدث تبادل الرسائل بين القديس أثناسيوس والقديس باسيليوس (الذي صار أسقفًا في سنة ٣٧٠ لقيصرية كبادوكية). وحصل باسيليوس على مؤازرة أثناسيوس له في محاربة الآريوسيين في أسيا الصغرى.

وقد عبر باسيليوس في رسائله إلى أثناسيوس عن شعوره باحترام ومديح بلا حدود نحو أثناسيوس. كما دافع أثناسيوس عن أرثوذكسية باسيليوس في مواجهة المشككين فيها إذ قال عنه إنه "أسقف تتمنى أى كنيسة أن يكون هو أسقفها" (رسالة ٦٣ إلى القس بالاديوس N.P.N. Vol 4. p.570).

وفي هذه الفترة . كما يفترض بعض العلماء . كتب أثناسيوس كتابين ضد أخطاء أبوليناريوس . دون أن يذكر فيهما اسم أبوليناريوس الذي كان مشتركًا معه في مجمع الإسكندرية سنة ٣٦٢، وأكد فيهما وجود نفس أو عقل بشرى في جسد المسيح غير اللوغوس الذي هو اللاهوت المتحد بالجسد.

وظل أثناسيوس يكتب ويشرح ويرد على رسائل الذين يستشيرونه من كل كنائس المسكونة في أمور الإيمان ويحل المشاكل العملية المرتبطة بتثبيت الكنائس في مواجهة الآريوسيين، ويؤازر كل أسقف مضطهد وكانت رسائله ومشوراته ذات تقدير كبير عند كل أساقفة المسكونة.

وتنيح القديس أثناسيوس يوم ٧ بشنس سنة ١٩ للشهداء (٢ مايو ٣٧٣م) وله من العمر ٧٧ عامًا.

ثانياً : لمحات من تعاليم القديس أثناسيوس

لا وجود للشر أو لا كيان للشر

يبدو ان تعاليم بولس الرسول اللاهوتية والقديس ايرينيوس عن أن المسيح يجمع كل شيء فيه، وإعادة خلق كل شيء في المسيح قد نُسي تماما في بدايات القرن الرابع ، وقد رأى القديس أثناسيوس هذه النتائج الوخيمة والمخيفة وأجاب علي هذه الأمور المنحرفة مشددا علي أن الشر ليس له كيان خاص به مثلما اعتقد كثيرون من اليونانيين (ضد اليونانيين ٦) فالشر ابتدعه الإنسان الذي خُلِقَ علي صوره الله ومثالة من العدم . إن عدم وجود الشر وعقيدة الخلق من العدم يشددان علي أن الثالوث القدوس هو منبع الوجود الصالح ؛ وان مَنْ يصنع شركة مع الحياة الحقه (الله) يكتسب وجودا ؛ علي الجانب الآخر لا يوجد تماثل بين الله والمخلوقات (ضد الآريوسين ١: ٥٧) لقد شدد القديس أثناسيوس علي التمييز بين الله والمخلوقات ((وعندما كان في العالم لم يشارك في طبيعته؛ بل بالعكس استمدت منة كل الأشياء الحياة والقوت)) (تجسد الكلمة ١٧: ٦)

السقوط هو الرجوع إلى العدم

لقد ابتعد الإنسان عن الله والتف حول ذاته وحول العالم (ضد اليونانيين ٣) وهذه الحالة يسميها القديس أثناسيوس الرجوع إلى الحالة الأولى ((بحسب الطبيعة)) والتي تتطابق مع العدم الذي منه ينحدر البشر. هكذا الخطية؛ والسقوط؛ والموت؛ والشر؛ وعبادة الأوثان يتطابقون ((وهكذا خلق الله الإنسان وكان قصده أن يبقى في غير فساد. أما البشر فإذ احتقروا التفكير في الله ورفضوه، وفكروا في الشر وابتدعوه لأنفسهم كما أشرنا أولاً، فقد حُكِمَ عليهم بحُكْم الموت الذي سبق إنذارهم به، ومن ذلك الحين لم يبقوا بعد كما خُلقوا، بل إن أفكارهم قادتهم إلى الفساد ومَلَك عليهم الموت. لأن تعدي الوصية أعادهم إلى حالتهم الطبيعية، حتى أنهم كما وُجِدوا من العدم هكذا أيضًا بالضرورة يلحقهم الفناء بمرور الزمن.)) (تجسد الكلمة ٤: ٤).

ولأن الإنسان كان يجب أن ينظر إلي نفسه ليرى صوره الله من حيث أنة له

علاقة بالله ؛ لكن بعد السقوط تشوهت العلاقة ولم يعد لدى الإنسان رؤية الله مما نتج عنة علاقة غير صحيحة بالعالم وغرق الإنسان في أمور خيالية أي ليس لها وجود (ضد الوثنيين٨). هذه هي بالضبط العبادة الوثنية ؛ وحياه اللاوجود بحسب الطبيعة. وبذلك نفهم تشديد القديس أثناسيوس علي وصف آريوس بأنه غير مؤمن أو ملحد إذ أنة يعتبر الابن مخلوق ويساويه بالمخلوقات التي لها وجود فقط لأن لها علاقة وشركة مع الله أي ليس لها وجود خاص بها وبذلك لن يكون الابن. في رأية . مساوي للآب في الجوهر .

إن الإنسان. بحسب رأي القديس أثناسيوس. مستحيل من نفسه أن يحصل مرة ثانية علي شركة ومعرفة الله ، وبالتالي لن يحقق وجوده الحقيقي. إن ضعف الإنسان هو المأساة؛ لقد رفض الفروق بينة وبين الله الخالق؛ هو لا يعرف نفسه ولا الله ولا العالم ولا يستطيع أن يقر بان الله هو الخالق وهو نفسه كانسان مخلوق (أنظر تجسد الكلمة ١).

اللوغوس تجسد لكي يرفعنا ويجدد خلقتنا بحسب صورة الله

إن الحالة العدمية الساقطة جعلت القديس أثناسيوس يجاهد؛ إذ أراد أن يرفع الإنسان من اللاوجود؛ لقد عانى لكي يبرهن على أن الله تدخل تدخلاً صميميًا في تاريخ البشرية؛ أي التدبير الإلهي. إن الإستلزامات لهذا التدخل هو صلاح الله. لا يوجد دافع إلا صلاح الله الذي يريد أن يرى الإنسان مره أخرى سعيداً أي موجوداً وجوداً حقيقياً .

أيضا الصوره الإلهية والتي سطرها **الكلمة** في الإنسان أثناء خلقه، فبحسب القديس أثناسيوس: الصلاح لم يتغير والصورة الإلهية في الإنسان لم تُفقد، بقدر ما إظلمت؛ وأنها لم تعمل لكن هي موجودة. وتدخل الله من محبته للبشر لكي تُشفي وتتجدد. إن الصورة الإلهية في الإنسان صارت مكان يقبل تدخل الله بواسطة **الكلمة**. لذا يتكلم القديس أثناسيوس باستمرار عن **الكلمة** الخالق؛ الذي يجدد صورته الخاصة في الإنسان، إذ هو نفسه صوره الآب. **فالكلمة** ((يطبع)) في الكائن نفسه ((الصورة)) المخلوق عليها والتي إنطفئت بالسقوط (ضد اليونانيين ١٤)

والكلمة يفعل هذا لأن بدون ذلك كيف يري الإنسان صورة الآب داخلة؛ كيف سيعرف الآب ؟ أي طريقة أخرى لمعرفة الله أي نظام لمعرفة الله لا يوجد إلا بالتأنس. الله لا يُعَلِم بصرخات ودخان وسحب مثلما في العهد القديم.

تعليم أريوس و ((الولادة الطبيعية)) للابن بحسب القديس أثناسيوس :

١ــ أدخل آريوس بداية الزمن في حياة الثالوث الأقدس

يدعي آريوس أن غير المولود هو فقط ؛ واحد وهو الله والابن خُلِق في الزمن بإرادة الله. هذا الاعتقاد قد انتشر انتشار سريعا آنذاك ؛ بسبب أن هذا الفكر فلسفي وموجود عند التعاليم الأفلاطونية عن الكائنات وأيضا بسبب موهبة آريوس علي الإقناع . لقد أجاب القديس أثناسيوس من مبدأ أرسطو: بان الألوهية لا تقبل ((سابق ولاحق)) " Qubina4,219B" ((لأننا نري أن **الكلمة** موجود دائما؛ و وجودة هو من الآب ومن جوهرة وليس عنده سابق ولاحق)) [ضد الأريوسيين ٢: ٣٣]

٢ــ الولادة الطبيعية للابن بحسب القديس أثناسيوس

إن الولادة الطبيعية للابن من الآب . يجيب القديس أثناسيوس . هي غريبة عن مفهوم الزمن ؛ وقد يمثل تعليمة هذا تضاد مطلق مع المناخ الفلسفي الآريوسى؛ واستخدم هذه المصطلحات:

الولادة من الجوهر (ضد الأريوسين٢: ٣٤)

(الابن هو **الكلمة** ذاته حسب الطبيعة الخاصة بجوهر الله) (ضد الأريوسين ٢: ٣١)

إن الولادة الطبيعية تستلزم تطابق بين الوالد والمولود. بالتالي فان الابن له طبيعة الآب؛ هو واحد معه في الجوهر، مثل الإنسان: الابن له طبيعة أو جوهر أبية.

وفي نفس الوقت يرفض رفضا مطلقا بان الولادة الطبيعية لها شأن بالإرادة الإلهية؛ لان الإرادة هذه تعلن في الزمن. وبناء علي ذلك فان الابن الطبيعي هو فوق الزمن؛

لذا هو أزلي مثل أبيه الطبيعي. وكما أن الشمس توجد دائما مع الشعاع والنور هكذا الابن كائن أزلي مع الآب (ضد الآريوسين ١:٢٧) . فالشمس لا توجد بدون نور ؛ والينبوع بدون ماء ؛ مثلما لا يوجد الله الآب بدون ابن أزلي (الرسالة الرابعة ضد الأريوسين ٢٧-٢٩).

وبخلاف ذلك سيكون هناك فراغ و مسافة بين الآب والابن؛ أي أن الله لم يكن أب ثم صار بعد ذلك بولادة الابن. علي العكس يشدد القديس أثناسيوس بأن ((الولادة هي بلا ألم أو شهوه ؛ وإنها أزلية ولائقة بالله)) (ضد الأريوسين ١:٢٨) .

علي الجانب الأخر ؛ فان كل مَنْ لا يأتي بالولادة الطبيعية هو من خارج؛ خُلِق من عدم في الزمن؛ أي له طبيعة مختلفة عن الخالق ؛ هو مخلوق (ضد الآريوسين ١:٢٧) يوضح القديس أثناسيوس هذا الأمر في الرسالة الثانية :٣٥ :

(لأنة مثلما يكون الذي يلد ؛ هكذا يكون بالضرورة المولود منة أيضا. ومثلما يكون ((أب **الكلمة**)) هكذا يكون أيضا **كلمته**. وعلى هذا فبما أن الانسان يولد في وقت ما فهو نفسه يلد ابنة أيضِا في وقت ما. وحيث أن الإنسان قد وجد من عدم ؛ لذلك فأن كلمته تتوقف ولا تبقي. أما الله فهو ليس كالإنسان لان هذا ما قاله الكتاب لكنة هو ((الكائن)). وهو الموجود دائما ولهذا فان **كلمته** أيضا كائن و أزلي مع الآب مثل إشعاع النور. (ضد الآريوسين ٢:٣٥)

وقد خصصنا الفصل الثالث عن الإيمان الصحيح بألوهية الإبن كما شرحها القديس أثناسيوس، لأن هذا الإيمان هو الإعلان النابع من الكتب المقدسة.



الفصل الثالث

الإيمان المستقيم بألوهية الإبن

الإيمان الصحيح بألوهية الابن:

إن الإيمان الصحيح النابع من الكتب الإلهية . عند القديس أثناسيوس . هو سراج لنا على المنارة ، إذ يقول : " ابن حقيقى حسب الطبيعة للآب ومن نفس جوهره. وهو الحكمة وحيد الجنس وهو **الكلمة** الحقيقي الوحيد لله. وهو ليس مخلوقاً ولا مصنوعاً. ولكنه مولود حقيقي من ذات جوهر الآب. ولهذا فهو إله حق إذ أنه واحد في الجوهر مع الآب الحقيقى" [ضد الآريوسيين ١ :٩].

بالنسبة للكائنات الأخرى. التي قال لها: "أنا قلت: أنتم الهة" (مز٨٢:٦)، فالقديس أثناسيوس يؤكد على ان هناك إختلاف عظيم بينها وبين الإبن، إذ يقول: " إنها حصلت على هذه النعمة من الآب وذلك فقط بمشاركتها **للكلمة** عن طريق الروح القدس". **أما عن الإبن يقول القديس أثناسيوس:** " هو رسم جوهر الآب هو نور من نور، وهو قوة وصورة حقيقية لجوهر الآب. لأن هذا ما قاله الرب أيضاً: "من قد رآنى فقد رآى الآب" (يو١٤:٩). فهو كان موجوداً دائما. وهو كائن كل حين، ولم يكن قط غير موجود. وكما أن الآب أزلى، هكذا أيضاً فأن **كلمته** وحكمته يجب أن يكون أزلياً" [ضد الآريوسيين ١:٩]. هكذا هناك فرق جوهري بين الابن بكونه الله بحسب الطبيعة والبشر الذين نالوا نعمه القداسة بواسطة مشاركتهم **للكلمه** عن طريق الروح القدس. بالتالي التأله المرفوض هو الذي ينادي بأن البشر تتغير طبيعتهم البشرية إلى طبيعة إلهية. حاشا!

الإبن بحسب الآريوسيين

يقول الآريوسيون: "إن الله لم يكن دائماً أباً. ولكنه صار أباً فيما بعد. والابن لم يكن موجوداً دائماً، لأنه لم يكن موجوداً قبل أن يولد. وأنه ليس من الآب، ولكنه هو أيضاً خُلِقَ من العدم. وهو ليس من نفس جوهر الآب لأنه مخلوق ومصنوع"؟ وأن بحسب زعمهم "المسيح لم يكن إلها حقيقياً، بل هو نفسه صار الهاً بالمشاركة. والابن لم يعرف الآب معرفة تامة، والكلمة لم ير أباه بصورة كاملة. والكلمة الحقيقى الوحيد للآب، ولكن بالأسم فقط يدعى كلمة وحكمة، وهو بالنعمة فقط يدعى ابناً وقوة. وهو ليس غير قابل للتغير مثل الآب، ولكنه متغير بالطبيعة كالمخلوقات. وهو قاصر عن إدراك معرفة الآب إدراكاً كاملاً" [ضد الآريوسيين ١:٩].

رد القديس أثناسيوس:
الابن أزلى وغير مخلوق

إن عبارة الآريوسيين "كان وقت لم يكن فيه الابن موجوداً" هي خاطئة، إذ يقول القديس أثناسيوس متسائلاً: "ما المقصود بالوقت الذي لم يكن فيه الابن موجوداً؟ فإن كنتم تشيرون بهذا إلى الآب. فإن تجديفكم يكون أعظم. لأنه من غير اللائق أن يقال عنه "كان في وقت ما" أو أن يشار إليه بكلمة "وقت". لأنه كائن دائماً وهو موجود الآن. وحيث أن الابن أيضاً موجود فهو (الآب) أيضاً موجود، وهو نفسه الكائن. وأبو الابن. فإن كنتم تقولون أن الابن كان موجوداً مرة، حينما لم يكن موجوداً، فالجواب هو أن هذا كلام صبيانى أحمق. إذ كيف يكون هو نفسه موجوداً وغير موجود؟ وإذ تجدون أنفسكم في حيرة أمام هذا التضارب في الأقوال، فإنكم يمكن أن تقولوا، أنه كان هناك "وقتاً ما" حينما لم يكن الكلمة موجوداً، لأنه هذا هو المعنى الطبيعى لظرف الزمان "وقتاً ما" الذي تستخدمونه. والقول الذي سجلتموه بعد ذلك هو "الابن لم يكن موجوداً قبل أن يولد". هو مساو تماماً لقولكم "كان هناك وقت ما لم يكن موجوداً" فسواء هذا القول أو القول الآخر، فكلاهما يعنى أنه كان هناك زمن سابق على الكلمة. إذن من أين أتيتم بهذه الأقوال؟ لماذا تزمجرون كالأمم وتقولون كلمات فارغة زائفة ضد الرب

وضد مسيحه[١٨]؟''.

ثم يسرد القديس أثناسيوس تعبيرات الكتب المقدسة عن المخلص، قائلاً:
''لأنه لم يسبق لأى كتاب من الكتب المقدسة أن استخدم تعبيراً مثل هذه التعبيرات عن المخلص، بل بالأحرى تقول عنه ''الدائم''، ''الأزلى'' والمشارك دائماً مع الآب في الوجود، في البدء كان الكلمة، وكان الكلمة عند الله. وكان الكلمة الله''[١٩] ويقول عنه في الرؤيا ما يلى ''الكائن والذي كان والآتى''[٢٠] فمن يستطيع إذن أن ينتزع الأزلية من ذلك ''الكائن''. ''والذي كان'' ولأجل هذا الأمر عينه كتب بولس وهو يتكلم عن اليهود في الرسالة الى أهل رومية قائلاً ''ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن فوق الكل الهاً مباركاً الى الأبد''. وحين كان يتكلم مع الأمميين قال ''لأن أموره غير المنظورة ترى بوضوح منذ خلق العالم مدركة بواسطة المصنوعات قدرته السرمدية وألوهيته''[٢١] وما هي قدرة الله؟. هو نفسه يعلم في مرة أخرى قائلاً ''المسيح هو قوة الله وحكمة الله''[٢٢] أنه بالتأكيد لم يكن يقصد الآب بهذه الكلمات، كما كنتم تتهامسون كثيراً فيما بينكم قائلين أن ''الآب إنما هو قوته الأزلية'' ولكن الأمر ليس هكذا. لأنه لم يقل أن الله ذاته هو القوة'' بل أن ''القوة هي قوته''. فمن الواضح الجلي للجميع أنه استخدم الهاء في قوته (ضمير الاضافة في الغائب المفرد) ولم يستخدم ''هو'' (ضمير الغائب المفرد في حالة الفاعل) ولكنه ليس غريبا (عن الاب) بل هو (الابن) خاص به ذاته[٢٣]. أقرأوا أيضاً سياق الكلام ''وأرجعوا إلى الرب''. ''وأما الرب فهو الروح''[٢٤]، وسترون أن هذا النص يشير إلى الابن'' [ضد الآريوسيين ١:١١].

---

[١٨]– مز ٢:١.

[١٩] يو ١:١.

[٢٠] رؤ ١:٤.

[٢١] يو ١:٢٠.

[٢٢] ١كو١:٢٤.

[٢٣] أى أن القوة منسوبة للآب وخاصة به. ولكنه لم يقل أن الاب نفسه هو القوة ذاتها. بل أن الابن هو قوة الاب.

[٢٤] كو٣:١٧.

الكلمة والخليقة

يحذر القديس أثناسيوس الآريوسيين من السقوط في فخ كاذب بأن " الخليقة في طاقتها بذاتها وحدها أن تعرف الله بدون الابن" حتى لا يظنوا: " أنه بدون الابن أيضاً قد خلقت الخليقة". لذا يؤكد على أنه "إن كانت الخليقة قد خلقت عن طريق الابن، وأنه "فيه تثبت (تقوم) كل الأشياء في الوجود"[٢٥] . فأن الذي يتأمل الخليقة بطريقة مستقيمة، فلابد أن يرى أيضاً بالضرورة **الكلمة** الذي خلقها. ومن خلال **الكلمة** يبدأ أن يدرك الآب" [ضد الآريوسيين ١٢:١]. **ثم يستمر القديس أثناسيوس، قائلاَ :**

"وحينما يقول القديسون "الكائن قبل الدهور"، "والذي به صنع الدهور" فإنهم بذلك يبشرون بخلود الابن وأزليته. وهم حينما يقولون الابن فهم يقصدون الله نفسه.

ولذلك يقول أشعياء "الله الأبدى، خالق أطراف الأرض"[٢٦] وقالت سوسنه "أيها الاله الأزلى"[٢٧]. أما باروخ فكتب "قد صرخت إلى الأبدى مدى أيامى"[٢٨] وبعد قليل يقول "لأنى أنا أعتمدت في رجائى على الأبدى، لأجل خلاصكم، وغمرنى فرح من لدن القدوس"[٢٩]. لذلك يقول الرسول أيضاً وهو يكتب للعبرانيين: "الذي (الابن) وهو بهاء مجده وصورة جوهره"[٣٠] وداود ينشد في المزمور التاسع والثمانين قائلاً "فليكن بهاء الرب الهنا علينا"[٣١]. وأيضاً "بنورك سنرى النور[٣٢]" ثم يتساءل القديس أثناسيوس قائلَا:

---

[٢٥] كو ١٧:١.

[٢٦] أش ٢٨:٤٠.

[٢٧] دانيال (سوسنة ٤٢).

[٢٨] باروخ ٢٠:٤.

[٢٩] باروخ ٢٢:٤.

[٣٠] عب ٣:١.

[٣١] مز ١٧:٨٩.

[٣٢] مز ١٠:٣٥ (في ترجمة جمعية الكتاب المقدس مز ٩:٣٦).

" فمَنْ يكن حمقا لدرجة أنه يشك في أن الابن كائن على الدوام؟. لأنه من رأى نوراً قط بدون بريق وميضه. حتى يقول عن الابن أنه "كان هناك وقت ما لم يكن فيه موجوداً"، أو "أن الابن لم يكن موجوداً قبل أن يولد"؟ وما قيل في المزمور الرابع والأربعين بعد المائة موجهاً قوله للابن "مملكتك مملكة كل الدهور"[٣٣] [ضد الآريوسيين ١٢:١].

ثم يقرر القديس أثناسيوس بحسم : " فلا يجوز لأى شخص. أن يتخيل أى فترة. مهما كانت وجيزة. لم يكن فيها **الكلمة** موجوداً. لأنه ان كانت كل فترة زمنية تقاس من خلال الدهور، و**الكلمة** هو ملك وصانع كل الدهور" [ضد الآريوسيين ١٢:١]. هكذا يؤكد القديس أثناسيوس أن ما تقوله الكتب المقدسة عن الابن يبرهن أنه أزلى. أما ما يتفوه به الأريوسيون متشدقين بالألفاظ: "لم يكن". "من قبل" ، "متى؟" فإن الكتب المقدسة تشير بهذه الألفاظ الى المخلوقات. ويستشهد بأمثلة من الكتب المقدسة، قائلاَ: " عندما تحدث موسى عن الأمور المختصة بتكوين الخليقة، قال "كل خضرة الحقل لم تكن بعد في الأرض وكل عشب الحقل لم يكن قد نبت بعد لأن الله لم يكن قد أمطر على الأرض، ولا كان إنسان ليعمل في الأرض[٣٤] وجاء في التثنية "حين قسم العلى، الشعوب"[٣٥]. وكان الرب يقول عن نفسه "لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأني قلت أني ماض إلى الآب، لأن أبى أعظم منى. وقد قلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون"[٣٦]. أما عن الخليقة فيقول على فم سليمان "قبل خلق الأرض. قبل صنع الأعماق. وقبل تدفق ينابيع المياه. وقبل أن ترسخ الجبال. وقبل جميع التلال. ولدنى"[٣٧] وأيضاً "قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن"[٣٨] ويقول عن أرميا "قبل أن أصورك في الرحم عرفتك"[٣٩]

٣٣ مز ١٣:١٤٤ (أى مز ١٣:١٤٥).

٣٤ تكوين ٥:٢ (الترجمة السبعينية).

٣٥ تث ٨:٢٢.

٣٦ يو ٢٨:١٤،٢٩.

٣٧ أم ٢٣:٨ — ٢٥ (السبعينية).

٣٨ يو ٥٨:٨.

٣٩ أرميا ٥:١.

وداود يرنم قائلاً "يارب صرت لنا ملاذاً من جيل إلى جيل. قبل تكوين الجبال. أو قبل خلق الأرض والمسكونة منذ الأزل وإلى الأبد أنت هو"[٤٠]. وفي سفر دانيال "وصرخت سوسنة بصوت عظيم وقالت،: أيها الإله الأزلى العارف بالخبايا، والعالم بكل الأشياء قبل حدوثها"[٤١] [ضد الآريوسيين ١:١٣].

وهكذا إذن [يظهر أن الألفاظ "لم يكن في وقت ما". و "قبل أن يصير". و"عندما" ومثل هذه التعبيرات انما تنطبق على الكلام بخصوص المنشآت والمخلوقات التي جُبلت من العدم. ولكنها غريبة تماماً بالنسبة **للكلمة**] [ضد الآريوسيين ١:١٣].

البنوة الإلهية تختلف عن البنوة البشرية

يؤكد القديس أثناسيوس على الفرق الشاسع بين الولادة الإلهية والولادة البشرية، قائلاً : "الابن لم يولد (من الآب) كما يولد انسان من انسان، حتى يعتبر انه قد جاء الى الوجود بعد وجود الآب، بل هو مولود الله، ولكونه ابن الله الذي هو من ذاته (من ذات الله) الموجود من الأزل. لذلك فإنه هو نفسه (أى الابن) موجود من الازل. فبينما خاصية طبيعة البشر أنهم يلدون في زمن معين. بسبب أن طبيعتهم غير كاملة. أما مولود الله فهو أزلى، بسبب الكمال الدائم لطبيعته. فإذا لم يكن ابناً. بل مخلوقاً وجد من العدم، فعليهم أن يثبتوا ذلك أولاً. وبعد ذلك إذ يتصورونه مخلوقاً. يمكنهم أن يصيحوا قائلين "كان هناك وقت عندما لم يكن الابن موجوداً، لأن المخلوقات لم تكن موجودة قبل أن تخلق" أما أن يكون هو ابناً. كما يقول الآب وكما تنادى به الكتب المقدسة. فإن "الابن" ليس شيئاً آخر سوى أنه المولود من الآب. والمولود من الآب هو **كلمته** وحكمته وبهاؤه" [ضد الآريوسيين ١:١٤] **ثم يتسائل قائلاً :**

متى كان النور في وقت ما بدون بهاء ؟
متى كان النبع جافاً بدون ماء ؟

---

[٤٠] مز ٨٩ (٩٠): ١ — ٢.

[٤١] دانيال (سوسنة٤٢).

لقد إحتفظ الآريوسيين بإسم الإبن حتى لا يُدانوا علناً أمام الجميع ، إلا أنهم ينكرون أنه مولود من جوهر الآب حتى لا يتجزء جوهر الآب وينقسم إلى أقسام. ومشكلة الآريوسيين . كما يقول القديس أثناسيوس . أنهم يتصورون أفكاراً جسدية وينسبونها للإبن غير الجسدي [ضد الآريوسيين ١:١٥] . **يؤكد القديس أثناسيوس على أن الإبن من نفس جوهر الآب ، إذ يقول :**

” الآب يقول ”هذا هو ابني الحبيب“[٤٢] وأيضاً يقول الابن أن الله أبوه[٤٣]. فيكون واضحاً إذن. أن ما يشترك فيه ليس من الخارج. وإنما هو من جوهر الآب. ومرة أخرى. إن كانت هذه المشاركة. شيئاً آخر. غير جوهر الابن، سيحدث نفس الخطأ، إذ في هذه الحالة . سيكون هناك شيء في الوسط بين ما هو من الآب وبين جوهر الابن أياً كان هذا الشيء“ (ضد الآريوسيين ١:١٥). ويستمر القديس أثناسيوس، قائلاً: ” وحينما نقول أنه ”ابن“ و ”مولود“ فلا يعني هذا تغيراً ولا تقسيماً لجوهر الله. بل بالاحرى، نحن نعرف أنه ابن الله الوحيد الجنس، الأصيل والحقيقى. وهذا هو ما نؤمن به“ [ضد الآريوسيين ١:١٦].

خطورة أن نقول إن الإبن مخلوق من العدم

يؤكد القديس أثناسيوس أن المولود من جوهر الآب هو الابن ، هو نفسه حكمة الله **وكلمته** والذي به ومن خلاله خلق (الآب) كل الأشياء. والذي به يعلن نفسه لأولئك الذين يريد أن يعلن لهم. أيضاً هذا المولود هو صورة الآب، التي فيها يُرى ويُعرف، لذا مَنْ يرى الابن فإنه يرى الآب أيضاً. ومن هنا تأتي خطورة أن نقول إنه مخلوق مثل كل المخلوقات، لأن هذا الإبن هو المسيح، الذي به قد أفتديت كل الأشياء. وبه أيضاً خلقت الخليقة الجديدة[٤٤] [ضد الآريوسيين ١:١٦].

أيضاً يوضح القديس أثناسيوس الفرق بين كلمة الله الأزلي وبين كلمة البشر، قائلاً: ” أن الانسان يولد في وقت ما، فهو نفسه يلد ابنه أيضاً في وقت

---

[٤٢] متى ١٧:٥.

[٤٣] يوحنا ٥:١٨.

٤٤- أنظر ٢ كو٥:٧.

ما. وحيث أن الانسان قد وُجد من العدم، لذلك فإن كلمته تتوقف ولا تبقى. أما الله فهو ليس كالانسان لأن هذا ما قاله الكتاب. لكنه "هو الكائن". وهو الموجود دائماً، ولهذا فإن **كلمته** أيضاً كائن وأزلى مع الآب مثل إشعاع النور.

وكلمة البشر تتركب من مقاطع وهي لا تحيا ولا تعمل شيئاً، بل تعبر فقط عن قصد المتكلم. وبمجرد أن تخرج من الفم تضيع ولا تظهر بعد حيث أنها لم تكن موجودة إطلاقاً قبل أن يُنطَق بها، ولهذا فهى لا تحيا ولا تعمل شيئاً. وهي ليست انساناً إطلاقاً. بل يحدث لها هذا. كما سبق أن قلت. لأن الانسان الذي ولدها طبيعته نفسها هي من العدم. أما **كلمة** الله فهو ليس مجرد كلمة منطوقة مثلاً قد يقول أحد، ولا هو همس كلمات. وليس "الابن" هو أمر صادر من الله، بل هو كإشعاع النور مولود كامل من كامل. ولهذا فهو الله كما أنه صورة الله. لأنه مكتوب "وكان الكلمة الله" (يو ١:١). في حين أن كلام البشر لا يستطيع أن يعمل شيئاً، ولهذا فإن الانسان لا يعمل بواسطة الكلمات، بل بيديه. لأن يديه لهما وجود أما كلمته فليس لها وجود فعال. لكن **كلمة** الله يقول الرسول: "كلمة الله حيّ وفعال. وأمضى من كل سيف ذى حدين. وخارق إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميز لأفكار القلب ونياته. ولا توجد خليقة غير ظاهرة أمامه، بل كل شيء مكشوف وعريان لعيني ذاك الذي نقدم له الحساب" (فهو إذن خالق "وبغيره لم يكن شيء واحد")، ولا يمكن أن شيئاً يكون بدونه" [ضد الآريوسيين ٢:٣٥].

الابن الوحيد والثالوث

يؤكد القديس أثناسيوس على أن إنكار ألوهية الإبن يمثل هدم للثالوث القدوس، إذ يقول : "ان كان الله خالقاً وصانعاً. وهو يخلق مخلوقاته بواسطة الابن، ولا يستطيع أحد أن يرى الأشياء المخلوقة بأية طريقة أخرى. سوى بإعتبارها مخلوقة بواسطة **الكلمة**، أفلا يكون تجديفاً. إذ بينما أن الله هو الخالق. يأتى أحد فيقول أن **كلمته** الخالقة وحكمته لم تكن موجودة في يوم ما؟ فإن هذا مشابه للقول. بأنه حتى الله لم يكن خالقاً. إذ أنه لا يملك كلمته الخالق الذاتى. الذي هو منه، بل ما يخلق به، إنما يكون (في هذه الحالة) قد جلب إليه من خارجة، ويكون غريباً عنا. ويكون غير

مماثل له حسب الجوهر" [ضد الآريوسيين ١ :١٧]. **ثم يستمر في برهانه بطريقة منطقية، قائلاً:** "إن لم يكن **الكلمة** دائماً أزلياً مع الآب، فلا يكون الثالوث أزلياً، بل واحد مفرد هكذا كان من قبل. وفيما بعد صار ثالوثاً بالإضافة. وهكذا بمرور الزمن. حسب رأيهم. فقد تزايدت المعرفة عن الله وتشكلت. وأيضاً إن لم يكن الابن مولوداً ذاتياً لجوهر الآب، بل قد خُلِقَ من العدم. إذن يكون الثالوث قد تَكوَّن من العدم. وكان هناك وقت ما عندما لم يكن هناك ثالوث، بل واحد مفرد. وهكذا يكون الثالوث في وقت ما ناقصاً. ثم في مرة أخرى يكون كاملاً، فيكون ناقصاً قبل صيرورة الابن، ويكون كاملاً حينما صار الابن. وهكذا (على أساس هذا الكلام)، تُحسب الخليقة مع الخالق، والذي لم يكن موجوداً في وقت ما يُحسب مساوياً مع الله الذي هو كائن على الدوام، ويمجد معه. وما هو أردأ من هذا حقاً .أن الثالوث يوجد متماثل مع ذاته. إذ يكون مكوناً من طبائع وجواهر غريبة ومختلفة عن بعضها" (ضد الآريوسيين ١ :١٧).

الابن هو صورة وبهاء الآب، وهو شكله (المعبر عنه) وهو حقيقته :

مشكلة الآريوسيين أنهم يقيسون صورة اللاهوت وهيئته بمقياس الزمن. هم في ضلال: [لأنه إن لم يكن الابن موجوداً قبل أن يولد، فلا يكون الحق موجوداً في الله دائماً. وليس من الصواب أن نقول مثل هذا القول لأنه بما أن الآب كائن فالحق موجود فيه دائماً. الذي هو الابن الذي قال "أنا هو الحق"[٤٥]. والكيان الموجود يجب أن يكون في نفس الوقت هو الشكل المعبر والصورة. لأن صورة الله ليست مرسومة من الخارج. بل أن الله نفسه هو والدها. والتي فيها ينظر هو ذاته ويبتهج بسببها. كما يقول الابن نفسه "كنت أنا بهجته"[٤٦]] [ضد الآريوسيين ١ :٢٠].

ويتسائل القديس أثناسيوس، قائلاً:

فمتى إذن، لم يكن الآب يرى نفسه في صورته؟

أو متى لم يكن يبتهج، حتى يتجاسر أحد ويقول أن "الصورة هي من عدم".

---

٤٥ يو ١٤ :٦.

٤٦ أم ٨ :٣٠ (السبعينية).

و ''لم يكن الآب مبتهجاً قبل أن تخلق الصورة''؟

وكيف يستطيع الخالق والصانع أن يرى نفسه في جوهر مخلوق وصائر؟ فمثلما يكون الآب هكذا يجب أن تكون صورته [ضد الآريوسيين ١ :٢٠].

خصائص الآب هي نفسها خصائص الإبن :

لو كان الإبن مخلوق . يتسائل القديس أثناسيوس . كيف يكون هو صورة الآب ورسم جوهره كما يخبرنا الكتاب (عب١ :٣)، لأنه أي شبه بين المخلوقات التي هي من عدم وبين ذلك الذي أحضر الأشياء من العدم الى الوجود. **فالآب هو أزلي، غير مائت، قدير، نور، ملك، ضابط الكل، إله، رب، خالق، وصانع**. فإن لم تكن هذه الخصائص موجودة (في الصورة) . كما يظن الآريوسيون . لن تكون هذه هي صورة الآب الحقيقية [ضد الآريوسيين١ :٢١].

الفصل الرابع

القديس أثناسيوس الرسولي
مُفسّرًا للكتاب المقدس

مقدمة:

يُعتبَرُ القرن الرابع والخامس بدون شك العصر الذهبي في تاريخ التفسير الكتابي، تشكلت فيه مبادئ التفسير حيث تبلور تعليم الكنيسة الخريستولوجي والعقيدي. لقد بدأ التقليد التفسيري في مدرسة الأسكندرية وترعرع تحت تأثير أوريجينوس وأصبح كيرلس الأسكندري الممثل الأخير له. ومن بينهم أثناسيوس الرسولي الذي حدَّد . بتعليمه اللاهوتي عن التجسد . المحتوى الخريستولوجي لهذا التقليد التفسيري.

ونشأت في نفس الفترة مدرسة أنطاكية الوعظية بتقليدها التفسيري الذي يشدّد على التفسير التاريخي، إلا أنه لم يخرج عن ''الثيوريا'' Θεωρία أو ''الرمزية النماذجية'' Τυπολογικὴ ἀλληγορία. لقد كان ذهبي الفم أحد المفسرين الأنطاك العِظام الذي ألهم كل الآباء اللاحقين. والآباء الكبادوك قد سطروا الخط التفسيري الذهبي الذي يقع بين التقليدين الأسكندري والأنطاكي وعمّقوا محتواه الخريستولوجي.

كان الكُتَّاب الكنسيين لهذا العصر يتسابقون في كتابة الكتابات التفسيرية لخدمة إحتياجات الكنسية الكثيرة كدفاع ضد الهراطقة، وكعمل راعوي كرازي. وظلّ التقليد التفسيري لهذه الفترة هو الأساس والمرجع فيما بعد. وظهرت أنواع جديدة من الأعمال التفسيرية مثل العظات التفسيرية في الأعياد السيدية والمريمية، كذلك أعمال تفسيرية حول شخصيات مشهورة من العهد القديم، وكذلك حول أحداث هامة

في العهد القديم، وأيضًا الرسائل التفسيرية والحوارات ومقدمات مختصرة للكتاب المقدس وعن أسماء وأماكن مذكورة في الكتاب. كذلك لعب الكتاب المقدس الدور الأساسي في المعارك العقيدية . مع الهراطقة والمرشد للمجامع المسكونية والمحلية، وأيضًا في نمو الحياة النُسكية والتقاليد القانونية، وبالطبع قدَّم الكتاب المادة الأساسية في تشكيل العبادة وتسبحة الكنيسة.

أ ـــ قيمة عمل القديس أثناسيوس التفسيري:

لقد إتبع أثناسيوس خطًا جديدًا في التفسير مقارنةً بكليمنضس وأوريجينوس، فالتفسير الكتابي بحسب أثناسيوس يرتبط إرتباطًا جوهريًا بحدث تجسد **كلمة** الله، الذي ''يفسر'' ويُعلِن خطة الله الأزلية للإنسان. التجسد يُظهِر ''هدف'' الإرادة الإلهية التي صارت حدث تاريخي. هذا الهدف هو دائمًا محتوى الكتاب المقدس الأساسي وهو مطلب التفسير الكتابي الأرثوذكسي. هذا الهدف هو بداية التفسير والقائد له. '' شروحات المزامير'' هي بمثابة أحد الأعمال التفسيرية (PG27, 60-545).

والمواضيع التفسيرية التي إنشغل بها أثناسيوس هي:

+ علاقة الكلمة الإلهية بالكلمة البشرية.

+ العهد القديم والجديد.

+ الوحي.

+ أصالة الكتاب المقدس ومصداقيته.

+ طبيعة وهدف الكتاب وتعاليمه الأخلاقية.

+ علاقة الكتاب بالتقليد الكنسي.

+ التعاليم العقيدية.

التأنس كـ "هدف" الكتاب المقدس:

إن خلق كل شيء من العدم بواسطة **الكلمة** ومساواة **الكلمة** بالآب يمثلان الأساس اللاهوتي لتفسير أثناسيوس الكتابي. إنه المعلم الكنسي الذي أقر ووضح بشفافية مدهشة نتائج العقيدة الخريستولوجية بالنسبة لمبادئ التفسير الكتابي. **النتيجة الأولى** هو الهجران التام ـ من جانب أثناسيوس ـ للتمييز الأفلاطوني بين العالم الحسي والعالم الذهني، الذي هو موجود في أساس المنهج الرمزي الأسكندري. **والنتيجة الثانية** هو إنتقال الثقل المركزي من الفهم الحرفي للكتاب إلى حدث التدبير الإلهي الذي تشهد عنه الكتب المقدسة. ومركز التدبير الإلهي هو تجسد **الكلمة** الذي يحدد بطريقة أساسية تفسير الكتاب.

التدبير الإلهي والكتاب لا ينفصلا. والأول (التدبير الإلهي) هو حدث تاريخي حقيقي يمثل "هدف" و "ملمح" و "ذهن" الكتاب المقدس. فالكتاب المقدس ـ عند القديس أثناسيوس ـ يتطابق مع محتوى الإعلان الإلهي طالما أنه يشهد ويُظهِر "هدف" التدبير الإلهي. بالتالي التفسير الكتابي يبطل الحيرة التي تنشأ من التمييز بين حرف الكتاب وروحه. هكذا المشكلة الأساسية للتفسير الكتابي ليست في المقام الأول تفسير النصوص الكتابية بل التعرف على الـ "هدف" الأساسي لحوادث التدبير الإلهي التي يشهد عليها الكتاب. المواضيع التفسيرية الخاصة (على سبيل المثال: الوحي، أصالة الكتاب، التقليد، القانون الكنسي، المنهج التفسيري الأرثوذكسي... الخ)، يجب أن تُدرَّس في ترابط عضوي مع "هدف" التدبير الإلهي.

إن تأنس **الكلمة** ـ عند القديس أثناسيوس ـ بمثابة البداية والمركز والغاية للتفسير الكتابي، هذا الحدث هو "هدف" ومبدأ تفسيري للتدبير الإلهي. فالكلمة الكتابية هي بحد ذاتها يجب أن تُفهَم في توافق مع تأنس **الكلمة**. بالتالي ينبغي أن تتكيف الكلمات الكتابية مع هذا الجوهر:

" فليست الألفاظ هي التي تقلل من قدر طبيعة الأشياء، بل بالحري فإن طبيعة الأشياء هي التي تضفي المعنى على الألفاظ وغيرها. لأن الألفاظ تأتي تالية لها. ولذلك فعندما يكون الجوهر "مصنوعًا" أو " مخلوقًا" عندئذٍ فإن الألفاظ:

''صنع''، و ''صار'' و ''خُلِق'' تُقال عنه بصفة خاصة ويقصد به أنه ''مصنوع''، ولكن حينما يكون الجوهر مولودًا وابن، عندئذٍ فإن ألفاظ ''صنع'' و ''صار'' و''خُلِق'' لا تُستخدم بحسب مفهومها الحرفي، ولا تعني أنه ''مصنوع'' بل تكون كلمة ''صنع'' قد استخدمت بدلاً من ''ولد'' بدون تحديد''[٤٧].

ويشرح القديس أثناسيوس بوضوح هذه الفكرة الأساسية معطيًا أمثلة كتابية لكي يزيل الغموض العالق في ذهن القارئ، قائلاً: ''وفي أحيان كثيرة يلقب الآباء أبناءهم الذين ينجبوهم عبيدًا لهم، دون أن ينكروا أصالة طبيعتهم وأحيانًا يجاملون عبيدهم ويسموهم أبناء دون أن يفقدوا حق إمتلاكهم منذ البداية. إلا أنهم في الحالة الأولى يسمّون أبناءهم عبيدًا من خلال سلطانهم كآباء، وفي الحالة الثانية يسمون عبيدهم أبناء بدوافع إنسانية، فسارة كانت تدعو إبراهيم سيدًا رغم إنها لم تكن عبده له، بل كانت زوجة. وكان الرسول يصف أنسيموس العبد كأخ لفليمون الذي كان سيدًا''[٤٨]. **هنا نرى القديس أثناسيوس في خط مضاد للتفسير الكتابي الآريوسي، الذي يقتطع الكلمات من جوهر وطبيعة الحدث ويفسره فقط حرفيًا، لذا يشدد القديس أثناسيوس على أن الكلمات لا ينبغي أن نعتبرها مطلقة وهي لها دور ثانوي بالنسبة لطبيعة وجوهر حدث التدبير الإلهي**. فالكلمات هنا هي محايدة ''αδιάφορες'' وتتكيف مع الجوهر الذي تُعلنه ووفق هذا الإطار تُفهم هذه الكلمات[٤٩]. هكذا في إطار الخريستولوجية نادى القديس أثناسيوس بأن الإقرار والإعتراف بالابن هو الذي له الأولوية أما الأقوال التي تصف طريقة التجسد فهي في حد ذاتها محايدة. فكلمات الكتاب تُعلن مفهومها المستقيم عندما نراها في سياق حدث التجسد، حدث التدبير الإلهي في التاريخ. الكلام هنا عن المبدأ الخريستولوجي الذي في إطاره يُفَسر الكتاب.

يحدد القديس أثناسيوس في هذا السياق محتوى المصطلحات الكلاسيكية اللاهوتية للتفسير مثل ''هدف''، و ''ذهن'' و ''عقل'' الكتاب المقدس. **فهذه**

---

[٤٧] ضد الآريوسيين المقالة الثالثة، فقرة ٣: صـ١٤-١٥.

[٤٨] المرجع السابق، صـ١٥.

[٤٩] راجع ضد الآريوسيين، المقالة الثالثة: ٤١، صـ٧٦-٧٧.

المصطلحات المترادفة تعبر عن التجسد والإعلان المزدوج عن المخلص كما يقول لنا القديس أثناسيوس: [إن هدف الكتاب المقدس وميزته الخاصة كما قُلنا مرارًا هو أنه يحوي إعلانًا مزدوجًا عن المخلص: أي أنه كان دائمًا إلهًا وأنه هو الإبن إذ هو **كلمة** الآب وشعاعه وحكمته، ثم بعد ذلك أتخذ من أجلنا جسدًا من العذراء مريم والدة الإله، وصار إنسانًا. وهذا الهدف نجده في كل الكتب الموحى بها، كما قال الرب نفسه " *فتشوا الكتب، وهي تشهد لي*" (يو٥:٣٩)][٥٠].

هذا الإعلان المزدوج نتحقق منه في كل الكتاب الموحى به من الله ، وعلى أساس هذا "المفهوم" يجب أن نفسر الكتاب المقدس. إنه الغاية الكنسية أو الهدف الكنسي الذي إذا إلتزم به الهراطقة لِما إنكسرت بهم سفينة الإيمان بحسب ما قاله القديس أثناسيوس[٥١].

وهذا المبدأ يطبقه القديس أثناسيوس، على سبيل المثال، في تفسيره لـ (يو١:١٤) "والكلمة صار جسدًا" والذي هو نص بمثابة المفتاح لِفهم نظريته التفسيرية. مفهوم هذا النص يشير إلى حضور **الكلمة** في الجسد، وبناء على ذلك ينبغي للمرء أن يعترف منذ البداية بالتجسد، وعندئذٍ فقط سوف يتعرف بسهولة على المفهوم الخاص للكلمات الكتابية. **إذن الإيمان المستقيم يسبق التفسير**. عندما يرفض المرء حدث تجسد **الكلمة** يُفسِد مفهوم الكتاب المقدس وبالتالي يُحرِف كلماته: " مِن واجبهم (الهراطقة) أن يفسروا الكلمات تلك المكتوبة بخصوص (حضور المخلص في الجسد) تفسيرًا صائبًا، وإما، إن كانوا ينكرون القصد السليم، إذن فلينكروا أن الرب قد صار إنسانًا. لأنه لا يليق بهم أن يعترفوا بأن " الكلمة قد صار جسدًا". ومن ناحية أخرى يستحون من المكتوب عنه، ولذلك فإنهم يحرفون معناه"[٥٢]. **إذن فإن إعتراف الإيمان المستقيم بالرب يسوع المسيح هو الأساس لتفسير الكتاب المقدس تفسيرًا صحيحًا.**

---

٥٠ ضد الآريوسيين، المقالة الثالثة ٢٩:صـ٥٨.

٥١ أنظر المرجع السابق، ٥٨: ١٠٣.

٥٢ ضد الآريوسيين، المقالة الأولى، ٥٤:١٢٧.

شخص المسيح وتفسير الكتاب :

إن الإيمان المستقيم بالمسيح . كما ذكرنا . هو المعيار الصحيح لتفسير الكتاب تفسيرًا مستقيمًا. فحدث التجسد والإيمان بمساواة الابن بالآب في الجوهر نجدهما في كلمة الكتاب المقدس بطريقة خاصة. المفسر لابد أن يميز بدقة مفهوم الكلمات ويتعرف على المسيح "الإله المتأنس".

وهذا الأمر قد شّرحه القديس أثناسيوس بوضوح في رسالته الثانية إلى سرابيون "يجب إذن مَنْ يقرأ الكتاب، أن يفحص ويميز متى يتكلم (الكتاب) عن ألوهية **الكلمة**، ومتى يتكلم عن أموره الإنسانية، لئلا يُفهم أحدهما بدل الآخر، فنقع في نفس الخلط الذي سقط فيه الآريوسيين". مثلما أن طبيعة **الكلمة** هي مزدوجة ولكن واحد وفريد شخصه، هكذا كلمة الكتاب تتجاوب بحسب الطبيعة ومفهومها الخاص مع طبيعة الله **الكلمة**. بالتالي يقول القديس أثناسيوس: " بالرغم من أن نفس التعبيرات تُستخدم في الحديث عن الله والإنسان في الأسفار الإلهية، إلا أن ذا البصيرة الجلية، مثلما يوحي بولس . سوف يفحصها ويدرسها، وبذلك يميز ويُضيف ما قد كُتب بحسب طبيعة كل موضوع ويتجنب أي إختلاط في المعنى حتى لا تُفهم أمور الله بطريقة بشرية، ولا بالمثل ننسب أمور الإنسان إلى الله، لأن ذلك معناه أن نخلط الخمر بالماء (اش١ :٢٢) وأن نضع على المذبح نارًا غريبة مع النار الإلهية"[٥٣].

بهذه الطريقة يُفسر القديس أثناسيوس الأناجيل وشهادات العهد الجديد الخرستولوجية. فهو ينطلق دائمًا من التدبير الإلهي، الذي تممه المسيح لأجل الإنسان، وعلى أساس هذا يشرع في فِهم هذه القراءات. إن شخص وعمل المسيح يُفسرا على أساس المبدأ اللاهوتي العام :

"حينما صار إنسانًا. لم يكف عن أن يكون هو الله، ولا بسبب كونه الله، يتجنب ما هو خاص بالإنسان، حاشا بل بالحري إذ هو الله فقط أخذ الجسد لنفسه، وبوجوده في الجسد فإنه يؤله الجسد"[٥٤].

---

[٥٣] دفاع عن قانون إيمان مجمع نقية، ١٠٥ : ص٣٢.

[٥٤] ضد الآريوسيين، المقالة الثالثة ٣٨ :٧٤، طبعة ثانية.

ويوضَّح القديس أثناسيوس، في شرحه لنص أعمال الرسل، هذا الأمر، قائلاً: " لأن بطرس عندما قال : " جعله ربًا ومسيحًا" أضاف في الحال " الذي صلبتموه أنتم"، مما جعل الأمر واضحًا للجميع. ولعله يصير أيضًا واضحًا لهؤلاء، إن كانوا يتابعون معنى النص، إن كلمة "جعل" ليست عن جوهر **الكلمة** . بل على ناسوته"[٥٥].

هذا الشرح يعلن لنا عنصرًا آخرًا حاسمًا للتفسير عند القديس أثناسيوس، هذا العنصر قد تعرفنا عليه من كليمنضس وأوريجينوس، وهو أن **ما يخص ناسوت المسيح ليس هو مجرد معلومة لسيرة ذاتية بل إعلان وبرهان للنعمة التي تتدفق منه لأجل الإنسان.** على سبيل المثال في (عب١:٤) لا يقارن فقط الإبن بالملائكة، بل " بقدر ما يختلف هو بحسب الطبيعة عن الذين أرسلهم قبله، بقدر ما كانت **النعمة الصائرة منه** وبه أفضل من خدمة الملائكة"[٥٦].

بخصوص الشواهد الخريستولوجية في الكتاب المقدس يضع القديس أثناسيوس مبدأ هام فحواه: "عندما يتحدث الكتاب عن طبيعة **الكلمة** البشرية يذكر دائمًا السبب الذي من أجله صار هذا الشيء إنسانيًا، أما إذا كان يتحدث عن ألوهيته فإن الكلمات تكون بسيطة ولا يذكر أي سبب: "عندما يشير (الكتاب) إلى ميلاد **الكلمة** بحسب الجسد يذكر السبب الذي من أجله صار إنسانًا. وحينما يتحدث هو وخدامه بخصوص ألوهيته فإن كل شيء يُقال بألفاظ بسيطة وفكر صاف، ولا يُقال أبدًا بطريقة معقدة. ذلك لأنه هو بهاء الآب، وهو مثل الآب لم يوجد عن طريق أية عِلة"[٥٧]. **هنا نتأكد أيضًا من الفكرة الأساسية لأثناسيوس، بأن المصدر الأساسي للإعلان الإلهي ليس فقط هو القول الكتابي المكتوب بل أيضًا حدث التدبير الإلهي.**

كلمة الكتاب قد توافقت لتنسجم مع " طبيعة" الحوادث الإلهية التي تعلنها الكلمة، لأجل ذلك الكلمة في حد ذاتها في سياقها اللغوي فقط تُوضع في المرتبة

---

٥٥ ضد الآريوسيين، المقالة الثانية ١٢:٣٠.

٥٦ ضد الآريوسيين، المقالة الأولى ٥٩:١٣٦.

٥٧ ضد الآريوسيين، المقالة الثانية ٥٣:١٠٢،١٠٣.

الثانية من جهة الأهمية. فالخريستولوجية، أي الإيمان المستقيم بشخص المسيح هو الذي يحدد التفسير. بمعنى أن الخريستولوجية هي التي تحدد المصطلحات الكتابية التي تخص الجوهر الإلهي، وتلك التي تخص الطبيعة البشرية **للكلمة**. فبحسب قوله يوجد إيمان واحد وتعليم واحد للكنيسة مؤسس على الله الواحد مثلث الأقانيم، ومعمودية واحدة وتكميل واحد في المسيح: " فألوهية الثالوث واحدة، إيمان واحد، وتوجد معمودية واحدة تعطي فيه. وواحد هو التكميل في يسوع المسيح ربنا"(٥٨). لكن لأن ألوهية الآب **والكلمة** والروح القدس لا يمكن للمعرفة البشرية أن تقترب منها لذلك يحتوي الكتاب على "أمثلة" كثيرة و "صور" بواسطتها يتعلم الإنسان بوضوح ما يخص الطبيعة الإلهية(٥٩).

ويشرح القديس أثناسيوس الصعوبة التي يواجهها الإنسان عندما يتناول موضوع ألوهية الثالوث قائلاً: " فإن كان أحدًا أيضًا يسأل ويبحث قائلاً: كيف يوجد الروح فينا، ويُقال أن الابن فينا؟ وحينما يكون الابن فينا فكيف يُقال إن الآب فينا؟ وعندما يكون الثالوث حقًا ثالوثًا، فكيف يُفهم أنه واحد. أو لماذا حينما يكون أحد أقانيم الثالوث فينا، يُقال إن الثالوث موجود فينا؟" ويرد أثناسيوس على الذي يتساءل قائلاً: " فعلى الذي يسأل أن يفصل أولاً الشعاع عن النور، أو يفصل الحكمة عن الحكيم، أو فليخبرنا كيف تكون الأمور"(٦٠). ويضيف القديس أثناسيوس مَنْ يسأل مثل هذه الأسئلة بأن له حماقة جنونية، قائلاً: " إن توجيه مثل هذه الأسئلة عن الله يكون جرأة جنونية، لأن الألوهية لا تسلم لنا بواسطة براهين كلامية بل بالإيمان مع التفكير بتقوى ووقار، فإن كان بولس قد كرز بصليب المخلص "لا بكلام الحكمة بل ببرهان الروح القدس"(٦١)، وقد سمع في الفردوس "كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها"(٦٢). فمَنْ يستطيع أن

---

٥٨ رسائل القديس أثناسيوس إلى سرابيون٤:٧، صـ١٢٨.

٥٩ أنظر المرجع السابق، ١:٢٠، صـ٦٢.

٦٠ المرجع السابق، صـ٦٥.

٦١ ١كو٢:٤.

٦٢ ٢كو١٢:٤.

يتكلم عن الثالوث القدوس نفسه"[٦٣]. وهنا يُعالج القديس أثناسيوس هذه الصعوبة قائلاً: " يمكننا أن نعالج هذه الصعوبة أولاً بالإيمان، وبعد ذلك بإستعمال ما سبق أن ذكرناه من أمثلة أي: الصورة والشعاع، والينبوع والنهر، والجوهر والرسم، وكما أن الابن هو في الروح الذي هو صورته الخاصة، هكذا الآب أيضًا في الابن. لأن الكتاب الإلهي. لكي يعالج عجزنا عن شرح وفهم هذه المعاني بالكلمات. قد أعطانا مثل هذه الأمثلة، حتى بسبب عدم إيمان هؤلاء المتجاسرين، يمكننا أن نشرح بأكثر وضوح، وأن نتكلم بدون التعرض لخطر الضلال، وأن نفكر بطريقة مشروعة، وأن نؤمن بقداسة واحدة مستمدة من الآب بالابن في الروح القدس"[٦٤].

إذن الأقوال الكتابية هي في حد ذاتها محايدة وتكتسب المفهوم الخاص لها في إرتباطها بالجوهر الذي له علاقة بها. هكذا الأوصاف البشرية التي ينسبها الكتاب المقدس لطبيعة المسيح البشرية لا يجب أن تنفصل عن الأوصاف اللاهوتية بل ينبغي أن تُفسر في سياقها: " حينما نراه يعمل أو يقول ما يليق بالله بواسطة جسده، فإننا نعرف إنه يعمل هكذا لأنه هو الله، وأيضًا إذ رأيناه يتكلم أو يتألم إنسانيًا فإننا لا نجهل أنه بإتخاذه الجسد صار إنسانًا وكذلك فهو عمل هذه الأعمال وتكلم بهذه الكلمات. لأننا عندما نعرف ما هو خاص لكل منهما (الله والإنسان) نرى ونفهم أن هذه الأمور التي تجري من كليهما، إنما تتم بواسطة واحد، فإننا نكون مستقيمين في إيماننا، ولن نضل أبدًا "[٦٥].

إن الفهم الحرفي الصحيح ينبغي عليه أن يكون متوافقًا مع الإيمان المستقيم: "يجب أن نفهم بأمانه: **الوقت** الذي كتب عنه الرسول، **والشخص والموضوع** اللذين كتب عنهما، لكي لا يجد القارئ نفسه. وهو يجهل هذه الأقوال أو غيرها، بعيدًا عن المعنى الحقيقي" ويستمر أثناسيوس قائلاً: "عندما يكون لدى واحد.... معرفة كثيرة، عندئذٍ سيكون له فكر إيمان صحيح ومستقيم. أما إذا أساء أحد منهم شيء من هذه، فإنه سينزلق في الحال إلى الهرطقة"[٦٦].

---

[٦٣] المرجع السابق، ص٦٥.

[٦٤] الرسالة إلى سيرابيون ١: ٢٠، ص٦٥.٦٩.

[٦٥] ضد الآريوسيين، المقالة الثالثة ٣٥، ص٦٨.

[٦٦] ضد الآريوسيين، المقالة الأولى، ٥٤، ص١٢٧.١٢٨.

التفسير الكتابي و "الهدف الكنسي":

إن الفهم الحرفي للكلمة الكتابية ليس هو الهدف في حد ذاته ولا هو أيضًا كافٍ في حد ذاته. تفسير الكتاب يرتبط دائمًا بإظهار الحق، أي بـ "هدف" التدبير الإلهي. إنه يهدف إلى التعرف على مفهوم الشهادة الكتابية التي تخص النِعم الخلاصية للإنسان. **هكذا الحرف ليس هو مجرد رمز وصورة لمفهوم سري** (مثلما يظن الرمزيون المتطرفون) **لكن هو شهادة وتأكيد على حدث التدبير الإلهي. وهذا الأمر لا يُعرف بمجرد استخدام التفسير الرمزي بل بالإيمان الخريستولوجي المستقيم**. ولكي يوفق المفسر في عمله عليه أن ينقاد بواسطة تعليم وحكمة وحياة الكنيسة. هذا المطلب هو المفتاح الآمن لتفسير القديسِ أثناسيوس الكتابي. والجدير بالذكر هو أن **الإشارة إلى إيمان وتقليد الكنيسة لا يُكمِل نظريته التفسيرية بل هما بمثابة عنصر لا ينفصل عن نظريته التفسيرية.**

ويشرح القديس أثناسيوس الملمح الخريستولوجي للإيمان بالإشارة إلى عب١:٣، قائلاً : "هذه هي سمة إيماننا بالمسيح: ابن الله، إذ هو "**كلمة**" الله "لأنه في البدء كان **الكلمة** ... وكان **الكلمة** الله"[٦٧]، وهو حكمة الآب وقوته: " لأن المسيح قوة الله وحكمة الله"[٦٨]، وفي ملء الأزمنة صار إنسانًا لأجل خلاصنا"[٦٩]. **ويؤكد القديس أثناسيوس على أن سمة إيماننا الخريستولوجي هذا قد تسلمناه من الرسل بواسطة الآباء**: "وسمة إيماننا هذه مأخوذة من الرسل بواسطة الآباء. فيجب إذن على مَنْ يقرأ الكتاب، أن يفحص ويميز متى يتكلم (الكتاب) عن ألوهية **الكلمة**، ومتى يتكلم عن أموره الإنسانية، لئلا يُفهم أحدهما بدل الآخر، فنقع في نفس الخطأ الذي سقط فيه الآريوسيين"[٧٠].

ومثلما المسيح لا يُفصل بحسب ألوهيته وناسوته، نفس الأمر الإيمان المسيحي هو متوافق توافقًا مطلقًا مع حدث التدبير الإلهي. بمعنى أن الإيمان المسيحي هو تعبير

---

[٦٧] ٢١ يو١:١.

[٦٨] ١كو١:٢٤.

[٦٩] رسائل القديس أثناسيوس إلى سيرابيون٢:٧.

[٧٠] المرجع السابق، فقرة٨، ص١٠٥.

مُحدد مع هدفه ويظهره. هوية وهدف التدبير الإلهي يتطابقان بالتالي بطريقة مطلقة. وهذا الأمر يشرحه القديس أثناسيوس بكل وضوح قائلاً: " لأن أعداء المسيح بسبب جهلهم لهدف الإيمان قد ضَلَوا عن طريق الحق، وإصطدموا بحجر الصدمة (انظر رو٩:٣٣) معتقدين في أمور لا ينبغي أن يؤمنوا بها"[٧١].

إن القديس أثناسيوس يفسر الكتاب بدقة داخل خبرة حياة الكنيسة طالما أنها تُحيي "هدف" التجسد. الكتاب والكنيسة ـ من هذا المنطلق ـ في إتحاد لا ينفصل بل بالحري يتطابق الواحد مع الآخر. الكتاب المقدس يحدد حياة وعمل الكنيسة، وفي نفس الوقت هو يُحدد بواسطتها، طالما الحق الذي يشهد عليه الكتاب وتتطابق معه يُعرف ويعمل داخل الكنيسة. **لذا يحدد القديس أثناسيوس ملمح المسيحيين بالإيمان المستقيم:** " أما إيماننا فمستقيم وهو نابع من تعليم الرسل وتقليد الآباء ويؤكده كل من العهد الجديد والعهد القديم، حيث يقول الأنبياء " أرسل كلمتك وحقك"[٧٢]، "هوذا العذراء ستحبل وتلد ابنًا وسيدعون أسمه عمانوئيل"[٧٣] الذي تفسيره "الله معنا"[٧٤] ولكن ماذا يعني هذا إن لم يكن أن الله قد جاء في الجسد؟"[٧٥]

إن التعليم الرسولي هو الشهادة الصادقة لأقوال وأعمال الرب، لقد سلموا الرسل كشهود عيان هذا التعليم بكتاباتهم وكرازتهم. **تعليم الآباء** هو الفِهم المستقيم والتفسير الصحيح والتأكيد على التقوى في المسيح، مثلما أُعلنت في الكتاب المقدس ومثلما سُلِمت بصدق داخل الكنيسة بتعاقب التعاليم الكنسية. الكتاب بعهديه القديم والجديد يؤكد على التعليم الرسولي والكنسي طالما أن هذا التعليم هو متوافق مع "مفهوم وهدف" الكتاب. هناك وحدة داخلية مطلقة بين شهادة الكتاب وتقليد الكنيسة: " **دعونا ننظر إلى تقليد الكنيسة الجامعة وتعليمها،**

---

٧١ ضد الآريوسيين، المقالة الثالثة، ٢٨، ص٥٩.

٧٢ مز٤٢:٣.

٧٣ إش٧:١٤.

٧٤ مت١٦:٢٣.

٧٥ المسيح في رسائل القديس أثناسيوس إلى أدلفوس ٦، ص٢٨.٢٩.

وإيمانها، الذي هو من البداية والذي أعطاه الرب وكرز به الرسل وحفظه الآباء" وعلى هذا الأساس تأسست الكنيسة، ومن يسقط منه فلن يكون مسيحيًا ولا ينبغي أن يُدعى كذلك فيما بعد"[٧٦].

الوحدة بين الكتاب المقدس والشهادة الرسولية والتعليم الآبائي والكنسي ليست هي وحدة خارجية بل داخلية وجوهرية: "**وبحسب الإيمان الرسولي المُسلم لنا بالتقليد من الآباء، فإني قد سلمت التقليد بدون إبتداع أي شيء خارجًا عنه. فما تعلمته فذلك قد سطرته مطابقًا للكتب المقدسة**"[٧٧]. هذه الوحدة الداخلية ترجع إلى الحدث التدبيري الواحد في المسيح وتتفاعل هذه الوحدة مع حياة الكنيسة وداخلها. أيضاً هذه هي الوحدة الداخلية الجامعة وملء المسيحية: سبب إيماننا، مبدأ الأناجيل، كرازة الرسل، شهادة الأنبياء وفِهم ملء التدبير. هذا الملء هو معروف في شهادة العهد القديم وكرازة الرب في التعليم الرسولي والكنسي. وهؤلاء الثلاثة (العهد القديم ـ كرازة الرب ـ التعليم الرسولي) يمثلون إيمان واحد وكرازة واحدة للكنيسة الجامعة. لو أنفصل عنصر واحد من الثلاثة عن العنصرين الآخرين يتزعزع وحدة الإيمان.

نموذج تطبيقي لتفسير القديس أثناسيوس للكتاب المقدس:

إن تفسير القديس أثناسيوس للكتاب المقدس يرتبط ارتباطًا وثيقًا بجهاده ضد الآريوسية. ومقالاته ضد الآريوسيين تمدنا بأمثلة عديدة لكيفية تفسير أثناسيوس للكتاب المقدس، وكيف يطبق هذا التفسير ليرّد على تعاليم الآريوسيين الهرطوقية. إننا نجده حين يشرح آيات من الأناجيل عن التجسد، يستعرض اعتراضات الآريوسيين الشائعة: " لو كان الابن ابنًا بالطبيعة، لما كان في احتياج أن يأخذ، بل كل شيء يكون له بالطبيعة كابن، وكيف يكون هو القوة الطبيعية والحقيقية للآب وهو في وقت الآلام قال "*الآن نفسي قد اضطربت ...* " (يو١٢ :٢٧ـ٢٨). لو كان هو القوة لما كان قد ضَعُف، بل لكان قد أعطى قوة لآخرين ... لو كان هو حكمة

---

[٧٦] إلى سيرابيون ١ :٢٨ :٨٠.

[٧٧] إلى سيرابيون ١ :٣٣: ٩١.

الآب الحقيقية والذاتية، فلماذا كُتب عنه: "*وكان يسوع ينمو في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس*" (لو٢:٥٢). وبالمثل عندما جاء إلى نواحي قيصرية فيلبس سأل التلاميذ "*ماذا يقول الناس إني أنا*" (مت١٦:١٣). وأيضًا حينما جاء إلى بيت عنيا سأل عن لعازر "*أين دُفن*" (انظر يو١١:١٨). وأيضًا قال لتلاميذه "*كم رغيفًا عندكم*" (مر٦:٣٨) ... كيف إذًا يكون هو الحكمة وهو ينمو في الحكمة، وكان يجهل الأمور التي كان يسأل عنها الآخرين؟ ... كيف يمكن وهو الله، أن يصير إنسانًا؟ ... كيف يمكن لمن لا جسد له أن يلبس جسدًا؟ ... كيف يمكن أن الذي ينام ويبكي ويطلب أن يعرف كإنسان، يكون هو **الكلمة** أو هو الله؟[٧٨].

إن رد القديس أثناسيوس على هذه الأسئلة وغيرها قد تركز على العلاقة بين لاهوت المسيح وناسوته. وهو مقتنع تمامًا أن الكتاب المقدس يحتوي على تقرير مزدوج للملخّص: [والآن فإن هدف الكتاب المقدس وميزته الخاصة، كما قلنا مرارًا، هو أنه يحوي إعلانًا مزدوجًا عن المخلّص: أى أنه كان دائمًا إلهًا وأنه الابن إذ هو **كلمة** الآب وشعاعه وحكمته، ثم بعد ذلك اتخذ من أجلنا جسدًا من العذراء مريم والدة الإله، وصار إنسانًا][٧٩]. ويؤكد ق. أثناسيوس بأن هذا الإعلان المزدوج هو موجود في كل الكتاب المقدس الموحى به من الله، ثم يبدأ في تدوين نصوص وفقرات تؤكد على لاهوت وناسوت المسيح. المشكلة كما يراها أثناسيوس في العلاقة بين المسيح بكونه إله وبكونه إنسان في آنٍ واحد، مع التركيز على أن الابن قد صار ما نحن عليه "لأجلنا"، لأن الابن اتحد بنا اتحاد حقيقي، اتحد بجسدنا. وصفات الجسد تخص الابن حقًا لأنها هي خصائصه في إطار التجسد: [خواص الجسد هي خاصة به حيث إنه كان في الجسد، وذلك مثل أن يجوع، وأن يعطش، وأن يتألم، وأن يتعب، وما شابهها من الأمور المختصة بالجسد][٨٠].

٧٨ القديس أثناسيوس الرسولي، المقالة الثالثة ضد الآريوسيين، ترجمة د. مجدي وهبة ود. نصحي عبد الشهيد، مراجعة د. جوزيف موريس ود. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، طبعة ثانية منقحة، أبريل ٢٠٠٧م ص٥٤.٥٩.

٧٩ المرجع السابق ص٥٩.٦٠.

٨٠ المرجع السابق ص٦٢.

ويستمر القديس أثناسيوس قائلاً: [بينما من الناحية الأخرى فإن الأعمال الخاصة **بالكلمة** ذاته مثل إقامة الموتى، وإعادة البصر إلى العميان، وشفاء المرأة نازفة الدم، قد فعلها بواسطة جسده، **والكلمة** حمل ضعفات الجسد كما لو كانت له، لأن الجسد كان جسده، والجسد خدم أعمال اللاهوت، لأن اللاهوت كان في الجسد، ولأن الجسد كان جسد الله][٨١].

هنا جوهر رد القديس أثناسيوس على الإرتباك الآريوسي بين لاهوت وناسوت المسيح. **فالكلمة** لم يكن "خارج" ناسوته الذي أخذه. بالحري حين خدم الابن المتجسد، فإن اللاهوت والناسوت كانا معًا يعملان في وحدة لا تنفصم:

[فحينما كان هناك احتياج لإقامة حماة بطرس التي كانت مريضة بالحُمى فإنه مدّ يده إليها بشريًا، ولكنه أوقف المرض إلهيًا (انظر مت٨: ١٤). وفي حالة الإنسان المولود أعمى فإن تفل البصاق كان من الجسد ولكن فتح عين الأعمى بالطين إلهيًا. وفي حالة لعازر، فلكونه إنسانًا فقد دعاه بصوته البشري ولكونه في نفس الوقت إلهًا فقد أقامه من الأموات. وهذه الأمور حدثت هكذا وظهرت هكذا لأنه كان قد اتخذ لنفسه جسدًا حقيقيًا وليس خياليًا، ولذا كان يليق بالرب بأخذه جسدًا بشريًا أن يكون لهذا الجسد كل الخواص التي للجسد، حتى كما نقول إن الجسد كان جسده. هكذا أيضًا نقول إن آلام الجسد كانت خاصة به، أى **الكلمة** رغم أنها لم تمسه بحسب لاهوته][٨٢].

هكذا ركز القديس أثناسيوس على إيضاح حقيقة أن المسيح يعمل لاهوتيًا وناسوتيًا معًا من خلال جسده الذي أخذه. وحين يعمل بقوة ويشفي المرضى ويقيم الموتى، ندرك نحن لاهوته في الفعل. وحين يكون متعبًا فإننا نرى مظاهر الناسوت الأصيل والحقيقي الذي أخذه.

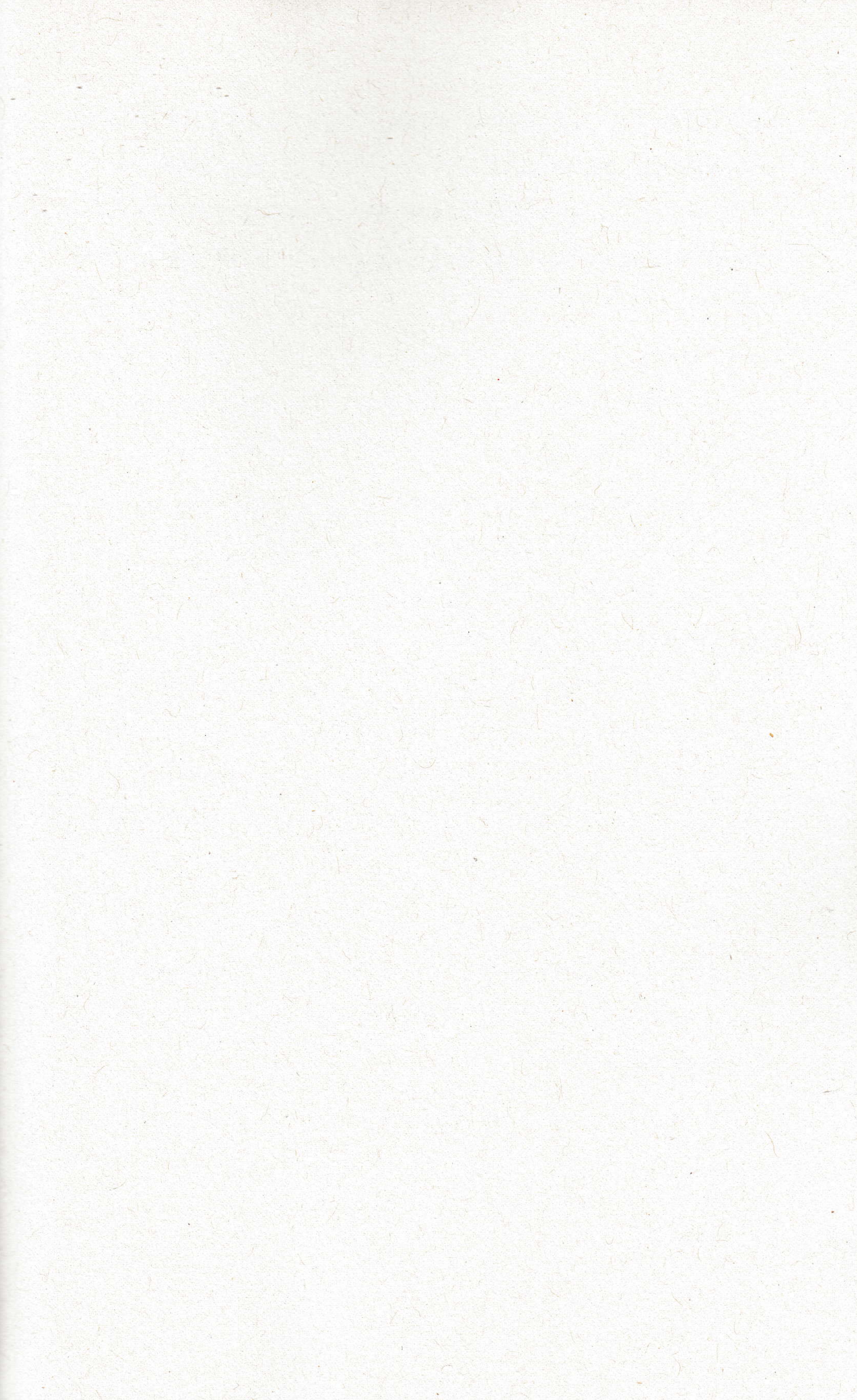
لقد أخطأ الآريوسيين إذ قرأوا الكتاب المقدس قراءة هزيلة غير عميقة، ورأينا

---

٨١ المرجع السابق.

٨٢ المرجع السابق ص٦٣-٦٤.

فشلهم في التمييز بين ما يليق بلاهوت الابن وما يناسب بشريته أو ناسوته. وهذا الإخفاق يقود إلى إنكار لاهوت الابن. وهذا ما نتحقق منه دائمًا حين نرى تيارات فكرية غريبة تسقط في هذا الإخفاق وتنكر ألوهية الابن. ومن هنا نجد الأهمية العظيمة لتعليم القديس أثناسيوس التفسيري الذي يساعد أبناء الكنيسة على فِهم الكتاب المقدس فِهمًا أرثوذكسيًا.



الفصل الخامس

شرح القديس أثناسيوس
لبعض النصوص الكتابية
التي أساء تفسيرها الآريوسيون

أولاً: فيليبى ٢: ٩، ١٠
" لذلك رفعه الله أيضاً"

تفسير الآريوسيين :

يقولون إن الرسول كتب يقول "لذلك مجده الله مجداً عالياً. وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض" (في ١٠،٢:٩). كما يقول داود "من أجل ذلك مسحك الله ألهك، بزيت الإبتهاج أكثر من شركائك" (مز٤٥: ٧، عب١: ٩). ويستنتجون قائلين : "لو أنه "لذلك" مُجّد وحصل على نعمة. "ومن أجل ذلك" قد مُسِّح وحصل على أجر اختياره الحر. وبما أنه أنجز الأمر بمشيئته الحرة، فأنه يكون بلا شك ذا طبيعة متغيرة" [أنظر ضد الآريوسيين١: ٣٧].

نتائج هذه الآراء الخاطئة

١- الابن في حالة إحتياج وعوز لأنه قد حصل على ما كان لديه بسبب فضيلته وتقدمه وتحسنه.

٢- من غير الانصاف أن يُلّقب بلقب ابن ولقب اله، دون أن يكون ابنا

حقيقياً ، لأن الذي يكون من شخص ما بحسب الطبيعة، فإنه يكون مولوداً حقيقياً مثلما كان اسحق بالنسبة لابراهيم، ويوسف بالنسبة ليعقوب، والشعاع بالنسبة الى الشمس، أما الذين يدعون ابناء بالنسبة بالنعمة ، فإنهم يحصلون على النعمة التي يكتسبونها بدلاً من الولادة الطبيعية، وهم شيء آخر غير ما أعطى لهم. وذلك مثل الناس الذين نالوا الروح بحسب المشاركة والذين قال عنهم "ولدت بنين ونشأتهم. اما هم فتمردوا على" (أش١ :٢ سبعينية) ولكن بما أنهم ليسوا أبناء بحسب الطبيعة. ذلك، فأنهم بمجرد أن يتغيروا ينزع منهم الروح، ويتبرأ منهم. ولكنهم مرة أخرى – عندما يتوبون فإنه الله الذي كان قد أعطاهم النعمة في الأول، فأنه بنفس الطريقة، يعطيهم النور مرة أخرى ويدعوهم أبناء ثانية [أنظر ضد الآريوسيين ١ :٣٧].

٣- الإبن . بحسب آرائهم . ليس مخلصاً حقيقياً ولا ابناً حقيقياً ولا أيضاً مثل الآب وكذلك ليس له أي علاقة مع الآب حسب الجوهر [ضد الآريوسيين١ :٣٨]. هكذا بحسب الآريوسيين يكون الله هو خالق له بحسب الجوهر مشابهاً في ذلك كل المخلوقات. فإن كان هو هكذا، كما يقول هؤلاء، فيتضح أنه لم يكن له اسم "ابن" منذ البدء، ان كان قد حصل على هذا الاسم كمكافأة على أعماله وتقدمه، أى أنه حصل على هذه المكافأة ليس بسبب تقدم آخر، بل بسبب ما أظهره عندما صار انساناً، وأتخذ صورة عبد، لأنه عندئذ، حينما صار "مطيعاً حتى الموت" فإنه كما يقول النص "مجده مجداً عالياً. وحصل على الاسم كنعمة. "لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة" [ضد الآريوسيين١ :٣٨].

رد القديس أثناسيوس:

لو كان الابن غير موجود. أو لو كان موجوداً ثم رُقيَّ فيما بعد :

فكيف خلقت كل الأشياء بواسطته، وكيف يفرح به الآب لو لم يكن كاملاً (أم٩ : ٣٠) ومن الناحية الأخرى،

إن كان هو قد ترقى الآن، فكيف كان يبتهج أمام الآب قبل أن يترقى.

وإن كان قد حصل على العبادة بعد موته. فكيف يظهر أن ابراهيم يسجد له في الخيمة. وموسى يسجد له في العليقة وكما رأى دانيال "ربوات ربوات وألوف

ألوف، يخدمونه" (دانيال ٧: ١٠).

وان كان –كما يقولون– قد حصل علي الترقي الآن، فكيف يشير الابن نفسه إلى مجده الذاتى الذي يفوق الطبيعة والذي كان له قبل إنشاء العالم عندما قال "مجدنى أنت أيها الآب بالمجد الذي كان لى عندك قبل كون العالم" (يو١٧: ٥).

وإن كان. حسبما يقولون. قد مُجّد الآن مجداً عالياً، فكيف "طأطأ السموات" ونزل قبل ذلك، وأيضاً "أعطى العلى صوته" (مز١٣،١٨: ٩) **لذلك فإن كان للأبن ذلك المجد حتى قبل خلقه العالم، وكان هو رب المجد وهو العلى، ونزل من السماء وهو معبود على الدوام، فينتج من ذلك أنه لم يترق بنزوله، بل بالأحرى هو نفسه الذي رقى الأشياء التي يعوزها الترقى.** وإن كان قد نزل من أجل ترقيتها، لذلك فإنه لم يحصل على اسم ابن وأنه واله كمكافأة، بل بالأحرى فإنه هو نفسه جعلنا أبناء للاب وألّه الناس بكونه صار انساناً [أنظر ضد الآريوسيين ١: ٣٨].

يؤكد القديس أثناسيوس على أن الإبن لم يكن إنساناً ثم صار بعد ذلك إلهاً، ويبرهن على ذلك ، قائلاً : "بل كان إلهاً وفيما بعد صار إنساناً بالأحرى كى يؤلهنا. لأنه إن كان عندما صار انساناً قد سمى عندئذ ابناً والهاً. وإن كان الله قد دعا الشعوب قديما أبناء. وذلك قبل أن يصير هو إنساناً. وجعل الله موسى إلهاً لفرعون. والكتاب المقدس يقول في مواضع كثيرة "الله قائم في مجمع الآلهة" (مز٨٢: ١). فمن الواضح أذن أنه قد دعى ابناً والهاً بعدهم. **فكيف إذن خُلقت كل الأشياء عن طريقه،** وكيف أنه هو موجود قبل كل الأشياء؟ أو كيف يكون هو "بكر كل خليقة" (كو١: ١٥)، ما دام هناك آخرون قبله يطلق عليهم أبناء وآلهة؟" [ضد الآريوسيين ١: ٣٩]. **ويستمر القديس أثناسيوس في إستنتاجاته المنطقية لو كانت آرائهم صحيحة، إذ يقول:** "كيف إذن في هذه الحالة. يمكن لأي أحد على الإطلاق، أن يتعرف على الله كأب؟ لأن من غير المستطاع أن يحدث التبني بغير الابن الحقيقى، وهو نفسه القائل: "لا يعرف أحد الآب إلا الابن، ومن سيعلن له الابن" (متى١١: ٢٧).

وكيف يحدث التأليه بدون اللوغوس. وقبله.؟ هذا بالرغم أنه هو نفسه القائل لليهود أخوة هؤلاء المبتدعين "ان قال. آلهة. لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله".

فإن كان كل الذين دعوا أبناء وآلهة سواء على الأرض أم في السموات قد نالوا التبني وصاروا متألهين من خلال اللوغوس. وان كان الابن نفسه هو اللوغوس. فمن الجلي أن الجميع قد صاروا أبناء من خلاله. وكان هو قبل الجميع.. وبالحري فقد كان هو الابن الحقيقى وحده. وهو وحده اله حق من اله حق. ولم يحصل على هذه (الصفات) كمكافأة لفضيلته. وليس هو أخر غير هذه (الصفات) بل هو كل هذه (الصفات) بحسب الطبيعة وبحسب الجوهر. لأنه مولود من جوهر الآب حتى لا يشك أحد أنه ، بحسب صورة الآب غير المتغير. يكون اللوغوس أيضاً غير متغير" [ضد الآريوسيين ١:٣٩].

براهين كتابية أخرى

يقول القديس أثناسيوس : " ونحن إلى الآن. قد استعملنا أفكاراً حقيقية عن الابن للاجابة على ابتداعاتهم غير المعقولة. ولكن يجمل بنا الآن إذن أن نستشهد بالأقوال الإلهية لكى نبرهن أيضاً بدرجة أكثر كثيراً على عدم تغير الابن وعدم تغير طبيعته الأبوية[٨٣] الثابتة. كما يتبرهن أيضاً مدى انحرافهم وضلالهم" [ضد الآريوسيين ١:٤٠].

عندما كتب الرسول إلى أهل فيليبي يقول: "فليكن فيكم هذا الفكر الذي هو أيضاً في المسيح يسوع، الذي إذ كان موجوداً في صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون مساوياً لله، لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد. صائراً في شبه الناس. وهو إذ وُجد في الهيئة كإنسان، أذل (وضع) نفسه. وأطاع حتى الموت، موت الصليب. لذلك فإن الله مجّده ورفّعه عالياً أيضاً، وأعطاه أسماً فوق كل اسم. لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء، ومن على الأرض، ومن تحت الأرض. وسيعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب، (فيلبى ٢:٥-١١)

---

[٨٣] أى التي من الآب

أية أقوال أوضح وأكثر بياناً من هذه الأقوال؟

إن الرب لم يكن أصلاً في حالة وضيعة ثم رُقيّ، بل بالأحرى إذ كان إلهاً فقد اتخذ صورة عبد، وبإتخاذه صورة العبد. لم يرتقِ بل وضع نفسه. إذن فأين هو أجر الفضيلة في هذه الأمور؟. أو أي تقدم أو ترقي يمكن أن يكون في الإذلال.؟ لأنه إن كان وهو الإله، قد صار إنساناً، وبتنازله من علوه لا يزال يقال أنه يرّفع (أى يمجد مجداً عالياً). فمن أين يرّفع وهو الله؟. ويتضح من هذا أيضاً، أنه بما أن الله هو الأعلى والأكثر رفعة من الكل، فبالضرورة أيضاً يكون **كلمته** هو الأعلى والأكثر رفعة فوق الكل. وهذا الذي هو في الآب ومثل الآب في كل شيء. من أين إذن يمكنه أن يرفع عالياً أكثر من ذلك؟ إذن فهو ليس في حاجة إلى أي ازدياد، وليس الأمر كما يفهمه الآريوسيون. لأنه وإن كان اللوغوس قد نزل من أجل أن يرّفع عالياً . وهكذا هو مكتوب . فأية حاجة كانت هناك على الإطلاق تدفعه لأن يذل نفسه ، لكى يسعى للحصول على ذلك الشيء الذي كان لديه أصلاً؟

وما هي النعمة التي ينالها واهب النعمة؟ أو كيف نال هو الاسم للعبادة وهو الذي كان دائماً معبوداً بأسمه؟.

ومن قبل أن يصير هو انساناً، كان القديسون حينئذ يتوسلون إليه قائلين ''خلصني يا الله باسمك'' (مز٥٤:١) وأيضاً ''البعض يفتخر بالمركبات، والبعض الآخر بالخيل وأما نحن فبأسم الرب إلهنا سنتمجد'' (مز٢٠:٧). وهو الذي كان يسجد له البطاركة (رؤساء الآباء). إذ قد كتب عن الملائكة، ولتسجد له كل ملائكة الله'' (مز٩٧:٧، عب١:٦) [ضد الآريوسيين١ : ٤٠].

فإن كان داود ينشد في المزمور الحادى والسبعين قائلاً: ''اسمه دائم قبل الشمس''، وأيضاً: ''وقبل القمر الى أبد الآبدين[٨٤]. فكيف إذن ينال ما كان له دائماً حتى قبل أن يحصل عليه الآن (أى في الجسد)؟ أو كيف يرّفع مع كونه قبل ترفيعه (أو تمجيده) كان هو العالى (فوق الكل)؟ أو كيف حصل على (حق) العبادة. وهو الذي كان دائماً معبوداً من قبل أن يحصل على هذا الحق الآن؟. إذن

---

[٨٤] مز٧١ في الترجمة السبعينية ويقابل مز٧٢:١٧ ، مز٧٢:٥).

فهذا ليس بلغز بل هو سر إلهي. ''في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله'' (يو ١: ١) وهو لأجلنا فيما بعد ''الكلمة صار جسداً'' (يو ١: ١٤) وعبارة ''رفعه'' (مجده مجداً عالياً) التي نتحدث عنها الآن، لا تعن أن جوهر **الكلمة** قد أرتفع. لأنه كان دائماً وهو لا يزال كائن في الله. ولكنه يعنى ارتفاع (أو ترفع) بشريته.

إذن فهذه الأقوال لم تكن تقال من قبل إلا عندما صار الكلمة جسداً. لكى يصير واضحاً أن ''أذل نفسه''. ''وتمجد مجداً عالياً'' إنما تشير إلى إنسانيته، لأنه حيثما تكون هناك حالة الاذلال تكون هناك الرفعة أيضاً. أن كان بسبب اتخاذه للجسد قد كتب الاذلال عنه. فمن الواضح أن التمجيد (أو الرفعة) تقال عنه بسبب الجسد، لأن الانسان كان في مسيس الحاجة إلى هذا (التمجيد). بسبب وضاعة الجسد. وبسبب الموت.

وبما أن الكلمة وهو صورة الآب، وهو غير مائت، قد أتخذ صورة عبد، وكإنسان عانى الموت بجسده من أجلنا. لكى بذلك يبذل نفسه للآب بالموت من أجلنا لأجل هذا السبب يقال عنه إنه كإنسان مُجد أيضاً نيابة عنا ومن أجلنا، لكي كما بموته قد متنا جميعاً في المسيح، وعلى نفس المنوال أيضاً. فإننا في المسيح نفسه أيضاً قد مجدنا مجداً عالياً. مقامين من بين الأموات وصاعدين إلى السموات "حيث دخل يسوع كسابق لاجلنا" (عب٦: ٢٠)، "لا إلى أقداس أشباه الحقيقة، بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا" (عب٩: ٣٤). فإن كان المسيح قد دخل الآن إلى السماء عينها لأجلنا، رغم أنه من قبل هذا الحدث، كان هو دائماً الرب وخالق السموات. فتبعاً لذلك تكون هذه الرفعة الحالية قد كتبت أيضاً من أجلنا نحن.

وكما أنه وهو الذي يقدس الجميع، يقول أيضاً أنه يقدس نفسه للآب من أجلنا . ليس بالطبع لكى يكون اللوغوس مقدساً . بل لكى بتقديس ذاته يقدسنا جميعاً في ذاته. وهكذا بنفس المعنى ينبغى أن نفهم ما يقال الآن أنه ''تمجد''. ليس لكي يمجد هو نفسه (أى اللوغوس) . إذ أنه هو الأعلى . بل لكي هو ذاته ''يصير برا''

من أجلنا، أما نحن فلكي نتمجد (نرفع) فيه ولندخل إلى أبواب السماء، التي قد فتحها هو ذاته من أجلنا، حيث يقول السابقون "أرفعوا أيها الرؤساء أبوابكم، وأرتفعي أيتها الأبواب الدهرية ليدخل ملك المجد" (مز٣٤: ٧). وهنا أيضاً لم تكن الأبواب مغلقة أمامه هو إذ هو رب وخالق كل الأشياء. بل بسببنا كتب هذا الكلام. نحن الذين أغلقت أمامنا أبواب الفردوس.

لذلك يقال عنه من الناحية البشرية، بسبب الجسد الذي كان قد لبسه: "أرفعوا الأبواب". كما يقال أيضاً. "ليدخل" كما لو كان إنساناً سيدخل، ولكن من الناحية الإلهية - حيث أن "اللوغوس هو الله" - يقال عنه أيضاً أنه "الرب" و "ملك المجد" وقد سبق الروح فقال في المزمور التاسع والثمانين عن مثل هذه الرفعة التي صارت إلينا "وببرك يرتفعون. لأنك أنت هو فخر قوتهم" (مز١٨،٨٩: ١٧)، فإن كان الابن هو البر، إذن فهو لم يرتفع بذاته كما لو كان في حاجة إلى الرفعة، بل نحن الذين أرتفعنا (تمجدنا) بسبب البر الذي هو (المسيح) ذاته [ضد الآريوسيين ١: ٤١].

وهكذا أيضاً فإن عبارة "أعطاه اسماً" لم تكتب لأجل اللوغوس ذاته ـــ فإنه حتى قبل أن يصير أنساناً فقد كان معبوداً أيضاً من الملائكة ومن كل الخليقة. بحسب ذاتيته الأبوية[٨٥] بل كتبت هذه العبارة عنه بسببنا ولأجلنا. لأنه كما مات المسيح ثم رُفّع كإنسان، فبالمثل قيل عنه أنه أخذ كإنسان ما كان له دائماً كإله. وذلك لكى تصل إلينا عطية مثل هذه النعمة، فإن اللوغوس لم يحط قدره بإتخاذه جسداً حتى يسعى للحصول على نعمة أيضاً، بل بالأحرى فإن الجسد الذي لبسه قد تأله، بل وأكثر من ذلك، فقد أنعم بهذه النعمة على جنس البشر، بدرجة أكثر.

فكما أنه كان يُعبد دائماً لكونه اللوغوس "الموجود في صورة الله" - هكذا ظل هو نفسه كما هو وصار إنساناً ودُعى يسوع. فليس أقل من أن كل الخليقة. تظل كما كانت دائماً. تحت قدميه، وهي التي تجثو بركبها له بهذا الاسم (يسوع).

---

[٨٥] أى بحسب كونه الابن الذي من ذات الآب.

وتعترف أن اللوغوس صار جسداً، وأنه احتمل الموت بجسده. ولم يحدث له كل هذا كإهانة لمجد ألوهيته بل "لمجد الله الآب".

لأن مجد الله الآب هو: أن يوجد الانسان الذي كان قد خُلق ثم هلك، وهو: أن يحيا الذي مات، وهو: أن يصير الانسان هيكل الله. ولأن القوات السمائية من ملائكة ورؤساء ملائكة كانت تعبده دائماً، فإنهم الآن أيضاً يسجدون للرب باسم يسوع، فهذه النعمة وهذا التمجيد العالى إنما هو لنا، وأنه بالرغم من أنه صار إنساناً وهو ابن الله فإنه يُعبد. لذلك لن تدهش القوات السمائية حينما ترانا نحن جميعاً. المتحدين معه في نفس الجسد. داخلين إلى مناطقهم (السمائية). وهذا قطعاً. لم يكن ممكناً أن يحدث بأية طريقة أخرى، اللهم إلا إذ كان هذا الذي كان موجوداً في صورة الله، قد أتخذ لنفسه صورة العبد، وأذل ذاته. راضياً بأن يصل جسده حتى إلى الموت [ضد الآريوسيين ١: ٤٢].

"إن قيامتنا به معتمدة عليه، والاله الحقيقى وحده هو الذي يُعبد بأسم ربنا يسوع المسيح. أما عبادة الرب الذي صار في الجسد البشرى، ودُعيّ يسوع، والإيمان به كابن الله. والتعرف على الآب بواسطته، فهو أمر جلي، كما قلنا، أنه ليس بسبب كونه لوغوس هو الذي حصل على مثل هذه النعمة، بل نحن. لأنه بسبب علاقتنا بجسده فقد صِرنا نحن أيضاً هيكل الله – وتبعاً لذلك قد جعلنا أبناء الله. وذلك حتى يعبد الرب فينا أيضاً. والذين يبصروننا يعلنون – كما قال الرسول "أن الله بالحقيقة فيكم" (١كو١٤: ٢٥). وكما قال يوحنا أيضاً في إنجيله "وكل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله" (يو١: ١٢). وكما كتب في رسالته "بهذا نعرف أنه يسكن فينا من روحه الذي أعطاه لنا" (١يو٣: ٢٤).

إن النعمة قد أعطيت له من خلالنا – بسبب أن الرب الذي هو مانح النعمة قد صار إنساناً مثلنا. والمخلص نفسه أذل نفسه بإتخاذه "جسد تواضعنا" – وأتخذ صورة عبد، لابساً ذلك الجسد الذي كان مستعبداً للخطيئة" [ضد الآريوسيين ١: ٤٣]. هكذا لم يحصل **كلمة** الله على شيء منا يرتقى به لأن **كلمة** الله هو ليس في احتياج إلى شيء، لأنه كامل، بل بالأحرى نحن الذين نلنا منه الارتقاء. لأنه هو

"النور الذي ينير كل انسان يأتي إلى العالم" (يو ١:٩).

مشكلة الآريوسيين أنهم يركزون بلا جدوى على أداة الربط: "لذلك" لأن بولس قال "لذلك مجده الله مجداً عالياً" (في ٢:٨). فهو بهذا القول لم يكن يعني مكافأة لفضيلة ولا ارتقاء نتيجة تقدم أخلى، ولكنه يقصد السبب في العلو والتمجيد والارتفاع الذي صار فينا. وما هو هذا السبب إلا أن يكون الذي كان في صورة الله وضع نفسه وصار بدلاً منا ومن أجلنا؟

فلو لم يكن الرب قد صار إنساناً، لما كان في وسعنا أن نفتدى (نتحرر) من الخطيئة وأن نقوم من بين الأموات، بل لبقينا أمواتاً تحت الأرض. ولما كنا لنرفع (لنمجد) إلى السماء، بل لرقدنا في الجحيم [ضد الآريوسيين ١:٤٣] .

ثانياً : شرح نصوص: عب ٣:٢
"كونه أمينا للذى أقامه"

رأي الآريوسيين :

يعتقدون أن **كلمة** الله هو واحد من المخلوقات وذلك بسبب ما هو مكتوب "كونه أميناً للذى اقامه". لذا يقولون إن الله هو "مصنوع"، و "مخلوق".

رد القديس أثناسيوس :

يفسر القديس أثناسيوس هذه الآية في إطار التجسد ، إذ يقول يجب أن نخبرهم أنه "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله[٨٦]. وهكذا بمشيئة الآب صار **الكلمة** نفسه انساناً، وهذا ما قاله عنه يوحنا بحق "أن الكلمة صار جسداً" [٨٧]. وما قاله بطرس "جعله رباً ومسيحاً"[٨٨]. والرب نفسه يتكلم على لسان سليمان ويقول: "الرب أقامنى أول طرقه لأجل أعماله" [٨٩]. وبولس

[٨٦] يو ١:١.

[٨٧] يو١:١٤.

[٨٨] أع ٢:٣٦.

[٨٩] أم٨:٢٢.

يقول ”بهذا المقدار صار أعظم من الملائكة“[٩٠] وأيضاً ”أخلى نفسه آخذاً صورة عبد“[٩١] ومرة أخرى ”ومن ثم أيها الأخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية تأملوا رسول ورئيس كهنة اعترافنا، يسوع، حال كونه أميناً للذى أقامه“[٩٢] لأن كل هذه الأقوال لها قوتها الذاتية ولها مضمونها الذي يقود إلى التقوى ويظهر ألوهية **الكلمة**، وأن ما قيل عنه بحسب بشريته قد قيل بسبب أن **الكلمة** صار أيضاً ابن الانسان [ضد الآريوسيين ٢: ١].

يستمر القديس أثناسيوس بسعة صدره في تكرار ما قاله بدون ملل لكي يقنع الآريوسيين ، لذا يقول : ”فلو لم يكن هو الابن، لأمكن أن يسمى ”مخلوقاً“، وكل ما يُنسب إلى المخلوقات سيُنسب إليه، ولن يُلقب وحده ”ابناً“ ولا ”**كلمة**“ ولا ”حكمة“ ولن يُلقب الله أيضاً ”بالآب“، بل فقط ”بالخالق“ و ”الباري“ للأشياء ”الصائرة“ بواسطته. وستكون الخليقة هي صورة وملامح إرادته الخلاقة. ووفقاً لتعاليمهم فهو ذاته (الآب) لن تكون طبيعته مثمرة. وبذلك لن يكون لجوهره الذاتي أى ”**كلمة**“ ولا ”حكمة“ و ”صورة“ إطلاقاً. فلو لم يكن هو ”ابناً“ فلن يكون ”صورة“. ولكن لو لم يكن هناك وجود للابن فكيف يمكن أن تقولوا إذن أن الله خالق؟ فالمخلوقات إنما قد خُلِقت قطعاً بواسطة ”**الكلمة**“ و ”الحكمة“. وبغير **الكلمة** لِما كان ممكناً أن يوجد أي شيء. والآب كما يقولون عنده **الكلمة** الذي فيه وبواسطته يخلق كل شيء وإلا لكان الجوهر ليس خصباً بل عقيماً ومجدباً حسب رأيهم — كالنور الذي لا يضئ وكالنبع الجاف ...“ [ضد الآريوسيين ٢:٢]

---

[٩٠] عب ١: ٤.

[٩١] في ٢: ٧.

[٩٢] عب ٢،٣: ١.

أهمية أن يكون الرب إبن الله وليس مخلوق

يشرح القديس أثناسيوس أهمية أن يكون الرب إبن الله عن طريق توضيح أننا لا ننطلق من الألفاظ بل من معانيها، إذ يقول: " من الضرورى أن نعترف نحن بأن الرب هو الإبن. وإن كان هو ابن — كما هو هكذا بالحقيقة — فالابن يجب أن يُعترف به أنه ليس من خارج أبيه بل هو الذي ولده، لذا يلزم — كما سبق أن قلنا — أن يكفوا عن تحوير الأقوال التي يستعملها القديسون بخصوص **الكلمة** نفسه. فإنهم يستخدمون عبارة "الذي أقامه" بدلاً من "الذي ولده"، فإن هذا اللفظ ليس له علاقة بهذا الأمر طالما أن الابن قد اعتُرف به أنه من طبيعة أبيه. فليست الألفاظ هي التي تقلل من قدر طبيعة الأشياء، بل بالأحرى فإن طبيعة الأشياء هي التي تضفي المعنى على الألفاظ وغيرها" [ضد الآريوسيين ٢:٣].

يستمر القديس أثناسيوس في شرح خطورة التعويل على اللفظ اللغوي (الحرف) مؤكدا بذلك على المعاني التي نعطيها للألفاظ ، إذ يقول : " لأن الألفاظ ليست سابقة على جواهر الأشياء بل أن الجواهر هي الأولى والألفاظ تأتى تالية لها. ولذلك فعندما يكون الجوهر "مصنوعاً" أو "مخلوقاً"، عندئذ فأن الألفاظ: "صنع" و"صار" و"خلق" تقال عنه بصفة خاصة ويقصد بها أنه "مصنوع". ولكن حينما يكون الجوهر مولوداً وابناً، عندئذ فإن ألفاظ "صنع" و "صار" و "خلق" **لا تستخدم بحسب مفهومها الحرفي**، ولا تعنى أنه "مصنوع" بل تكون كلمة "صُنع" قد استخدمت بدلاً من "وُلد" بدون تحديد" [ضد الآريوسيين ٢:٣].

يعطي القديس أثناسيوس الأمثلة الكتابية التي تبرهن على إعتمادنا على المعنى وليس الحرف، إذ يقول: " وفي أحيان كثيرة يلقب الآباء ابناءهم الذين ينجبونهم عبيداً لهم، دون أن ينكروا أصالة طبيعتهم. وأحياناً يجاملون عبيدهم ويسمونهم أبناء دون أن يفقدوا حق امتلاكهم لهم منذ البداية. إلا أنهم في الحالة الأولى يسمون ابناءهم عبيداً من خلال سلطانهم كآباء، وفي الحالة الثانية يسمون عبيدهم أبناء بدوافع إنسانية. فسارة كانت تدعو إبراهيم سيداً[٩٣] رغم أنها لم تكن

٩٣ بط٣:٦.

عبدة له، بل كانت زوجة. وكان الرسول يصف أونسيموس العبد كأخ لفليمون الذي كان ''سيداً''[٩٤]، أما بتشبع فرغم كونها أُماً دعت إبنها عبداً قائلة لأبيه: ''عبدك سليمان''[٩٥]. وكذلك ناثان النبي أيضاً بعد أن وصل قال لداود نفس كلامها بأن ''سليمان عبدك''[٩٦]. إنهم لم يبالوا أن يقولوا عن الابن أنه ''عبد''، لأن داود الذي سمع هذا القول كان يعرف طبيعة سليمان. وهم أيضاً بقولهم هذا لم يكونوا يجهلون أصالة سليمان. وكانوا يطالبون أن يكون وارثاً لأبيه، رغم أنهم كانوا يلقبونه عبداً، إذ كان هو ابناً لداود بالطبيعة'' [ضد الآريوسيين ٢:٣].

هكذا بالرغم من أن الرب هو الابن الأصيل للآب بالطبيعة وهو **كلمته** وحكمته فإنه حتى إذا قيل بخصوصه ''صُنع'' أو ''صار'' فلا يقال عنه هذا كما لو كان كائناً مصنوعاً.

'' إن القديسين استخدموا التعبير بلا تمييز . مثلما حدث بالنسبة لسليمان وأبناء حزقيا . لأنه مع أن هؤلاء الأبناء ولدوا من آبائهم أنفسهم، فقد كتب عنهم: قد ''صنعت''، و ''خلقت''، و ''صار''. إذن فإن أعداء الله الذين يتعللون كثيراً بمثل هذه العبارات هم ملزمون الآن بعد هذا الذي قيل . أن يتخلوا عما يتشدقون به من أفكار تجديفهم، وبهذا يعتقدون . بخصوص الرب . أنه ابن حقيقى . **وكلمة** الآب وحكمته، وأنه ليس مصنوعاً أو مخلوقاً لأنه إن كان الابن مصنوعاً، فأية علة، وأية حكمة إذن هي التي أوجدته؟ لأن كل المخلوقات قد صارت بواسطة الكلمة والحكمة، كما قد كُتب ''كلها بحكمة صنعت'' (مز ١٠٤: ٢٤) وأيضاً ''كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان'' (يو ١: ٣). فإن كان هو الكلمة والحكمة الذي به قد صار كل شيء، فينتج من ذلك أنه لا ينتمى إلى الأشياء المصنوعة ولا إلى الأشياء المخلوقة إطلاقاً، ولكنه هو مولود الآب'' [ضد الآريوسيين ٢:٥].

---

[٩٤] فليمون ١٦.

[٩٥] ١مل١٩:١، ١٦.

[٩٦] ١مل١: ٢٦.

ثالثاً : شرح نصوص: يو١٤ :١٠
"أنا في الآب والآب فيّ"

رأي الآريوسيين :

يُحرفون معنى كلمات الرب: "انا في الآب والآب في" (يو١٤ :١٠)، قائلين : [كيف يمكن أن يحتوى الواحد الآخر والآخر يحتوى في الأول"؟ أو كيف يمكن يحتوى الآب الذي هو أعظم، في الإبن الذي هو أقل منه؟ "أو" أي غرابة أن يكون الإبن في الآب، طالما أنه مكتوب عنا نحن أيضاً "به نحيا ونتحرك ونوجد" (أع١٧ :٢٨) [ضد الآريوسيين ٣ :١].

رد القديس أثناسيوس :

يشخص القديس أثناسيوس مشكلة الآريوسيين، قائلاً: " هذه الضلالة في التفكير ناتجة عن إنحراف ذهنهم ، فهم يظنون أن الله مادى، ولا يعرفون مَنْ هو "الآب الحقيقى" ولا الإبن الحقيقى"، ولا ما هو "النور غير المنظور والآزلى"، "واشعاعه غير المنظور"، ولا يفهمون "ما هو الكيان غير المنظور" و "الرسم غير المادى" و "الصورة غير المادية" (عب١ :٣). لأنهم لو عرفوا، لما جدفوا على رب المجد ولا سخروا منه، ولما فسروا الأمور غير المادية بطريقة مادية، ولما حرفوا الكلمات المستقيمة" [ضد الآريوسيين ٣ :١]. **ويشدد القديس أثناسيوس على أن التفسير الصحيح يتأسس على الإيمان الصحيح، قائلاً:** " قد كان يكفي عند سماعهم كلمات الرب أن يؤمنوا بها حيث أن الإيمان البسيط هو أفضل من الإحتمالات التي يفترضونها هم بفضولهم" [ضد الآريوسيين ٣ :١]. **ثم يشرح القديس أثناسيوس التفسير الصحيح للآية، هكذا :**

١. عندما يقول "أنا في الآب والآب فيَّ" فهذا لا يعنى كما يظن هؤلاء أن الواحد يفرغ ذاته في الآخر ليملأ الواحد منهما الآخر، كما يحدث في الأوانى الفارغة. حتى أن الإبن يملأ فراغ الآب، والآب فراغ الإبن، وكأن كلا منهما ليس تاما ولا كاملاً في ذاته فهذه هي خاصية الأجساد. ولذلك فإن هذا القول، هو أكثر من الإلحاد لأن الآب هو تام وكامل" والإبن كذلك هو ملء اللاهوت. وما يحدث مع

القديسين عندما يحل الله فيهم ويكلمهم، هذا لا يحدث في حالة الإبن إذ هو قوة الآب وحكمته، فالمخلوقات بإشتراكها في الابن، تتقدس في الروح، أما الإبن نفسه فهو ليس إبنا بالمشاركة، بل هو مولود الآب الذاتى.

٢. لا يوجد الابن في الآب بالمعنى الذي في الآية "فيه نحيا، ونتحرك، ونوجد"، لأن الإبن لكونه من ينبوع الآب "فهو الحياة، الذي به تحيا وتقوم كل الآشياء، لأن الحياة لا تحيا من حياة (أخرى)، وإلا فهى لا تكون عندئذ حياة. فالابن هو الذي يعطى الحياة لكل الأشياء" [ضد الآريوسيين ٣:١].

رد القديس أثناسيوس على أستيريوس المدافع عن رأي الهراطقة :

يقول أستيريوس: إن الإبن ليس من جوهر الآب ولذلك فهو يقول عن الابن أنه ينال القوه من الله مثل باقى المخلوقات وليس هو قوة الله ذاتها ذلك أن الابن ليس ابناً لله بالطبيعة بل هو يصير إبناً بالتبنى مثل باقى المخلوقات. وهذا هو معنى كلمه "في إبن" ، أى لم يكن هو إبناً لله أصلاً وكذلك لا يكون الإبن هو **كلمة** الله بالطبيعه بل يأخذ سلطان **الكلمة** مثل الأنبياء الذين أتت إليهم كلمه الله وهم مخلوقين. هكذا يزعم أنه بقوله: أنا في الآب والآب أيضاً في، لهذا السبب فلا الكلمة التي كان يقولها هي كلمته بل كلمة الآب، ولا الأعمال هي خاصة به بل خاصة بالآب، الذي أعطاه القوة".

رد القديس أثناسيوس:

" ما قد قاله الإبن هو خاص فقط بمن هو ابن ولائق به. فهو **كلمة** جوهر الآب وحكمته وصورته وهذا الذي قاله الإبن، يجعله أستيريوس خاصاً أيضاً بكل المخلوقات ومشتركاً بين الإبن والمخلوقات. ويقول المخالف إن الذي هو قوة الآب، ينال قوة، ويواصل إلحاده فيقول إن الإبن صار إبناً، في إبن، وأن **الكلمة** أخذ سلطان حكمته، وهو لا يريد أن يعترف إن "الإبن تكلم بهذا بإعتباره إبنا بل هو يحصيه مع كل المخلوقات كأنه قد تعلم هذا الكلام كما تعلمته المخلوقات، فالإبن قال، "أنا في الآب والآب فيّ"، بسبب أن كلماته لم تكن خاصة به بل

بالآب، هكذا أيضاً أعماله. وداود يقول "إني سأسمع ما يتكلم به الرب الإله لي (مز ٨٤:٨س) وأيضاً سليمان "كلماتي قد قبلت من الله، (أنظر ١ مل١٠:٤) وموسى كان خادماً للكلمات التي من الله، وكل واحد من الأنبياء لم يتكلم مما له بل مما أخذه من الله، قائلين "هكذا يقول الرب". وحيث أن الاعمال التي عملها القديسون كما أعترفوا هم أنفسهم لم تكن أعمالهم الخاصه بل أعمال الله الذي أعطاهم القوه. فإيليا وإليشع مثلاً يطلبان إلى الله أن يقيم هو الأموات. وعندما طهّر إليشع نعمان من البرص قال له "لكى تعرف أنه يوجد إله في إسرائيل" (أنظر ٢ مل٥:١٥) وصموئيل أيضاً صلى في أيام الحصاد لكى يرسل الله المطر. والرسل قالوا أنهم يصنعون العجائب لا بقوتهم الخاصه بل بنعمه الرب" [ضد الآريوسيين٣:٢].

الإبن الحقيقى هو الذي يليق به وحدة أن يقول: "أنا في الآب والآب فيّ". لأن الإبن هو في الآب بحسب ما يسمح لنا أن نعرف. لأن كل كيان الإبن هو من جوهر الآب ذاته. **كمثل الشعاع من النور، والنهر من الينبوع.** حتى أن مَنْ يرى الإبن يرى ما هو خاص بالآب، ويعرف أنه بسبب أن كيان الإبن هو من الآب لذلك فهو في الآب. لأن الآب هو في الإبن حيث أن الإبن هو من الآب وخاص به مثلما أن الشعاع هو من الشمس والكلمة هي من العقل والنهر من الينبوع. ولذلك فأن مِنْ يرى الإبن، ويرى ما هو خاص بجوهر الآب، يعرف أن الآب هو في الإبن. وحيث أن ذات الآب وألوهيته هي كيان الإبن، لذلك فإن الإبن هو في الآب والآب في الإبن لهذا السبب كان من الصواب أن يقول أولاً: "أنا والآب واحد" (يو١٠:٣٠)، وبعد ذلك يضيف "أنا في الآب والآب فيّ" (يو١٤:٣٠) لكى يوضح وحدة الألوهية من ناحية، ووحدة الجوهر من الناحية الآخرى [ضد الآريوسيين٣:٣].

هما واحد ولكن يظلا أثنين :

يشرح القديس أثناسيوس كيف أن الإبن والآب واحد، وايضاً يظلا أثنين، إذ يقول: [هما واحد، ولكن ليس مثل الشيء الواحد الذي يمكن أن ينقسم إلى جزئين، كما أنهما ليسا مثل الواحد الذي يسمى بإسمين، فمرة يسمى الآب ومرة

أخرى يسمى هو نفسه إبنه الذاتى، فهذا ما قال به سابيليوس[٩٧] وبسببه حكم عليه كهرطوقى. لكن هما إثنان لأن الآب هو الآب ولا يكون أبناً أيضاً، والإبن هو إبن ولا يكون أباً أيضاً. **لكن الطبيعة هي واحدة،** لأن المولود لا يكون غير مشابه لوالده لأنه صورته، وكل ما هو للآب هو للإبن (يو١٦: ١٥)] [ضد الآريوسيين٣: ٤]. **ويشرح القديس أثناسيوس تفسيره بالأمثلة، قائلاً:** " رغم أن الإبن هو آخر غير الآب كمولود، إلا أنه كإله هو كالآب تماماً. فهو والآب كلاهما واحد في الذات، وواحد في خصوصية الطبيعة، وفي وحدة الألوهية كما سبق أن قلنا حيث أن الشعاع هو النور وليس ثانياً بعد الشمس، ولا هو نور آخر، ولا هو ناتج من المشاركة مع النور، بل هو مولود كلي وذاتي من النور ومثل هذا المولود هو بالضرورة نور واحد ولا يستطيع أحد أن يقول أنه يوجد نوران، فرغم أن الشمس والشعاع هما أثنان إلا أن نور الشمس الذي ينير بشعاعه كل الأشياء، هو واحد" [ضد الآريوسيين ٣: ٤].

ويؤكد القديس أثناسيوس على ألوهية الإبن قائلاً: [هكذا أيضاً لاهوت الإبن هو لاهوت الآب ولهذا أيضاً فهو غير قابل للتجزئة، ولذا فإنه يوجد إله واحد وليس آخر سواه. وهكذا حيث أنهما واحد، والألوهية نفسهما واحده فكل ما يقال عن الآب يقال هو نفسه عن الابن ما عدا أن كيانه يُدعىّ الآب: فمثلاً يقال عنه أنه الله (كما يقال عن الآب)، "وكان الكلمة الله" (يو١: ١). وأنه ضابط الكل "الذي كان والكائن والذي يأتي الضابط الكل" (رؤ١: ٨). وأنه "الرب" "رب واحد، يسوع واحد" (١كو٨: ٦). وأنه هو النور "أنا هو النور" (يو٨: ١٢). وأنه يمحو الخطايا "لكى تعلموا أن لإبن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا" (لو٥: ٢٤)، وهكذا أيضاً بالنسبة للصفات الأخرى. لأن الإبن نفسه يقول "كل ما للآب هو ليّ" (يو١٦: ١٥). وأيضاً يقول "وكل ما لي فهو لك" (يو١٧: ١٠)] [ضد الآريوسيين٣: ٤].

---

[٩٧] سابيليوس. ظهر في روما في أوائل القرن الثالث وعلم بأن الآب والابن والروح القدس هم أقنوم واحد وليسوا ثلاثة أقانيم متحدين جوهرياً. وقال أن الآب أعطى الناموس في العهد القديم ثم ظهر هو نفسه بأسم الروح القدس، أى أن الثالوث هو ثلاث ظهورات متوالية في التاريخ لشخص واحد، وليس ثلاثة أقانيم لهم جوهر واحد.

مثال آخر :

يقول القديس أثناسيوس: [وهذا ما يمكن أن نفهمه من مثال صورة الملك، حيث يوجد شكل الملك وهيئته في الصورة، والهيئة التي في الصورة هي التي في الملك، لأن ملامح الملك في الصورة، هي مثله تماماً حتى أن مَنْ ينظر إلى الصورة يرى الملك فيها، وأيضاً مَنْ يرى الملك، يدرك أنه هو نفسه الذي في الصورة. وبسبب عدم إختلاف الملامح، فإن مَنْ يريد أن يرى الملك بعد أن رأى الصورة، يمكن أن تقول له الصورة ''أنا والملك واحد''، لأنى أنا في الملك، والملك فيّ، وما تراه أنت فيّ هذا تراه فيه، وما قد رأيته فيه تراه فيّ. وتبعاً لذلك فمن يسجد للصورة فهو يسجد للملك أيضاً فيها لأن الصورة لها شكله وهيئته. إذن بما أن الإبن أيضاً هو صورة الآب فينبغي أن يكون مفهوماً بالضرورة أن ألوهية الآب وذاته هي كيان الإبن وهذا هو ما قيل عنه ''الذي إذ كان في صورة الله'' (فيلبى٢:٦)، و ''الآب فيّ'' (يو١٤:١٠)] [ضد الآريوسيين ٣:٥].

البُعد الخلاصي :

الدفاع عن ألوهية الإبن عند القديس أثناسيوس لها بُعد خلاصي، فألوهية الإبن هي ذاتها ألوهية الآب، وهذا هو ما يقوله، ''أنا في الآب'' لذلك ''كان الله في المسيح مصالحا العالم لنفسه'' (٢كو٥:١٩). لأن الإبن هو جوهر الآب ذاته، الذي بواسطته تصالحت الخليقه مع الله، وهكذا فالأعمال التي عملها الإبن هي أعمال الآب لأن الإبن هو صورة لاهوت الآب التي عملت الأعمال [ضد الآريوسيين٣:٦].

هكذا '' مَنْ ينظر إلى الإبن يرى الآب لأن الإبن يوجد ويُرى داخل ألوهية الآب، وصورة الآب التي في الإبن تظهر الآب فيه. ولذلك فالآب هو في الإبن. وتلك الخاصية والالوهية التي من الآب في الإبن ترينا الإبن في الآب وتوضح أنه غير منفصل عنه على الإطلاق'' [ضد الآريوسيين ٣:٦]. **يفضل القديس أثناسيوس أن ندعو الله آب وليس خالقاً أو صانعاً، إذ يقول :**

"لأنه إن لم يكن هناك أبن فلا يستطيع أحد أن يقول أن هناك آب. بينما حينما ندعو الله صانعاً فهذا ليس بالضرورة إعلاناً منا أن مصنوعاته قد أتت إلى الوجود، لأن الصانع موجود قبل وجود مصنوعاته، ولكن حينما ندعو الله أباً فنحن نعني في الحال وجود الابن في الآب. لذلك فمَنْ يؤمن بالإبن يؤمن بالآب أيضاً: لأنه يؤمن بما هو خاص بجوهر الآب. وهكذا يكون إيمان واحد بإله واحد. ومَنْ يسجد للإبن ويكرمه، فهو في الإبن يسجد للآب ويكرمه" [ضد الآريوسيين ٣:٦]. **بالتالي السجود هو لإله واحد لأن الألوهية هي واحده ، لذا يقول القديس أثناسيوس:**

" إذ أن الألوهية هي واحدة، ولذلك فالإكرام والسجود اللذان يقدمان إلى الآب في الإبن وبه، هما واحد. ولهذا فالذي يسجد إنما يسجد لإله واحد، لأنه يوجد إله واحد وليس آخر سواه. ولذلك فحينما يُسمى الآب الإله الوحيد، ونحن نقرأ أنه يوجد "إله واحد" (مر١٢:٢٩)، و "أهيا = أنا هو = أنا أكون" (خر٣:١٤)، "ليس إله معي" (تث٣٢:٣٩)، و "أنا الأول وأنا الآخر" (اش٤٤:٦) "كل هذا له معنى ملائم. لأن الله واحد وهو الوحيد وهو الأول، ولكن هذا لا يقال بقصد إنكار الإبن، حاشا، لأن الإبن هو في ذلك الواحد والوحيد والأول، لكونه **الكلمة** الوحيد والحكمة والشعاع الذي من ذاك الواحد والوحيد والأول" [ضد الآريوسيين ٣:٦].

رابعاً : شرح نصوص: يو١٧ :٣
"أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته"

رأي الآريوسيين :

طالما أن الله يُدعىّ الواحد والوحيد والأول، فكيف تقولون إن الإبن هو الله؟ لأنه لو كان هو الله لِما كان الله قد قال "ليس إله معى" (تث٣٩، ٣٢) ولا "الهنا واحد" (تث٤، ٦) .

رد القديس أثناسيوس :

يُنفي القديس أثناسيوس أي منافسة بين الإبن والآب، إذ يقول: [لأنه لو كان الإبن منافساً للآب إذن لكانت هذه الكلمات قد قيلت ضده، ولو أن الآب ينظر إلى الإبن مثلما حدث لداود حينما سمع عن أدونيا وأبشالوم[٩٨]، إذن لكان قد نطق بهذه الآيات عن نفسه، لئلا عندما يقول الإبن عن نفسه أنه إله، يجعل البعض يتمردون على الآب اما إن كان مَنْ يعرف الإبن، يعرف الاب بالحرى، والإبن هو الذي يكشف له الآب في **الكلمة**، كما مكتوب. وإن كان الإبن في مجيئه لم يمجد نفسه بل مجد الآب، إذ قال لواحد قد جاء إليه، "لماذا تدعونى صالحاً؟ ليس أحد صالح، إلا واحد وهو الله" (لو١٨ :١٩)، ورداً على سؤال من سأله ما هي الوصية العظمى في الناموس قال "اسمع يا أسرائيل الرب ألهك رب واحد هو" (مر١٢ :٢٩).

وقال للجموع " قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذي أرسلني" (يو٦ :٣٨)، وعلم التلاميذ قائلاً "أبى أعظم منى" (يو١٤ :٢٨) وأيضاً "الذي يكرمني يكرم الذي أرسلني" (يو٥ :٢٣، ١٣ :٢٠) [ضد الآريوسيين ٣ :٧] **ثم يتسائل قائلاً:**

٩٨ أنظر ٢صم ١٥ :١-١٩، ٤١، ١ مل ١ :٥ للآخر يشير القديس أثناسيوس هناإلى تمرد إبشالوم وأدونيا أولاد داود الأثنين علىأبيهما لأغتصاب الملك منه، وهو يذكر هذا المثل من العهد القديم، لكى يبين أن الإبن ليس منافساً للأب كما ينافس الأبنان المتمردان أباهم الملك، ويحاولان أن يبعدا الشعب عنه.

[فإن كان موقف الإبن تجاه أبيه هو هكذا، فما هي الصعوبة التي تجعل أي واحد يتخذ مثل ذلك المعنى عن هذه الآيات؟

ومن الناحية الآخرى إن كان الإبن هو **كلمة** الآب فمَنْ هو الذي بهذه الدرجة من الحماقة إلى جانب محاربي المسيح أولئك. حتى يظن أن الله قد تكلم هكذا لكى يطعن في **كلمته** وينكره؟] **هكذا يقول لنا القديس أثناسيوس سر التشديد على إعلان الكتاب بأن الله واحد ، إذ يقول :**

" فليس هذا هو تفكير المسيحيين، حاشا! لأن هذه (الآيات) لم تكتب ضد الإبن، بل لكى يستبعد الآلهة الكاذبة التي أخترعها البشر. ولهذا يكون معنى مثل هذه الآيات، سليماً" [ضد الآريوسيين ٣:٧].

هكذا ــ كما يقول القديس أثناسيوس ــ بسبب أن أولئك الذين يتعبدون الآلهة الكاذبة، يبتعدون عن الإله الحقيقى، لذلك فلأن الله صالح ومعتن بالبشر فهو ينادي الضالين مرة أخرى، ويقول: "أنا هو الأله وحدي" و "أنا هو" و "ليس إله معي" وكل الآيات التي مثلها، وذلك لكى يحكم على الأشياء التي لا كيان لها من ناحية ويحول البشر إلى نفسه من الناحية الآخرى.

ويسرد القديس أثناسيوس مثلاً رائعاً يوضح هذه الحقيقة ، قائلاً : " وكما لو أفترضنا أن شخصاً ما أثناء النهار وبينما الشمس ساطعة يرسم رسما بدائياً على قطعة من الخشب، وليس لهذا الرسم أية علاقة بشكل النور، ثم يقول عن ذلك الرسم أنه سبب النور، فإن كانت الشمس عندما ترى هذا الرسم يمكنها أن تقول "أنا هو نور النهار وحدي وليس هناك نور آخر للنهار سواي" بينما هو يقول هذا ليس عن شعاعها، بل عن رسمه الرديء على الخشب وعن خياله الباطل الذي زيف الحقيقة. هكذا الأمر أيضاً بخصوص "انا هو"، "أنا هو الإله وحدي" و "وليس إله معي"، فهو يقول هذا لكي يجعل الناس يتركون الآلهة الكاذبة ولكي يعرفوا بالحري أنه هو الإله الحقيقي" [ضد الآريوسيين ٣:٨].

يسرد أيضاً القديس أثناسيوس برهاناً آخراً لكي يُقنع الآريوسيين، إذ يقول: " إن الله قد تكلم بواسطة **كلمته** لأن **كلمة** الرب قد صارت إلى النبي.

وهذا هو ما سمعه النبي من (**الكلمة**). فإذا كان هذا قد قيل بواسطة الكلمة إذن فلا يقول الله شيئاً أو يفعله إلا ويقوله ويفعله **بالكلمة**. لذلك فيا محاربى الله إن هذه الآيات ليس موجهه ضد الإبن، بل ضد الأشياء الغريبة عن الله، والتي ليست منه. لأنه بحسب الصورة التي سبق وأشرنا إليها، إن كانت الشمس قد تكلمت بتلك الكلمات فإنها لم تقلها كأن شعاعها غريب عنها إذ هي تظهر نوراً في شعاعها ولكنها تكون قد قالتها لكى تكشف الخطأ وتصححه. لذلك فمثل تلك الآيات ليس لأجل إنكار الإبن ولا هي قيلت عنه، بل هي قيلت لطرح الضلال بعيداً" [ضد الآريوسيين ٣:٨].

أما إذا تسائل أحد : لماذا لم يقل الله لآدم هذه الحقيقة، يقول القديس أثناسيوس: "الله لم يكلم آدم بمثل هذه الأقوال في البداية، رغم أن **الكلمة** الذي بواسطته خلقت كل الآشياء كان معه، إذ لم تكن هناك حاجة إلى ذلك لأن الأوثان لم تكن قد وجدت بعد. لكن حينما قام الناس ضد الحق ودعوا لأنفسهم آلهة مثلما أرادوا، حينئذ نشأت الحاجة لمثل هذه الأقوال، لأجل إنكار الآلهة التي لا كيان لها. بل أود أن أضيف أنها قد قيلت مسبقاً عن حماقة محاربي المسيح هؤلاء، ولكي يعرفوا أن أي إله يخترعونه غريباً عن جوهر الآب، ليس إلهاً حقيقياً، ولا هو صورة وإبن الأول والوحيد" [ضد الآريوسيين٣:٨].

بالتالي فإن كان الآب قد دُعيَّ الإله الحقيقى الوحيد فهذا لا يعنى إنكار هذا الذي قال "أنا هو الحق" (يو١٤:٦) وأضاف الرب مباشرة. "ويسوع المسيح الذي أرسلته". (يو١٧:٣). وعلى هذا فلو أنه كان مخلوقاً لما أضاف هذه العبارة وأحصى نفسه مع الخالق، فإية شركة تود بين الحقيقى وغير الحقيقى؟ ولكن . كما يقول القديس أثناسيوس . الإبن إذ أنه أحصى نفسه مع الآب، فقد أظهر أنه من طبيعة الآب نفسها، وأعطانا أن نعرف أنه المولود الحقيقي من الآب الحقيقي. وهكذا أيضاً تعلم يوحنا وعلم هذا كاتباً في رسالته "ونحن في الحق في إبنه يسوع المسيح هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية" (١يو٥: ٢٠) [ضد الآريوسيين٣:٩]. **يستمر أيضاً القديس أثناسيوس في البراهين الكتابية، قائلاً :**

"وحينما يقول النبي عن الخليقة "الذي بسط السماء وحده" (أيوب٩:٨)
وحينما يقول الله "أنا وحدي باسط السماء" (أش٤٤:٢٤) يصير واضحاً للجميع
أن لفظة (وحده) تشير أيضاً إلى "**الكلمة** الخاص بالوحيد"، الذي به خلقت كل
الأشياء وبغيره لم يخلق شيء. لذلك إن كانت كل الآشياء قد خُلقت **بالكلمة**،
ومع ذلك يقول "أنا وحدي" فإنه يعني أن الأبن الذي به خُلقت السموات، هو
مع ذلك الوحيد. هكذا إن قيل "إله واحد"، "أنا وحدي"، "أنا الأول" فهذا
يعنى أن **الكلمة** موجود في نفس الوقت في ذلك الواحد الوحيد والأول مثل وجود
الشعاع في النور. وهذا لا يمكن أن يُفهم عن أي كائن آخر سوي **الكلمة** وحده.
لأن كل الأشياء الأخرى خُلقت من العدم بواسطة الإبن. وهي تختلف إختلافاً كبيراً
جداً فيما بينها من جهة الطبيعة، أما الإبن نفسه فهو مولود حقيقي وطبيعي من
الآب" [ضد الآريوسيين ٣:٩].

خامساً : شرح نصوص: يو١٠:٣٠، يو١٧:١١
"أنا والآب واحد" "ليكونوا واحد كما نحن"

رأي الآريوسيين :

يزعمون أن الإبن والآب لا يمكن أن يكونا "واحدا" أو "متماثلين" بالصورة
التي تعلم بها الكنيسة، بل بالطريقة التي يريدونها هم. وبالتالي هما واحداً على أساس
إن ما يريده الآب يريده الإبن أيضاً. وهو غير مضاد له لا في الفكر ولا في القرار،
ولكنه هو موافق له من جميع الوجوه، وهو يعلن التعاليم نفسها مثل الآب ويقول
الكلام المتفق مع تعاليم الآب والمتحد معه .

رد القديس أثناسيوس :

**يسرد القديس أثناسيوس النتائج العبثية التي تنجم على إفتراض صحة
هذا الرأي، إذ يقول:** [لو كان الإبن والآب هما واحداً، بحسب رأيهم هذا، وإن
كان **الكلمة** مثل الآب بهذه الطريقة، فينتج عن هذا أن الملائكة أيضاً والكائنات
الأخرى الأعلى منا، الرؤساء والسلاطين والعروش والربوبيات، وما نراه نحن مثل

الشمس والقمر والنجوم كل هؤلاء سيكونوا أبناء أيضاً مثل الإبن، وينبغى أن يقال عنهم أيضاً عندئذ أنهم هم والآب واحد، وأن كلا منهم هو صورة الله وكلمته. لأن ما يريده الله يريدونه هم أيضاً، وهم لا يختلفون معه لا في الحكم ولا في التعليم، بل هم يخضعون لخالقهم في كل شيء] [ضد الآريوسيين ٣: ١٠]. **ويستمر في التساؤل، قائلاً :**

[وإن كان الأمر هكذا، فكيف يكون هو وحده الابن الوحيد الجنس **والكلمة** والحكمة؟ أو كيف، بينما يوجد كثيرون مثل الآب، يكون وحده هو الصورة؟ لأنه يوجد كثيرون مثل الآب بين البشر، فكثيرون جداً صاروا شهداء ومن قبلهم الرسل والأنبياء وقبلهم أيضاً البطاركة، وكثيرون أيضاً، الآن يحفظون وصية المخلص إذ هم رحماء مثل الآب الذي في السموات" (لو٦: ٣٦) وحفظوا الوصية "تمثلوا بالله كأولاد أحباء وأسلكوا في المحبة، كما أحبنا المسيح أيضاً" (أفسس٥: ١-٢).

وكثيرون أيضاً تمثلوا ببولس كما تمثل هو أيضاً بالمسيح: (١كو١١: ١) ولكن ولا واحد من هؤلاء هو **الكلمة**، أو الحكمة، أو الإبن الوحيد الجنس، أو الصورة. ولم يتجرأ أي واحد منهم أن يقول "أنا والآب واحد" (يو١٠: ٣٠)، أو "أنا في الآب والآب فيّ" (يو١٤: ١٠)، بل قد قيل عنهم جميعاً "من مثلك بين الآلهة يا ربي؟" (مز٨٥: ٨) و "مَنْ يشبه الرب بين أبناء الله"؟ (مز٨٩: ٦)، ولكن قيل عن الإبن وحده إنه الصورة الحقيقة والطبيعية للآب ، ورغم أننا قد خُلقنا حسب الصورة ودعينا صورة الله ومجده فذلك ليس من ذواتنا، بل بسبب صورة الله ومجده الحقيقى الساكن فينا، الذي هو **كلمته**، والذي صار جسداً لأجلنا فيما بعد، لكى ننال نحن نعمة هذه التسمية] [ضد الآريوسيين ٣: ١٠].

إستنتاج آخر عبثي يسرده القديس أثناسيوس ، إذ يقول : "إن كان الإبن هو مثل الآب في التعاليم والوصايا فحينئذ. بحسب رأيهم يكون الآب، أباً بالأسم فقط، والإبن لن يكون صورة الآب بالضبط، أو بالحري سيُرى أنه ليس له ذاتية الآب أو مماثلته. لأنه أية مماثلة أو ذاتية تكون لمَنْ هو مختلف تماماً عن الآب؟ فبولس رغم أنه عَلَمَ مثل المخلص، إلا أنه لم يكن مثله في الجوهر" [ضد الآريوسيين ٣: ١٠].

"هكذا الابن هو مثل الآب ذاته وهو منه كما يمكن أن ندرك أن أي ابن هو من أبيه، وكما يمكن أن نرى أن الشعاع من الشمس. لذا حينما يعمل الإبن، يكون الآب هو العامل، وعندما يأتي الإبن إلى القديسين فالآب هو الذي يأتي في الإبن، كما وعد حينما قال "نأتي أنا والآب ونصنع عنده منزلا" (يو١٤: ٢٣). لأنه في الصورة يُرى الآب وفي الشعاع يكون النور. لذلك أيضاً، فحينما يعطى الآب النعمة والسلام، فالإبن أيضاً يعطيهما، كما يكتب بولس ، قائلاً "نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح" (رو١: ٧، ١كو١: ٣، أفسس٢،١). لأنه توجد نعمة واحدة وهي نفس النعمة التي من الآب في الإبن، كما أن نور الشمس وشعاعها هما واحد، وكما أن إنارة الشمس تحدث بواسطة الشعاع. وهكذا أيضاً حينما يدعو الرسول لأهل تسالونيكى فهو يقول لهم "والله نفسه أبونا وربنا يسوع المسيح يهدي طريقنا إليكم" (١تس٣: ١١) فهو بهذا يحفظ وحدة الآب والإبن معاً. فهو لم يقل يهديان، كما لو كانت هناك نعمة مزدوجة تُعطى من مصدرين: هذا وذاك، بل قال "يهدي" لكى يبين أن الآب يهدي بواسطة الإبن" [ضد الآريوسيين ٣: ١١].

هكذا القديس أثناسيوس يؤكد على أن لا أحد يصلي إلى الله والملائكة أو الى أي مخلوق آخر، لكى ينال منهم شيئاً، وليس هناك مَنْ يدعو قائلاً "ليت الله والملاك يعطيك" ولكنه يطلب من الآب والإبن، بسبب وحدتهما ووحدة عطائهما. لأن ما يُعطى أنما يُعطى بواسطة الإبن. وليس شيء هناك إلا ويعمله الآب بالإبن. لأنه هكذا تكون النعمة مضمونة لِمَنْ ينالها" [ضد الآريوسيين ٣: ١٢]. **ثم يسرد أمثلة كتابية ، قائلاً :**

[فإن كان رئيس الأباء يعقوب وبينما هو يبارك حفيديه أفرايم ومنسى قال ".. الله الذي رعانى منذ وجودى إلى هذا اليوم. الملاك الذي خلصنى من كل شر يبارك الغلامين.." (تك٤٨: ١٥-١٦)، فهو لم يقرن أي من أولئك الذين خلقوا بالطبيعة ملائكة، مع الله خالقهم. كما أنه لم يهمل ذكر الله الذي رعاه، ولكنه طلب البركة لحفيديه من الملاك. لأنه بقوله "الذي خلصنى من كل شر، لم يشر إلى ملاك مخلوق، بل إلى **كلمة** الله، الذي قرنه مع الآب في طلبته، الذي بواسطته يخلص الله أولئك الذين يريدهم لأنه إذ يعرف أنه يدعى أيضاً ملاك المشورة العظمى للآب

(أش٩:٦س)، قال إنه ليس هناك سواه هو الذي يعطي البركة ويخلص من الشر. فهو لم يرغب في البركة من الله لأجل نفسه بل لأجل حفيديه من الملاك الذي سبق وطلب منه قائلاً "لن أتركك إن لم تباركني" (تك٣٢:٢٦). لأن هذا "أي الملاك" كان هو الله حسب ما يقول هو نفسه "قد رايت الله وجها لوجه" (تك٣٢:٣٠). وهذا هو الذي صلى اليه ان يبارك أيضًا إبني يوسف. فما يناسب الملاك إذن هو ان يخدم أوامر الله ، كثيرا ما كان يذهب أمامهم لكي يطرد الاموريين، وكان يرسل ليحرس الشعب في الطريق. لكن ليست هذه هي أعماله بل هي اعمال الله الذي أمره وأرسله، وهو أيضا الذي يخلص الذين يريد ان يخلصهم ، لهذا فهو لم يكن سوى الرب الإله نفسه الذي قد رآه والذي قال "ها انا معك واحفظك حيثما تذهب" (تك ٢٨:١٥) .

ولم يكن آخر سوى الله هو الذي قد رآه ، وهو الذي لم يسمح للابان أن يخدعه وأمره ألا يتكلم بالشرمع يعقوب ، ولم يكن أيضًا سوى الله الذي توسل هو اليه قائلا، نجني من يد أخي عيسو . لأني خائف منه، (تك ٣٢ : ١١ س)، ولأنه أيضا حينما تحدث مع زوجاته عن لابان قال الله لم يسمح له أن يصنع بي شراً" (تك٣١:٧) [ضد الآريوسيين ٣:١٢].

براهين كتابية أخرى :

يقول القديس أثناسيوس : [وداود أيضاً لم يدع إلهاً آخر سوى الله نفسه لكى ينجيه عندما صرخ إليه قائلاً "إلى الرب في ضيقي صرخت فإستجاب لي يا ربى نج نفسى من شفاة الكذب من لسان غش" (مز١٢٠:١-٢). وأيضاً في اليوم الذي أنقذه فيه الرب من يد جميع أعدائه ومن يد شاول رنم بكلمات الفرح شاكراً الله هكذا "أحبك يا رب يا قوتي. الرب صخرتي وحصني ومنقذي" (مز١٨:١-٢). وبولس بعد أن إحتمل إضطهادات كثيرة. لم يقدم الشكر إلى أحد سوى إلى الله وحده إذ قال ومن الجميع من أنقذنى الرب الذي لنا رجاء فيه أنه سينجي" (٢ تيمو٣:١١، ٢كو١:١٠).

كما أن إبراهيم وإسحق لم يباركا أحداً سوى الله فإسحق طلب لأجل يعقوب

قائلاً "والله القدير يباركك ويجعلك مثمراً ويكثرك فتكون جمهوراً من الشعوب ويعطيك بركة أبي إبراهيم" (تك٢٨ :٣-٤). ولكن إن كان الله وحده وليس سواه هو الذي يبارك وينجي. وليس سوى الرب نفسه هو الذي أنقذ يعقوب، وهو الذي أعطى لرئيس الآباء البركة التي طلبها لأحفاده، فمن الواضح أنه ليس هناك من يمكن أن يقرنه مع الله في صلاته سوى **كلمة** الله، الذي بسبب هذا دعاه الملاك. بسبب أنه هو وحده الذي يعلن الآب.

وهذا ما فعله الرسول أيضاً حينما قال "نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح" (رو١ :٧). فإنه بهذا صارت البركة مضمونة بسبب عدم إنفصال الآب عن الإبن" ولأجل ذلك فالنعمة التي تُعطى منهما هي واحدة وهي هي نفسها فرغم أن الآب يُعطي النعمة، إلا أنها تُوهب بالإبن، ورغم أن الإبن هو الذي يهب النعمة، فالأب هو الذي يعطيها بالإبن وفي الإبن. لأن الرسول يقول وهو يكتب إلى أهل كورنثوس "أشكر إلهي في كل حين من جهتكم على نعمة الله المعطاة لكم في يسوع المسيح" (١كو١ :٤)] [ضد الآريوسيين ٣ :١٣]. **يرجع دائماً القديس أثناسيوس لمثال النور والشعاع ليصف علاقة الإبن بالآب، فيقول:** " وهذا يمكن أن نراه في مثال النور والشعاع، لأن ما ينيره النور إنما ينيره بشعاعه، وما يشعه الشعاع فهو يأخذه من النور، هكذا أيضاً حينما يرى الإبن يرى الآب، لأنه هو شعاع الآب، ولذلك فالأب والإبن هما واحد" [ضد الآريوسيين ٣ :١٣].

يؤكد أيضاً القديس أثناسيوس على أن المخلوق لا يستطيع أن يمنح النعمة، ولا عندما يراه أحد يستطيع أن يرى الآب، إذ يقول: " ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للأشياء الصائرة والمخلوقة لأن ما يعمله الآب، لا يعمله أى ملاك أو أى مخلوق آخر، لأن ولا واحد من هؤلاء هو عِلة فاعلة بل هو من الأشياء المخلوقة، وفضلاً عن ذلك فلأنها بعيدة ومنفصلة عن الإله الوحيد ومختلفة في الطبيعة وهي أيضاً مخلوقة، فإنها لا تستطيع أن تشترك مع الله في إعطاء النعمة" [ضد الآريوسيين ٣ :١٤].

أيضاً يبرز القديس أثناسيوس الفرق الشاسع بين الله والملاك، قائلاً : [ولا يستطيع أحد عندما يرى ملاكاً أن يقول أنه قد رأى الآب لأن الملائكة كما هو مكتوب . هي أرواح خادمة، مرسلة للخدمة (عب١٤:١)، وهم يبشرون بالعطايا التي توهب من الآب بواسطة **الكلمة** إلى أولئك الذين ينالونها. كما أن الملاك نفسه عند ظهوره يعترف أنه قد أرسل من سيده كما إعترف جبرائيل عندما ظهر لزكريا وأيضاً عندما ظهر لمريم والدة الإله. ومَنْ يرى منظر ملائكة يعرف أن قد رأى ملاكاً، أما إبراهيم فقد ظهر له الله. فالذين رأوا الله ثم يقولوا أنهم رأوا ملاكا، كما أن الذين رأوا ملاكاً اعتبروا أنهم قد رأوا الله لأن الأشياء المخلوقة هي بالطبيعة تختلف إختلافاً عظيماً بل بالحري إختلافاً كاملاً عن الله الخالق، ولكن يحدث أحياناً أن يرى ملاك، والذي يراه يسمع صوت الله "كما حدث في العليقة" لأن ملك الرب ظهر في لهيب نار من العليقه" (خر٣:٢)، وكلم الله موسى من العليقه قائلاً "أنا إله إبيك، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب" (خر٣:٦)، ولكن الملاك لم يكن هو إله إبراهيم بل الذي تكلم في الملاك هو الله فالذي ظهر هو ملاك، ولكن الله تكلم فيه. لأنه كما تكلم الله مع موسى في الخيمة من خلال عمود السحاب هكذا أيضاً يظهر الله ويتكلم من خلال الملائكة، مثلما تكلم إلى يشوع بن نون بواسطة ملاك (يش١:٢الخ) [ضد الآريوسيين ٣:١٤] .

نستنتج من كل هذا الآتي :

١- إن ما يتكلم به الله من الواضح أنه يتكلم به بواسطة **الكلمة** أي الإبن وليس بواسطة آخر.

٢- **الكلمة** أي الإبن ليس منفصلاً عن الآب، ولا هو مغاير لجوهر الآب ولا هو غريب عنه.

٣- الأعمال التي يعملها **الكلمة** أي الإبن ، هي أعمال الآب ، والعطايا التي يعطيها الإبن، هي عطايا الآب.

٤- الذي رأى الإبن، عرف أنه برؤيته له، لم ير ملاكاً، ولا شخصاً أعظم من الملائكة، ولا أى مخلوق على وجه العموم، بل قد رأى الآب نفسه .

٥- الذي يسمع الكلمة يعرف أنه يسمع الآب نفسه. فذلك الذي يستنير بواسطة الشعاع، يعرف أنه سيتنير بواسطة الشمس [أنظر ضد الآريوسيين ٣:١٤].

٦- حينما نتحدث عن الثالوث، فنحن لا نعترف بآلهة متعددة، لأنه كما يتضح من المثال، نحن لا نقدم ثلاثة بدايات أو ثلاثة آباء حيث أننا لن نعرض صورة ثلاثة شموس بل شمس واحدة وشعاع واحد. وهناك نور واحد من الشمس في الشعاع، وهكذا فنحن لا نعرف سوى بداية واحدة ونعترف أن **الكلمة** خالق الكل ليس له مصدر آخر للاهوته سوى لاهوت الإله الوحيد، لأنه مولود منه.

٧- نحن نعترف أن الله واحد في ثالوث، ونقول أن هذا الإيمان بالإله الواحد في ثالوث هو أكثر تقوى جداً من التعليم بإله الهراطقة بأنواعه الكثيرة وأجزائه العديدة [أنظر ضد الآريوسيين ٣:١٥].

٨- إن الله واحد والإيمان بالآب والإبن هو واحد. لأنه رغم إن **الكلمة** هو إله، فالرب إلهنا رب واحد. لأن الإبن هو خاص بذلك الواحد وغير منفصل عنه بحسب ذاته وخصوصية جوهره [ضد الآريوسيين ٣:١٦].

إدعاء آخر للآريوسيين :

يقول الأريوسيون : كما أن الابن والآب واحد، وكما أن الآب هو في الإبن والإبن في الآب، هكذا أيضاً نحن واحد فيه. لأن هذا هو ما كتب في الإنجيل بحسب يوحنا، وهو ما طلبه المسيح لأجلنا في هذه الكلمات "ايها الآب القدوس إحفظهم في أسمك الذين أعطيتنى ليكونوا واحداً كما نحن" (يو١٧:١١). وبعدها بقليل يقول "ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم، ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك" ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيته ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكملين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتنى" (يو١٧:٢٠-٢٣).

هكذا يقولون : "إن كنا نصير نحن واحداً في الآب، هكذا أيضاً يكون الإبن واحداً مع الآب، وهكذا أيضاً يكون هو في الآب، فكيف تستنتجون أنتم من قوله "أنا والآب واحد"، "أنا في الآب والآب فيّ"، أن الإبن هو من ذات جوهر الآب ومساوٍ له؟ وهذا يتطلب إما إن نكون نحن أيضاً من ذات جوهر الآب أو أن يكون هو غريب عن هذا الجوهر مثلما نحن غرباء عنه" [ضد الآريوسيين ٣:١٧]

رد القديس أثناسيوس :

لقد إعتاد الكتاب المقدس ـــ كما بشرح القديس أثناسيوس ـــ أن يستخدم أمور الطبيعة كصور وإيضاحات لأجل البشر وهو يفعل هذا لكى يشرح الأفعال الأختيارية للبشر من هذه الأمور الطبيعية، وهكذا يظهر سلوكهم إما شريراً أو باراً ففي حالة ما هو شرير مثلاً يأمر قائلاً: "لا تكونوا كفرس أو بغل بلا فهم" إنسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي تباد" (مز٤٩ : ٢٠) وأيضاً يقول "صاروا أحصنة معلوفة سائبه" (إرمياه:٨). والمخلص لكي يكشف هيرودوس قال "قولوا لهذا الثعلب" (مت١٣ : ٣٢). ومن الجهة الأخرى حذر تلاميذه، ها أنا أرسلكم كحملان في وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمام" (مت١٠ : ١٦). وهو قال هذا لا لكى نصير بالطبيعة حيوانات، أو حيات، أو حمام لأنه هو نفسه لم يخلقنا هكذا، والطبيعة نفسها لا تسمح بذلك، ولكن لكي نتجنب الإنفعالات الحيوانية الخاصة بأحدها من ناحية، ومن ناحية أخرى نكون واعين لمكر ذلك الحيوان الآخر لكي لا نخدع به، ولكي نكتسب أيضاً وداعة الحمام [ضد الآريوسيين ٣:١٨].

براهين كتابية أخرى :

وأيضاً فإن المخلص إذ يتخذ من الأمور الإلهية نماذج يقدمها للإنسان فإنه يقول "كونوا رحماء كما أن أباكم الذي في السموات هو رحيم"، "كونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل" (لو٦ : ٣٦، مت٥ : ٤٨). وهو قد قال هذا ليس بالطبع لكي نصير مثل الآب، بل لكي عندما نتطلع إلى أعماله الصالحة فإن ما نفعله من أعمال حسنة إنما نفعله ليس لأجل الناس بل لأجله هو، حتى نأخذ مكافأتنا منه وليس من الناس [ضد الآريوسيين ٣:١٩].

هكذا رغم أننا بشر من الأرض، ومع ذلك نصير آلهة ليس مثل الإله الحقيقى أو كلمته، بل كما قد سر الله الذي قد وهبنا هذه النعمة، هكذا أيضاً نصير رحماء مثل الله، لا بأن نصير مساويين لله ولا بأن نصير صانعى خيرات بالطبيعة وبالحقيقة، لأن صنع الخير في ذاته ليس من أنفسنا بل هو من الله ـــ بل لكى نوزع على الآخرين الخيرات الموهوبة لنا من الله بالنعمة، دون أن نفرق بين الناس، بل مقدمين خدمتنا الرحيمة بإتساع للجميع، لأننا بهذه الطريقة وحدها وليس بأي طريقة أخرى نصير متشبهين به، حينما نقدم للآخرين العطايا التي ننالها منه.

هكذا طالما الإبن هو **كلمة** الله وحكمته، بينما نحن قد جُبلنا من الأرض، والإبن هو بالطبيعة وبالجوهر هو **الكلمة** والإله الحقيقى. لأنه هكذا يتكلم يوحنا: "ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية". (١يو٥:٢٠). ونحن به نصير أبناء بالتبني وبالنعمة، مشتركين في روحه، لأنه مكتوب "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه" (يو١:١٢). لذلك فهو أيضاً الحق لأنه يقول: "أنا هو الحق" (يو١٤:٦). وفي مخاطبته لأبيه قال: "قدسهم في حقلك كلامك هو حق" (يو١٧:١٧). أما نحن فبالتمثل به نصير فاضلين وأبناء [ضد الآريوسيين ٣:١٩].

إذن حين قال "لكى يكونوا واحداً كما نحن" لا يقصد أن نصير كما هو بل كما أنه ، وهو **الكلمة**، هو في أبيه، هكذا نحن ايضاً ونحن متخذين أباه مثالاً لنا ونحن ناظرون إليه، نصير واحداً فيما بيننا في الوفاق ووحدة الروح. ولا نكون في إختلاف مثل الكورنثيين، بل يكون لنا قلب واحد ونفس واحدة مثل أولئك الخمسة آلاف الذين ذكروا في سفر الأعمال (أنظر أع٤:٤، ٣٢) والذين كانوا كواحد. فنحن طبعاً لسنا أبناء كالإبن، ولسنا آلهة مثله هو نفسه، ونحن لسنا مثل الآب، بل نصير "رحماء كالآب" [ضد الآريوسيين ٣:٢٠].

بالتالي عندما نصير واحداً، كما أن الآب والإبن هما واحد، فنحن لن نصير

واحداً مثلما أن الآب هو في الإبن بالطبيعة وكذلك الإبن في الآب، بل بحسب ما يتفق مع طبيعتنا الخاصة ومن هذا يمكننا أن نتشكل وأن نتعلم كيف يجب أن نصير واحداً، مثلما تعلمنا أيضاً أن نكون رحماء. لأن الأشياء المتماثلة هي بالطبيعة واحدة بعضها مع بعض، لأن كل ذي جسد يُولد منه جسد من نوعه، أما **الكلمة** فهو مختلف عنا، ولكنه مثل الآب، ولذلك فهو واحد مع أبيه بالطبيعة والحق.

إن التمثل بالأمور الطبيعية يمكن أن يتحقق بين الناس بصورة مأمونة، حيث أنهم يظلون بطبيعتهم غير متغيرين، بينما سلوك الناس هو قابل للتغير، فيمكن للإنسان بنظره نحو غير المتغير بالطبيعة، أن يتجنب ما هو رديء، وأن يعيد تشكيل نفسه على حسب الصورة الأفضل ولهذا لسبب أيضاً يكون للكلمات: ''ليكونوا هم أيضاً واحد فينا'' معنى مستقيم [ضد الآريوسيين ٣: ٢٠] .

كلمة : ''فينا'' ، وأداة : ''كما'' في الآية : ''كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا'' (يو١٧: ٢١).

لم يقل : " فيك " ، بل : " فينا "

يقول القديس أثناسيوس : [فلو أنه كان من الممكن عندئذ أن نصير مثل الإبن في الآب، لكان ينبغى أنا تكون الكلمات هكذا ''لكى يكونوا هم واحداً فيك'' مثلما أن الإبن هو في الآب، ولكنه لم يقل الكلمات هكذا. بل بقوله ''فينا'' أظهر المسافة والإختلاف بيننا وبين الإبن إذ أنه هو وحده كائن في الآب **كالكلمة** الوحيد والحكمة الوحيد، ولكننا نحن موجودون في الإبن وبواسطته موجودين في الآب. وبكلامه هكذا قصد هذا فقط: هكذا يمكن أن يصيروا واحداً فيما بينهم بتمثلهم بوحدتنا، كما أننا واحد بالطبيعة وبالحق، وإلا فإنهم لن يستطيعوا أن يصيروا واحداً إلا إذا تعلموا من الوحدة الموجودة فينا. ويمكن أن نتعلم أيضاً من بولس الرسول هذا المعنى الذي تعطيه كلمة ''فينا'' عندما نسمعه يقول ''فهذا أيها الأخوة حولته تشبيها إلى نفسي وإلى أبلوس من أجلكم لكي تتعلموا ''فينا'' أن لا تفتكروا فوق ما هو مكتوب'' (١كو٤: ٦). **وبالتالي فإن كلمة "فينا" لم تذكر عن وجود الإبن في الآب، بل تقدم مثلاً وصورة بدلاً من أن يقول، "فليتعلموا منا".** لأنه كما أن

بولس يقدم مثالاً للوحدة إلى أهل كورنثوس، هكذا تكون وحدة الإبن والآب هي مثال تعليم ودرس للجميع، يمكن أن يتعلموا بواسطته عن طريق تطلعهم إلى الوحدة الطبيعية للآب والإبن. كيف يجب أن يصيروا فيما بينهم واحداً في الفكر. ولكن إن كانت كلمة ''فينا'' تحتاج أن تفسر بمعنى آخر فيمكن عندئذ أن تعنى أنه: بواسطة قوة الآب والإبن يصيروا واحدا ويقولوا ''قولاً واحداً'' (١كو١: ١٠)، لأن هذا غير ممكن بدون معونة الله وهذا المعنى يمكننا أن نجده أيضاً في الكتب الإلهية مثل ''بالله نصنع ببأس'' (مز٦٠: ١٢) و ''بك ندوس أعداءنا'' (مز٤٤: ٥). فواضح إذن أننا باسم الآب والإبن نصير أشداء، ونصير واحداً ممسكين برباط المحبة بقوة. وفي نفس المعنى يقول الرب ''وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتنى ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد'' (يو١٧: ٢٢)'' [ضد الآريوسيين ٣: ٢١].

المقصود بأداة " كما" أي كمثال :

يستشهد القديس أثناسيوس بما قاله المسيح عن يونان في إنجيل متى لكي يوضح لنا ما المقصود بأداة: كما، إذ يقول: [حينما يقول ''لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض (مت١٢: ٤٠). فإن يونان طبعاً لم يكن مثل المخلص، ويونان لم ينزل إلى الجحيم، ولا الحوت كان هو الجحيم كما أن يونان حينما ابتلعه الحوت لم يخرج أولئك الذين كان الحوت قد سبق وإبتعلهم قبله، بل هو وحده قد خرج من الحوت حينما قذفه. لذلك فليس في لفظه ''كما'' هنا أي تطابق أو مساواة، بل شيئان مختلفان، فهي توضح نوعاً من التشابه في حالة يونان من جهة الأيام الثلاثة، وبنفس الطريقة فحينما يقول الرب ''كما'' فإننا نحن أيضاً لا نصير كالإبن في الآب ولا كالآب في الإبن، لأننا جميعاً نصير واحداً في الفكر وإتفاق الروح مثلما أن الآب والإبن واحد.

والمخلص سيكون مثل يونان في بطن الأرض ولكن بما أن المخلص ليس هو يونان، وليس كما أبتلع يونان هكذا نزل المخلص إلى الجحيم] [ضد الآريوسيين ٣: ٢٣].

فيوحنا يكتب هكذا، بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه،

(١يو٤: ١٣).لذلك، فبسبب نعمة الروح الذي أُعطيَّ لنا نصير نحن فيه وهو فينا.

وحيث أن روح الله فينا لذلك فبواسطة سُكناه فينا وبسبب حصولنا على الروح نُحسب أننا في الله وهكذا يكون الله فينا. إذن نحن لا نصير في الآب مثلما أن الإبن كائن في الآب، لأن الإبن ليس كائنًا في الآب بمجرد إشتراكه في الروح ولا هو ينال الروح بل بالحري هو نفسه الذي يهب الروح للجميع وليس الروح هو الذي يوّحد **الكلمة** مع الآب بل بالحري فإن الروح يأخذ من **الكلمة**. والإبن كائن في الآب، **ككلمته** الذاتى وشعاعه، أما نحن فبدون الروح القدس فإننا نكون غرباء عن الله، وعن طريق اشتراكنا في الروح نصير بالروح الموجود فينا والذي يسكن فينا، ونحن نحتفظ به في داخلنا عن طريق الإقرار كما يقول يوحنا "من إعترف أن يسوع هو ابن الله فالله يسكن فيه وهو في الله" (١يو٤: ١٥) [ضد الآريوسيين ٣: ٢٤].

إذن ما هي المشابهة وما هي المساواة التي لنا مع الإبن؟

الإبن هو في الآب بطريقة، أما نحن فنصير في الآب بطريقة أخرى. وأننا لن نصير مثل **الكلمة** أبداً، ولا **الكلمة** سيصير مثلنا .

هكذا يلخص القديس أثناسيوس هذه الحقيقة، قائلاً: " عندما يقول المخلص "كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا" **فهو لا يعنى بهذا أنه سوف يصير لنا تطابق معه.** لأن هذا قد أوضحه في مثال يونان ولكن كلامه هذا هو طلب إلى الآب لكى يهب الروح بواسطته للذين يؤمنون به، والذي به نصير في الله، كما كتب يوحنا وبهذا نكون متحدين فيه. وحيث أن **الكلمة** هو في الآب، والروح يعطي من **الكلمة** فهو يريد أن ننال نحن الروح، لكى عندما نناله يصير لنا روح **الكلمة** الذي هو في الآب، وبسبب الروح سوف نتمجد نحن أيضاً ونصير واحداً في **الكلمة**، ومن خلاله في الآب. وعندما يقول "كما نحن" فهو لا يعني شيئاً آخر سوى أن يسأل أن تصير نعمة الروح المعطاه للتلاميذ ثابتة بلا تزعزع، لأن ما هو **للكلمة** بالطبيعة في الآب كما قلت سابقاً يريد أن يعطيه لنا بواسطة الروح بلا رجعة. وهذا ما عرفه الرسول، فقال "مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح؟" [ضد الآريوسيين ٣: ٢٥].

سادساً : مقدمة لشرح آيات من الأناجيل عن التجسد

أمام صفات المخلص البشرية في الأناجيل إرتبك الآريوسيين، وتناسوا تماماً أبوه الآب اللاهوتية للإبن، رافضين أن الإبن من الآب بالطبيعة، ويكون واحداً معه في الجوهر؟ ويقولون أنه قال:

"دُفع إليّ كل سلطان" (مت٢٨:١٨) و "الآب لا يدين أحداً بل قد أُعطيّ كل الدينونة للابن" (يو٥:٢٢) "الآب يحب الإبن وقد دفع كل شيء في يده، الذي يؤمن بالإبن له حياة أبدية" (يو٣:٣٥). وأيضاً "كل شيء قد دفع إليَّ من أبيّ. وليس أحد يعرف من هو الآب إلا الإبن ومن آراد أن يعلن له" (لو١٠:٢٢) وأيضاً "كل ما يعطيني الآب فإليَّ يقبل" (يو٦:٣٧).

إن الآريوسيين يعلقون على هذه الآيات ويقولون "إن كان الإبن كما تقولون، ابناً بالطبيعة أما كان في إحتياج أن يأخذ، بل كل شيء يكون له بالطبيعة كإبن" أو كيف يكون هو القوة الطبيعية والحقيقية للآب وهو في وقت الآلام قال "الآن نفسى قد إضطربت وماذا أقول؟ أيها الآب نجني من هذه الساعة ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة أيها الآب مجِد إسمك فجاء صوت من السماء مُجدت، امجد أيضاً" (يو١٢:٢٧-٢٨). وأيضاً قال كلمات مشابهة في مرة أخرى "يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس" (مت٢٦:٣٩) و "عندما قال يسوع هذا إضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمنى" (يو١٣:٢١). ويحاول هؤلاء الأشرار ويقولون لو كان هو القوة لما كان قد خاف، بل لكان قد أعطى قوة لآخرين بالأحرى، ويضيفون قائلين لو كان هو حكمة الآب الحقيقية والذاتية، فلماذا كُتب عنه "وكان يسوع ينمو في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس" (لو٢:٥٢). وبالمثل "عندما جاء إلى نواحى قيصرية فيلبس سأل التلاميذ، "ماذا يقول الناس أني أنا" (مت١٦:١٣). وأيضاً حينما جاء إلى بيت عنيا سأل عن لعازر "أين دفن" (أنظر يو١١:١٨). وأيضاً قال لتلاميذه "كم رغيفاً عندكم؟" (مر٦:٣٨). **ويقولون كيف إذن يكون هو الحكمة وهو ينمو في الحكمة، وكان يجهل الأمور التي كان يسأل عنها الآخرين؟. ويقولون أيضاً "كيف يمكن أن**

يكون هو كلمة الآب الذاتي الذي بدونه لم يكن الآب أبداً والذي به يخلق الآب كل الأشياء كما تعتقدون أنتم، وهو الذي قال على الصليب "إلهي إلهي، لماذا تركتني" (مت٢٧: ٤٦). وقبل ذلك صلى "مجد إسمك" (يو١٢: ٢٨) وأيضاً "مجدني أنت أيها الآب بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يو١٧: ٥). وأعتاد أن يُصلي في البراري وأوصى تلاميذه أن يصلوا لئلا يدخلوا في تجربة وقال لهم "الروح نشيط أما الجسد فضعيف". (مت ٢٦: ٤١). وأيضاً "أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة ولا الإبن" (مر١٣: ٣٢).

ويبرر الآريوسيون آرائهم قائلين : ["إن كان الإبن بحسب رأيكم هو موجود أزلياً مع الله أما كان قد جهل ذلك اليوم بل لكان قد عرفه بإعتباره **الكلمة**، ولِما كان قد تركه ذلك الذي هو كائن معه، ولِمَا كان قد سأل أن ينال المجد طالما أن له هذا المجد مع الآب" ولما كان قد صلى على الإطلاق إذ أن **الكلمة** ليس في إحتياج إلى أي شيء، ولكن حيث أنه مخلوق وواحد من الموجودات لذلك تكلم هكذا وكان محتاجاً إلى ما لم يكن عنده، لأنه معروف عن المخلوقات أنها تسأل الأشياء التي لا تملكها، وتحتاج إليها] [ضد الآريوسيين ٣: ٢٦].

رد القديس أثناسيوس :

يقر القديس أثناسيوس بأننا نحن المسيحيون نتميز بأننا نعرف جيداً ما تقوله الأناجيل عن المخلص ، ونحن لا نرجمه مع اليهود عندما نسمع عن ألوهيته وأزليته، كما أننا لا نعثر معكم، في الكلمات المتواضعة التي قالها من أجلنا كإنسان. **ثم يدعوهم بالتمسك بهدف وغاية الإيمان لكي يفسروا نصوص الكتاب المقدس، إذ يقول** : " فهو كإبن هو غير منفصل عن الآب ولم يكن هناك زمن ما لم يكن فيه موجوداً، بل كان كائناً على الدوام، ولأنه صورة الآب وشعاعه، فله أزلية الآب. والآن فما قلناه أعلاه بإختصار يكفي لكي يبرهن على سوء فهمهم للآيات التي تعللوا بها وأن ما يتعللون به الآن من الأناجيل فهم بالتأكيد يعطونه تفسيراً غير صحيح، ويمكننا أن نرى هذا بسهولة إذا وضعنا امامنا كهدف ذلك الإيمان الذي نمسك به نحن المسيحيون وأن نستخدمه كقاعدة كما يعلمنا الرسول في قراءة الكتب

الموحى بها (أنظر ٢تيمو١٦:٣). لأن أعداء المسيح لأنهم جهلوا هذا الهدف، قد ضلوا عن طريق الحق، وأصطدموا بحجر الصدمة (أنظروا رو٩:٣٣)، مفكرين أموراً مخالفة عما كان ينبغي أن يفكروا به" [ضد الآريوسيين ٢٨:٣] **ثم يشرح القديس أثناسيوس هدف الكتاب، قائلاً:** " والآن فإن هدف الكتاب المقدس وميزته الخاصة كما قلنا مراراً هو أنه يحوى إعلاناً مزدوجاً عن المخلص: أى أنه كان دائماً إلهاً وأنه هو الإبن إذ هو **كلمة** الآب وشعاعه وحكمته، ثم بعد ذلك أتخذ من أجلنا جسداً من العذراء مريم والدة الإله، وصار إنساناً. وهذا الهدف نجده في كل الكتب الموحى بها، كما قال الرب نفسه" "فتشوا الكتب" وهي تشهد لي" (يو٥:٣٩). ولكن لكي لا أكثر في الكتابة بجمع كل الآيات عن هذا الموضوع فسوف أكتفي بذكر عينه من هذه الآيات. فأولاً، يقول يوحنا "في البدء كان الكلمة.والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان" (يو١:١-٣). وبعد ذلك يقول "والكلمة صار جسداً وحل بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحيد من الآب" (يو١:١٤). ثم يكتب بولس "الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون مساوياً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (في٢:٦-٨).

ويمكن لأي إنسان أن يبتديء بهذه الآيات ويجتاز خلال كل الكتاب فسوف يرى كيف أن الآب قال له في البدء "ليكن نور" (تك١:٣)، و "ليكن جلد" (تك١:٦) و "لنعمل الإنسان" (تك١:٢٦)، ولكن ملء الأزمنه أرسله إلى العالم، "لا لكى يدين العالم بل ليخلص به العالم" (يو٣:١٧). وكما قد كُتب "ها العذراء تحبل وتلد إبناً ويدعون إسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا" (متى١:٢٣) [ضد الآريوسيين ٢٩:٣].

إذن فمَنْ يقرأ للكتاب الإلهي، سيعرف هذه الآيات من كتب العهد القديم، ومن الأناجيل أيضاً وسيدرك أن الرب صار إنساناً، لأن الكتاب يقول "الكلمة صار جسداً وحل بيننا" (يو١:١٤). **والكلمة صار إنساناً، ولم يأت إلى داخل إنسان، لأنه لو كان الأمر كذلك، وأنه ظهر فقط في إنسان، لِما كان هذا أمراً**

غريباً، ولما تعجب إولئك الذين رآوه قائلين "من أين هو؟" (أنظر يو١٩: ٩) و "**لماذا وأنت أنسان تجعل نفسك إلهاً" (يو١٠: ٣٣)** لأنهم قد أعتادوا على مجئ **كلمة** الله إلى الأنبياء من الكلمات التي تقول "صارت كلمة الرب، إلى هذا أو ذاك من الأنبياء. ولكن الآن، حيث إن **كلمة** الله، الذي به كان كل شيء، قبل أن يصير ابن الإنسان، ووضع نفسه، آخذاً صورة عبد، لذلك صار صليب المسيح لليهود عثرة أما لنا نحن، فالمسيح هو قوة الله وحكمة الله (أنظر ١كو١: ٢٤) ضد [الآريوسيين ٣: ٣٠].

هكذا حينما جاء **الكلمة** بيننا من مريم في نهاية الآزمنة لأجل إبطال الخطية، لأنه هكذا سُر الآب أن يرسل إبنه الذاتى "مولوداً من إمرأة مولوداً تحت الناموس" (غلا٤: ٤)، وعندئذ قيل إنه أخذ جسداً وصار إنساناً، وبهذا الجسد تألم لأجلنا كما يقول بطرس "فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد" (١بط٤: ١)، لكي يقبل الكل ويؤمنوا أنه كان إلهاً على الدوام، مقدساً أولئك الذين أتى إليهم، ومنظماً لكل الآشياء حسب مشيئة الإبن ولكنه فيما بعد صار لأجلنا إنساناً وحل جسدياً، كما يقول الرسول "اللاهوت حل في الجسد" (كو٢: ٩)، وهذا يساوي القول "إذ هو الله، فقد أخذ له جسداً خاصاً به وصار إنساناً لأجلنا مستخدماً هذا الجسد كأداة. هكذا أيضاً قد قيل عن خواص الجسد إنها خاصة به حيث أنه كان في الجسد، وذلك مثل أن يجوع، وأن يعطش، وأن يتألم، وأن يتعب، وما شابهها من الأمور المختصة بالجسد، بينما من الناحية الأخرى فإن الآعمال الخاصة **بالكلمة** ذاته مثل إقامة الموتى، وإعادة البصر إلى العميان، وشفاء المرأة نازفة الدم، قد فعلها بواسطة جسده، والجسد خدم أعمال اللاهوت، لأن اللاهوت كان في الجسد ولأن الجسد كان جسد الله. وحسناً قال النبى "حملها" (أش٥٣: ٤، مت٨: ١٧) ولم يقل أنه "شفي ضعفاتنا" لئلا إذ تكون هذه الضعفات خارج جسده هو" وهو يشفيها فقط — كما كان يفعل دائماً فإنه يترك البشر خاضعين للموت، ولكنه حمل ضعفاتنا، إحتمل هو نفسه خطايانا، لكى يتضح أنه قد صار إنساناً لأجلنا، وأن الجسد الذي حمل الضعفات، هو جسده الخاص، وبينما هو نفسه لم يصبه ضرر أبداً "بحملة خطايانا في جسده على الخشبه" كما قال بطرس (١بط٢: ٢٤) فإننا

نحن البشر قد أفتدينا من أوجاعنا وأمتلأنا ببر **الكلمة** [أنظر ضد الآريوسيين ٣: ٣١].

بناء على ذلك، عندما تألم الجسد، لم يكن الكلمة خارجاً عنه، ولهذا السبب يقال إن الآلام خاصة بالكلمة، وعندما عمل أعمال الآب لاهوتياً، لم يكن الجسد خارجاً عنه: " ولذلك فحينما كان هناك إحتياج لإقامة حماة بطرس التي كانت مريضة بالحمى، فإنه مد يده إليها بشرياً ولكنه أوقف المرض إلهياً (أنظر مت٨: ١٤)، وفي حالة الإنسان المولود أعمى فإن تفل البصاق كان من الجسد ولكن فتح عين الأعمى بالطين إلهياً. وفي حالة لعازر فإنه كإنسان دعاه بصوت بشري، ولكنه إلهياً كإله، أقام لعازر من الأموات، وهذه الأمور حدثت هكذا وظهرت هكذا لأنه كان قد أتخذ لنفسه جسداً حقيقياً وليس خيالياً، ولذا كان يليق بالرب بأخذه جسداً بشرياً أن يكون لهذا الجسد كل الخواص التي للجسد، حتى كما نقول إن الجسد كان جسده. هكذا أيضاً إن آلام الجسد كانت خاصة به هو (الكلمة) رغم أنها لم تمسه بحسب لاهوته. فلو كان الجسد هو جسد خاص بآخر غيره لكانت الآلام قد نسبت لهذا الآخر أيضاً، ولكن إن كان الجسد هو جسد **الكلمة** "لأن الكلمة صار جسداً" (يو١: ١٤) فبالضرورة إذن تنسب آلام الجسد أيضاً الذي له هذا الجسد والذي له تنسب بالأحرى هذه الآلام مثل المحاكمة، والجلد والعطش، والصلب، والموت وضعفات الجسد الأخرى أي جسد ذاك الذي له أيضاً النصرة والنعمة. لهذا السبب إذا كان ضرورياً وملائماً أن لا تنسب مثل هذه الآلام لآخر، بل للرب، حتى تكون النعمة أيضاً منه ولا نصير نحن عابدين لآخر ولا إنساناً عادياً، بل ندعو الإبن الطبيعى والحقيقي لله، الذي صار إنساناً وهو في نفس الوقت الرب والإله والمخلص" [ضد الآريوسيين ٣: ٣٢).

ماذا لو لم تحدث أعمال ألوهية الكلمة بالجسد؟ يجيب القديس أثناسيوس على هذا السؤال، قائلاً :

[لِما كان الإنسان قد تأله، وأيضاً لو أن الضعفات الخاصة بالجسد لم تنسب **للكلمة**، لِما كان الإنسان قد تحرر منها تماماً، وحتى لو أنها كانت قد توقفت لفترة

قليلة كما قلت سابقاً[٩٩] لظلت الخطية وظل الفساد باقيان في الإنسان، كما كان الحال مع الجنس البشرى قبله (قبل التجسد). ولهذا فهناك أمثلة لكثيرين قد تقدسوا وتطهروا من كل خطية مثل أرميا الذي تقدس من الرحم (أنظر أر١:٥) ويوحنا الذي وهو لا يزال جنيناً في البطن أرتكض بإبتهاج عند سماع صوت مريم والدة الإله (أنظر لو١:٤٤). ومع ذلك فقد "ملك الموت من آدم إلى موسى، وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم" (رو٥:١٤)، وهكذا ظل البشر مائتين وقابلين للفساد كما كانوا، ومعرضين للأوجاع الخاصة بطبيعتهم، أما الآن فإذ قد صار **الكلمة** إنساناً وجعل الأمور الخاصة بالجسد خاصة به، فلم تعد تلك الأمور تمسك بالجسد بسبب **الكلمة** الذي قد جاء في الجسد، فقد إنهزمت الأوجاع بواسطته ومنذ ذلك الحين فصاعداً لم يبق الناس بعد خطاة وأمواتاً بحسب أوجاعهم بل قد قاموا بقوة **الكلمة**، وصاروا غير مائتين وغير فاسدين وأقوياء دائماً. ومن هنا أيضاً فبينما وُلِدَ الجسد من مريم والدة الإله، فإن **الكلمة** نفسه يقال إنه قد وُلِدَ، وهو الذي يعطى بداية الوجود للكائنات الآخرى، لكي ينقل بداية تكويننا إلى نفسه، ولكي لا نرجع فيما بعد كمجرد تراب إلى تراب، ولكن بإرتباطنا **بالكلمة** الذي من السماء، فإننا نُحمل إلى السموات بواسطته. لذلك فإنه بطريقة مماثلة قد نقل إلى نفسه أوجاع الجسد الأخرى لكى يكون لنا شركة في الحياة الأبدية. ليس كبشر فيما بعد بل أيضاً لأننا قد صِرنا خاصين **بالكلمة**.

لأننا لم نعد نموت بحسب بدايتنا الأولى في آدم، بل بسبب أن بدايتنا وكل ضعفات الجسد قد إنتقلت إلى **الكلمة**، فنحن نقوم من الأرض، إذ أن لعنة الخطية قد أُبطلت بسبب ذاك الذي هو كائن فينا، والذي قد صار لعنة لأجلنا. وكما أننا نحن جميعًا من الأرض وفي آدم نموت هكذا نحن إذ نولد من فوق من الماء والروح فإننا في المسيح نحيا جميعاً. فلا يعود الجسد فيما بعد أرضياً بل يصير إلهياً **كالكلمة**، وذلك بسبب **كلمة** الله الذي لأجلنا صار جسداً] [ضد الآريوسيين ٣:٣٣].

يستشهد القديس أثناسيوس بما قاله القديس بطرس ليؤكد ان الكلمة غير

---

٩٩ أنظر المقالة الثانية فقرة ٥٦٥ صفحة ٨٩ ، ،فقرة ٨٦ صفحة ١٠٦ الترجمة العربية — مركز دراسات الآباء ١٩٨٧.

قابل للألم ولكن الإبن تألم بالجسد، إذ يقول: "ولكي ما نصل إلى معرفة أكثر دقة بخصوص عدم قابلية طبيعة **الكلمة** للتألم وبخصوص الضعفات التي نُسبت له بسبب الجسد، جيد لنا أن نستمع إلى الطوباوى بطرس لأنه شاهد موثوق فيه عن المخلص. فهو يكتب في رسالته هكذا "فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد" (١بط٤ :١)، لذلك أيضاً فحينما يقال عنه، إنه يجوع، وإنه يعطش، وإنه يتعب، وإنه لا يعرف، وإنه ينام، وإنه يبكي، وإنه يسأل، وإنه يهرب، وإنه يُولد، وإنه يتجنب الكأس، وعموماً أن يحتمل كل ما يخص الجسد، فينبغي أن يقال في كل حالة من هذه الحالات إن (المسيح) عندما يجوع ويعطش فإنه يفعل هذا بالجسد لأجلنا، وعندما يُقال إنه لم يعرف وإنه لُطم، وأنه تعب، فإنه فعل هذه بالجسد لأجلنا، وأيضاً عندما يُقال إنه صعد وإنه قد وُلد وكان ينمو فإن هذا كان بالجسد، وكذلك عندما يُقال إنه خاف وأختبيء فإن هذا كان بالجسد، وكذلك عندما يُقال إنه ضُرِبَ وإنه أخذ، فإن كل هذه كانت بالجسد لأجلنا. وعلى وجه العموم فكل مثل هذه الأمور هي بالجسد لأجلنا. ولهذا السبب قال الرسول نفسه إن المسيح عندما تألم، لم يتألم بلاهوته بل "لأجلنا بالجسد". لكي لا تعتبر هذه الآلام خاصة بطبيعة **الكلمة** ذاتها، بل هي خاصة بطبيعة الجسد ذاتها، لذلك لا ينبغى أن يعثر أحد بسبب الأمور الإنسانية ...." [ضد الآريوسيين ٣ :٣٤].

الآلام الخلاصية :

يؤكد القديس أثناسيوس أن الإبن تألم لأجلنا ولأجل خلاصنا وشفائنا، إذ يقول: " إن **الكلمة** نفسه بالطبيعة هو غير قابل للتألم، ومع ذلك فبسبب الجسد الذي لبسه تقال عنه هذه الأمور، حيث أنها أمور خاصة بالجسد والجسد نفسه خاص بالمخلص، فبينما هو نفسه غير قابل للتألم بالطبيعة، ويظل كما هو دون أن تؤذيه هذه الآلام، بل بالحري إذ هو يوقفها ويلاشيها، فإن آلام البشر تتغير وتتلاشى في ذاك الذي هو غير متألم، وحينئذ يصير البشر أنفسهم غير متألمين وأحراراً من هذه الأوجاع إلى الأبد كما عَلَمَ يوحنا قائلاً: "وتعلمون أن ذاك أُظهر لكى يرفع خطايانا وليس فيه خطية" (١يو٣ :٥)] [ضد الآريوسيين٣ :٣٤].

خاتمة

كيف أقرأ الكتاب المقدس آبائياً ؟

إن تقليد التفسير الآبائي -كما يقول كريستوفر . أ. هول[١٠٠] - يمدنا بعدد من المبادئ التفسيرية التي من النافع للقارئ المعاصر أن يُلِّم بها :

١ـ أقرأ الكتاب ككل لا يتجزأ

إن الآباء يؤكدون على أن رواية الكتاب هي رواية مستمرة الأحداث، هي قصة وطيدة الصلة أجزاؤها ببعض من سفر التكوين حتى الرؤيا. وليس العهد القديم بمنقطع عن الجديد ولا بمنفصل عنه. بالحري فإن الموضوعات الأساسية التي يحتويها العهد القديم تتحقق وتكمل في البنية الروائية في العهد الجديد. إن الاستمرارية وكمال الأحداث وتتميمها تميز القصة الكاملة للكتاب. والأهم من ذلك كله، أن الآباء يؤكدون على أن الرواية الكتابية تبلغ ذروتها، وقمة كمالها بالتجسد الإلهي والصلب وقيامة ابن الله، **وفي الحقيقة فإن الأحداث التجسدية والخلاصية والاخروية للعهد الجديد تعمق وتؤكد شهادة العهد القديم نفسها**. وسوف نقرأ الكتاب بشكل لا فعالية فيه وغير صحيح . هكذا يحذرنا الآباء . إن نحن فشلنا في قراءة أجزاءه المنفردة على ضوء رسالته المتكاملة الموحدة والتي تبلغ قصدها ومنتهاها في الأحداث التي ذكرناها. وفيما له صدى لهذا الأمر، فإن الباحث روبرت. و. جينسون يؤكد:

" أن كل الكتاب بكل ما فيه من امتدادات وعمق وتنوع وأدبيات متباينة إنما نقرأها كحركة متتابعة متتالية لنفس القصة. لهذا مثلاً، فإن أهم مهمة للكارز الذي يدرس، على سبيل المثال: فصل من أمثال الرب، هي أن يسأل ما معنى أن يخبرنا

---

100 Christopher A. Hall , Reading Scripture with the Church Fathers,Inter Varisty Press 1998 by Christopher A. Hall, pp191-199

قد أخنا بتصرف هذه الخاتمه من هذا المرجع الأساسي

يسوع بهذا المثل، وأن الشخص الذي أخبرنا بهذا المثل هو الرب القائم رب الجميع وأن إسرائيل هم الذين سمعوا وآمنوا ولم يؤمنوا وأن الكنيسة هي التي تُعِيد إخبارنا بهذا المثل"[١٠١].

وليس أي من هذه الكلمات الأساسية: يسوع . إسرائيل . الكنيسة . يمكن تفسيرها بمعزل عن وضعها ومكانها في الرواية الكتابية حيث تبلغ ذروتها في السر مثلما يعرضها كُتّاب الوحي. فهي تستمد معانيها في إطار القصة ذاتها.

إذاً يتضمن علم التفسير أكثر من مجرد اكتشاف أو سبر أغوار قصد الكاتب. إن له مهمة أكبر وأشمل، مهمة قراءة النصوص ضمن الكتاب ككل وداخل البنية التي تحوي الموضوع الرئيسي. وهي في حقيقتها بنية تقوم على أساس خريستولوجي (الإيمان المستقيم بشخص وطبيعة المسيح). إن الخطأ في التفسير قد يحدث وهذا أمر لا مفر منه إذا كانت الأجزاء الأولى من النص قد تمت قراءتها بمعزل عن النصوص أو الإصحاحات الأخيرة للقصة.

إن المفسرين الغنوسيين مثل ماركيون مثلاً، كانوا يقرأون العهد الجديد بطريقة منحرفة ومضللة، لأنهم رفضوا أساس الرواية الكتابية الممتد في أعماق العهد القديم فلا يمكن فِهم العهد الجديد بمعزل عن القديم. ومن ثم فإن العهد الجديد بدوره يلقي بضوء جديد على القديم، فيخرج من جوفه جُدداً وعتقاً من كنوزه الدفينة في نصوصه. هكذا كما قال أستاذ العهد الجديد سافا أغوريدس، إن كتاب إسرائيل القديم حين يُفسر في المسيح يظهر كتاب إسرائيل الجديد[١٠٢].

٢- إقرأ الكتاب خريستولوجياً أي على ضوء الإيمان المستقيم بشخص وطبيعة عمل المسيح

كل الآباء يقرأون الكتاب من خلال منظور تجسد المسيح وصلبه وقيامته

---

[101] Robert W.Jenson , " Hermeneutics and the Life of the Church ", in reclaiming the Bible for the Church, ed. Braaten and Jenson,p.97

[١٠٢] سافا أغوريدس، مقدمة في العهد الجديد، إصدار غريغوري، الطبعة الثالثة ، أثينا ١٩٩١م، ص٥٩ (باللغة اليونانية)

وصعوده. وبإجماع الآراء "يتمسكون بأن العهد القديم بكامله وخاصة المزامير على وجه الدقة هو في مجمله خريستولوجي"(١٠٣) **مثلما يعلمنا القديس إيرينيوس:**

" إن كان المرء يقرأ الكتاب المقدسة باهتمام، فإنه سوف يجد هناك الكلمة حول شخص المسيح والتصور المسبق للدعوة الجديدة. إنه في الحقيقة ذلك الكنز الدفين المخبأ في الحقل، والحقل في الحقيقة هو العالم. ولكن في الحقيقة، فإن الكنز المخبأ في الكتب المقدسة هو المسيح. لأنه يشار إليه بالرموز والكلمات التي يستحيل فهمها بشرياً قبل تمام كل شيء وتحقيقه أي قبل مجيء المسيح" .(١٠٤)

أما القديس هيلاري أسقف بواتييه حوالي عام ٣٥٠م، فيرى المسيح وقد تم تصويره بالعديد من الصور في نصوص العهد القديم ومضمون معانيه وسياق أحداثه:

"كل جزء من الكتاب المقدس يُعلَّن من خلال الكلمات مجيء ربنا يسوع المسيح، ويكشف بالحقائق ويؤسس بالأمثلة لهذا المجيء... لأنه هو ربنا الذي من خلال الزمن الحاضر، ومن خلال أحداث لها دلالاتها ظاهرة وحقيقية، يلد ويطهر ويقدس ويختار ويفتدي الكنيسة في الآباء البطاركة، من خلال سُبات آدم وطوفان نوح وبركة ملكيصاداق وبِر إبراهيم وميلاد إسحق وأسر يعقوب"(١٠٥).

ولندرس هنا في التفسير التالي كيف يربط هيلاري معاً: خلقة آدم من التراب تراب الأرض، ورؤية حزقيال للعظام اليابسة التي عادت إلى الحياة وقيامة المسيح من الأموات:

"بعد أن خمدت آلامه وعند يقظة قيامته أدرك آدم السماوي في الكنيسة عظامة ولحمه التي لم تعد تتكون بعد من طين الأرض ولا عادت تحيا وتقوم بنسمة حياة، بل نمت عظاماً وأخذت جسداً واكتست لحماً من هذا الجسد ونمت وبلغت قامتها

---

103 Berrand de Margerie, Am Introduction to the History of Exegesis, vol.2, the Latin Fathers (Petersham, Mass: Saint Bedes Publications,1995),p.54

104 Iernaeus Adversus Haereses 4.26.1

105 St. Hilary Traite des Mysteres, I Pref., ed. Brisson, Sc 19 bis (Paris: Editions du Cerf, 1967), PP. 73-75.

بحلول الروح... لأن أولئك الذين هم في المسيح سيقومون حسب المسيح، الذين فيهم الآن أيضاً قيامة كل الجسد قد تمت، لأنه هو أيضاً مولود بحسب الجسد جسدنا بقوة الله، هو ذاته الذي ولده أبوه الآب قبل بدء الدهور" (١٠٦).

وعند الوهلة الأولى نجد أن العلاقات التي رسمها هيلاري مدهشة بعض الشيء. فحين يتذكر أن قراءة الكتاب تسير بإرشاد الركيزة الخريستولوجية الأساسية والأحداث الخلاصية، يظهر تفسيره حياً معاشاً وزاخراً بالبصيرة والرؤية الثاقبة حقاً، إن المطران تيمياديس يسأل: "ما الأمر الأكثر طبيعية من تفسير العهد القديم على ضوء الاستعلان المسيحي؟ لقد كان من الطبيعي لديهم أن يبحثوا في هذه الكتابات كيف كان المسيح حاضراً في كل صفحة باعتباره هو كمال المواعيد التي أعطاها الله لإسرائيل. وبالنسبة لهم، فإن المسيح يسوع كان المفتاح للدخول إلى العهد القديم"(١٠٧).

يمدنا الباحث برتراند دومرجوري بموجز معين لكيفية قراءة الآباء للعهد القديم قراءة جديدة على ضوء كماله في المسيح وللباحث دومرجوري تقنية أو أسلوب يُعرف باسم "تحديث القراءة من جديد" ضمن إطار تاريخي جديد. وهو يقسم تفسير الآباء للعهد القديم إلى الخطوات التالية:

١- المضمون الأصلي "قد يكون النص الكتابي قد تمت كتابته أصلاً بالإشارة إلى شخص ما، أو ملك أو نبي".

٢- الأقسام التالية من العهد القديم قد "أعادت تفسير" نص ما وصورته أنه نص ذو سمة أسخاتولوجية، أي أُخروية.

٣- التفسير اليهودي في زمن يسوع يدفع بالنص خطوة إلى الأمام نحو المفهوم الماسياني.

٤- ويسوع نفسه ربط النص بشخصه هو وعمله.

٥- ثم يعاد قراءة النص على ضوء معرفتنا بالقيامة.

106 Ibid, 105, SC 19.

107 Timiadis, Relevance of the Fathers, P. 56.

٦- ثم تقرأ الكنيسة النص كشارح لمزيد من الإضافات التي توضح شخص وعمل المسيح القائم من الأموات.

٧- إن كانت هناك حاجة إلى استعمال النص لأغراض دفاعية، فإن الكنيسة تفعل ذلك، خاصةً في جدلها مع المفسرين اليهود الذين فشلوا في رؤية العهد القديم متحققاً في المسيح.

٨ - وبما أن الكنيسة يُنظر هي استمرار لحضور المسيح على الأرض، باعتبارها جسد المسيح فإن النص سوف يُقرأ على ضوء علاقته بالكنيسة وجماعة المؤمنين فيها[١٠٨].

ومن الواضح، مثلما يشير الباحث دومرجوري أن بعض الخطوات قد تم إنجازها من قبل الآباء فالرسول بولس مثلاً كان قد قرأ فعلاً العديد من نصوص العهد القديم على ضوء التجسد والصلب وقيامة يسوع. إن الآباء في تفسيرهم قد أخذوا على عاتقهم دائماً إعادة قراءة النصوص الإلهية الموحى بها بالنسبة لنصوصهم الكتابية الأولى المبكرة[١٠٩].

٣- أقرأ الكتاب المقدس داخل الكنيسة جسد المسيح ومجتمع الشركة

أكد الآباء أن التفسير هو مهمة كنسية فهو يحدث في الكنيسة ولمنفعة الكنيسة. وهم يسألون هل يمكن أن تكون الأمور غير ذلك؟ إن الوعي بطبيعة الشركة للتفسير قد تم تسليط الضوء عليه بصفة خاصة في محيط الكنيسة الأولى، لأن الغنوسيون زعموا أنهم نالوا سر هذه الموهبة في الإعلان وفي التفسير كبصيرة لا يعرفها غيرهم.

وكان القديس إيرينيوس أكثر المعارضين للغنوسيين، قد رفض إمكانية هذا الزعم بالإعلان والتفسير السري لأن المعنى المقصود من شخص يسوع والرواية عنه التي أدت إلى مجيئه يمكن كشفها فقط وشرحها في داخل المجتمع الذي أسسها، ذلك المجتمع الذي يستمد وجوده الفعلي من الخطة والبنية التي يرويها الكتاب المقدس نفسه. ومثلما يشرح الباحث روبرت جنسون "أن الكنيسة هي التي تعرف خطة

108 De Margerie, Introduction to the History of Exegesis, 2:3.

109 Ibid.

وجودها وقيامها وتعرف شخوص ودراما الرواية الكتابية، فالكنيسة هي مجتمع متصل مع أبطال القصة ورواتها، مثلما هي مع كل كُتَّاب الوحي وجامعيه" (١١٠).

ومثلما تتأمل الكنيسة جيداً رسالة الإنجيل وعلاقتها برواية العهد القديم، فقد صاغت قاعدة الإيمان وهي نوع من الإيجاز الشديد لقلب الرسالة المسيحية، لتساعد أعضائها على فِهم قلب المعتقد المسيحي وليقرأوا الكتاب نفسه جيداً. ويبدو وكأن الآباء يملكون وعياً داخلياً بميل المؤمنين فرداً فرداً خاصة أولئك الذين هم صغار في الإيمان، والذين يرتبطون بالموضوعات الأساسية الأقل أهمية وبالموضوعات الثانوية، ولهذا حين لخصوا الإنجيل فيما يسمى بقاعدة الإيمان، فقد قصدوا التركيز على الثوابت الغير قابلة ولا خاضعة للتفاوض، وهي تلك الحقائق التي على كل المسيحيين الإيمان بها إن كانوا يريدون فعلاً وحقاً حمل اسم المسيح.

و بالتالي بالنسبة للآباء، عِلم وقواعد التفسير الكتابي ليس عِلماً موضوعياً، يمكن ممارسته بواسطة أي باحث داخل أي مضمون . بالحري **فإن علم التفسير الكتابي قد أصبح في المسيح عملاً روحياً يتسم بعمق الشركة والموهبة التفسيرية** ويمكن ممارسته بأمان وحكمة وفعالية فقط بواسطة أولئك الذين انغمرت عقولهم وقلوبهم وتشكلت بالإنجيل نفسه، **في داخل المجتمع الكنسي** مجتمع الشركة والتأمل والتكريس والعبادة وبحسب رأي برفارد تشايلدز:

" يعني هذا أن التفسير السليم لا يستوجب البدء أولاً بقراءة موضوعية خالصة أو حيادية يضاف إليها فيما بعد عنصر الإيمان بل بالحري ومنذ البداية ينال القارئ المسيحي نقطة خاصة من الاستعداد من خلالها يتماهى هو نفسه مع الإيمان الرسولي ويتوحد في انتظار كلمة جديدة من الله بالروح القدس" (١١١).

إن المفسرين الآباء قد أنجزوا مهمتهم في الكنيسة ولخير الكنيسة، وهي فكرة تبدو غريبة على أذهان العديد من الدارسين المعاصرين الذين يمارسون عملهم في الأكاديميات الدراسية، وأساساً لصالح هذه المحافل الدراسية الأكاديمية. لهذا،

---

110 Jensn, "Hermenevtics and the Life of the Church", PP. 97-98.

111 Childs, " on Reclaimming the Bible", P. 10.

كما يقول تشايلدز "فإن التحدي الذي يواجهونه بزعم أن ما يفعلونه هو لصالح الكنيسة يبدو مستحيلاً، خاصةً إذا كانت خطتهم الأكاديمية في الدراسة تسير في الاتجاه المعاكس تماماً"(١١٢).

٤ ــ أقرأ الكتاب ضمن حياة الصلاة والعبادة والممارسات الروحية :

إن الذين يقرأون الآباء لأول مرة يحتاجون إلى إدراك ما يمكن للآباء أن يقدموه لهم وما لا يمكن أن يقدموه في تفسيرهم للكتاب. إن للمفسرين الآباء أدوات قليلة لغوية وتاريخية ولاهوتية تتاح لهم في دراستهم للكتاب أقل كثيراً من تلك الأدوات التي توفرت للمفسرين المحدثين. إن الطلاب الذين يأتون إلى التفسير الآبائي ويتوقعون أن يصادفوا تفسيراً حديثاً سوف يتصرفون وقد أصابهم اليأس.

ومع ذلك يمدنا التفسير الآبائي بأساس لا غنى عنه وبعون حيوي بالغ للعديد من طرق التفسير الحديث. إن تأكيد الآباء على العلاقة بين الصحة الروحية، والحياة في الكنيسة، والتفسير لكُتَّاب الكنيسة يخزي الاتجاه والميل المعاصر لفصل الدراسة الكتابية عن الروحانية والعبادة. إن المطران تيمياديس يقر بحاجتنا إلى الدراسة النقدية الحديثة، لكنه يقول ويؤكد بشدة أن التفسير ليس هو الامتياز الوحيد للأكاديمي المعاصر.

إن للتفسير العديد من الملامح الأخرى ، فالآباء يساعدوننا بشكل كبير ومذهل في العثور على المقابل لهذا الفراغ والفقر الروحي الذي تعانيه معظم التفاسير الحديثة والتي تحت زعم الظهور في هيئة وشكل علمي ونقدي صارم وتاريخي مدقق تتجاوز وتهمل البُعد الأساسي لخلاصنا في الكتاب المقدس. إننا اليوم على بُعد عشرين قرناً من كُتَّاب العهد الجديد، لكن الآباء كانوا الأكثر قرباً منهم. وأكثر قرباً من الأحداث الجارية وأكثر قدرة وفهماً على اقتناص الروح الكامن خلف سجلات الكتاب" (١١٣).

إن قُرب الآباء تفسيرياً وتاريخياً من كنيسة العهد الجديد وتقليدها الرسولي يتطلب أن ننصت باهتمام لرؤاهم التفسيرية ونصحهم وبصيرتهم وحدسهم. إن الموسيقا التي

---

[112] Ibid, P. 17.

[113] Timiadis, Relevance of the Fathers, PP. 55-56.

يسمعونها كلما أنصتوا إلى كُتّاب الوحي الإلهي تختلف غالباً عن الأنغام والألحان التي يتمتع بها الدراسون المعاصرون. إنها تحوي ملاحظات ونماذج وهرمونيات متناغمة وحركات لا تسمعها الأذن الصماء الحديثة.

هم أكثر قدرة واعتياداً على إدراك واقتناص الأفكار الرئيسية وتحدي المعنى الحقيقي للموضوعات الأساسية للعهد الجديد أكثر من الكُتّاب المعاصرين المدربين في مدرسة البنيوية أو النقد العقلاني، حيث يأخذ تفكيرهم منحى مختلفاً في أمور بعيدة تحركها عقلية مختلفة تماماً. وبالطبع، فإننا لا نقترح استثناء التفسير النقدي، وليس هناك ضرر في قبول منهج ما كمدخل يقترب من الكتاب المقدس **لكن من الأهمية بمكان إدراك أن التفسير الآبائي يقدم لنا تصحيحاً لا غنى عنه، يحمل في طياته حدساً مستقيماً وفهماً عميقاً لمعنى النص الكتابي**[١١٤].

وتقريباً، فإن كل الآباء كانوا رعاة في الكنيسة، والعديد منهم كانوا أساقفة، وكقادة للكنيسة لم يتوفر لهم ترف الدراسة الكتابية الأكاديمية كتمرين أكاديمي. وقد تم وتحقق عملهم التفسيري في إطار تجهيز وتحضير العظات أو تعليم الموعوظين.

وكلما كانوا يقرأون نصاً كانوا يسألون أنفسهم، ما هي رسالة كلمة المسيح للكنيسة عندي في هذا الشأن؟ وكيف يمكن كراع لقطيعي أن أرعاه بفاعلية أكبر من خلال كرازتي ووعظي بهذا النص الذي يدعوني ويدعو شعبي إلى الإنصات إليه، وكيف يخاطب هذا النص قلبي وعقلي؟ وأين أو إلى أين دعوة هذا النص يقودني إلى الاستماع؟ أو إلى التغيير؟ أو إلى التوبة؟ أو إلى النمو الروحي؟

إن قلب الراعي الذي ينعكس في الأدب الآبائي ويبقى غنياً وثرياً ودفيناً لم يكشفه أحد بعد كحقل دفين على الرعاة والمعلمين سبر أغواره. ولأن الآباء كانوا مؤسسين جدداً على الرواية الكتابية ومضامينها، وتداعياتها للصحة الروحية. فقد رفضوا السماح لطلابهم أن يتعاملوا مع النصوص الكتابية بشكل مجرد كأمر مطلق، أو كمثير أو مُحَفِز عقلي لا علاقة له بالدعوة اليومية للاقتداء بالمسيح بالقول والفعل.

تأمل مثلاً، جهاد أغسطينوس مع الكتاب المقدس، وهو شاب صغير لا يزال

---

114 Ibid, P.56.

في مهد الإزدهار فكرياً. لقد أراد أن يدرس الكتاب ولكن وهو بعد بعيد عنه، وفي كتابه الشهير "اعترافاتي" يربط أغسطينوس موقفه الشكوكي نحو الكتاب المقدس بكبريائه: "لقد كانت (أي الكتب المقدسة) تتمتع بطبيعة النمو في الصغار. لكنني لم أحتمل فكرة أن أكون صغيراً، لقد كنت منتفخاً بالكبرياء، وكنت في نظر نفسي رجلاً كبيراً عظيماً" وفي عظة أخرى تالية يتذكر هذه النظرة المنحرفة كشاب صغير :

"أنا الذي يتحدث إليكم، كنت مخدوعاً في الماضي إذ وأنا بعد طفل، حاولت أن أطبق منهج النقد للكتب الإلهية بدلاً من أن أدرسها في تقوى وبسبب أخلاقي المنحلة، أغلقت كل حواسي عن الاقتراب من الرب... وفي كبريائي تجاسرت أن أطلب ما لا يمكن أن يطلبه الإنسان إلا إذا مارس الاتضاع أولاً" (١١٥)

ويلاحظ الباحث برتراند دومارجيري أيضاً في كتاب "الإيمان النافع والعامل" والمكتوب قبل "الاعترافات" بسنوات عدة، إن تجميع أغسطينوس لقراءة الكتاب المقدس بطريقة خاطئة ظل محفوراً في ذاكرته.

"نحن صفوة الشباب المفكر والباحثين النابهين العقلاء، لم نكن دائماً نفتح هذه الكتب دون البحث عن معلمين، دون حتى أن نتهم أنفسنا لغباوتنا وحتى دون أن نفهم ولو لأقل حد هؤلاء الرجال الذين أرادوا منذ زمن طويل لنا أن نقرأ وأن نفحص ونتعمق في عالمهم كله، وظننا أنهم غير جديرين بثقتنا فيهم. وكان هذا الرأي فينا بسبب كلمات أولئك الذين كانوا أعداءً وخصوماً لهم، لأناس كان من الأحرى بنا ألا نقدرهم ونؤمن بهم تحت الزعم الباطل والتظاهر بالتعقل والتفكير وهم يتسترون على آلاف الأكاذيب والخداع"(١١٦) .

وهناك رسالة كتبها إلى أسقفة فاليروس، كُتبت بعد رسامته بفترة وجيزة يكشف جيداً عن تحوله الدرامي في آرائه، لقد كان يقرأ الكتاب بوضوح وبعينين جديدتين وبموقف جديد، وتلاشى كبرياؤه وثقته بذاته:

"كان عليَّ أن أدرس كل علاجاتي في الكتب المقدسة وبالصلاة مع القراءة

[115] Augustine Sermo 51, 4-5 (PL 38, 336).

[116] Augustine De utilitale credenda 613.

حتى يهبني القوة الكافية على أداء مثل هذه الواجبات الصعبة، التي لا تقوى عليها نفسي. لم أكن أقوى على فعل ذلك من قبل. إذ كان يعوزني الوقت، لكن ما أن تمت رسامتي حتى عزمت أن أخصص كل وقت فراغي في دراسة الكتب المقدسة... فأعينوني... بصلواتكم ... أنا أعرف أن الرب لا يزدري بمحبة الصلوات في هذه الحالة، بل يقبلها كذبيحة حلوة وهو سوف يستعيدني في زمن أقل مما طلبت منه، متسلحاً بالمعرفة الخلاصية من الكتب المقدسة"(١١٧).

وحذر **أوريجينوس** أيضاً ضد المدخل المضلل للتفسير، خشية أن تتسبب الألفة مع الكتب المقدسة في زرع الكبرياء وتوالدة، الأمر الذي يشتت قدرة الإنسان على قراءة الكتاب جيداً. فلنحذر أيضاً ونحن قريبون دائماً من بئر الماء الحي... لهذا نحن في حاجة إلى دموع كثيرة وصلوات بلا انقطاع ليفتح الرب عيوننا. ويستمر أوريجينوس، قائلاً:

لكن لماذا استخدم هذا المجاز أعني فتح عيوننا؟ وهي مفتوحة أصلاً. لأن يسوع قد جاء ونزل ليفتح عين الأعمى ولينزع عنها برقع الناموس(١١٨)، ولنتأمل أيضاً نصح **جيروم** إلى راهب رستيكوس: "اجعل قلايتك فردوسك، وأجمع فيها كل ثمار الكتاب المقدس، ابتهج افرح بهذه الكتب المقدسة، وأنعم بالعلاقة الحميمة معها. لا ترفع يدك ولا عينيك أبداً عن كتابك، إدرس وتعلم مزامير كلمة كلمة، صَلِّ بلا انقطاع"(١١٩). تأملوا ملياً أيضاً مشورة جيروم إلى ألصق صديقين له: "إن كان هناك أي شيء، يا بولا ويا أستوخيوم، يمكنه هنا أن يحفظنا ويثبت نفوسنا متزنة راسخة، وسط اضطرابات وقلاقل هذا العالم، فإني اعتقد أنه أولاً وقبل كل شيء التأمل في معرفة الكتب المقدسة"(١٢٠).

ويعرض القديس **إمبروسيوس** أيضاً بصيرته العميقة عن العلاقة بين حالة قلبه وقدرته على قراءة الكتاب المقدس جيداً في الصلاة الموجودة بالقرب من تفسيره

---

[117] Augustine, Epistle 21 to Bishop Valerius, Par. 3ff, PL33,88.

[118] Origen Homily on Genesis 7.6.

[119] St. Jerome, Epistle 125, 7.3, 11.1.

[120] St. Jerome, Prologue to the Conentary on the Letter to the Ephesians, PL 26. 439.

لمزمور ١١٨، ١١٩ في السبعينية، إن الآية الأخيرة من المزمور هي صلاة للرب لطلب المرنم الذي تاه بعيداً "ظللت كشاه ضالة أطلب عبدك، لأني لم أنس وصاياك" (آية ١٧٦)، **ويصلي القديس إمبروسيوس كرد فعل:**

"تعال أيها الرب يسوع، لتطلب عبدك، لتبحث عن الغنمة الضالة. تعال أيها الراعي وأبحث عني مثلما بحث يوسف عن أخوته (تك ٣٧: ١٦)، لقد ضل خروفك بعيداً، بينما كنت تمكث في الجبال. أترك هناك التسعة والتسعين خروفاً وتعال أطلب الخروف الضال. تعال بدون الكلاب، بدون العمال الأردياء، بدون الأجراء الغرباء الذين لا يدخلون من الباب.

تعال دون أن يساعدك أحد أو يلاحظك أحد. لقد انتظرت وصولك طويلاً، أعرف أنك ستأتي لأنني لم أنس وصاياك، تعال ليس بسوط بل بمحبة ورقة قلب. تعال إليَّ لأنني متعب، ومضطرب من غارات الذئاب الضاربة، تعال إليَّ لأنني طُردت من الفردوس. لقد تهت بعيداً عن القطيع الذي يرعى على المرتفعات. لقد وضعتني هناك، لكن الذئب الذي كان يحوم ويعوي ليلاً أبعدني عن القطيع الرابض في الحظيرة. تعال وأطلبني واعتن بي لأنني أنا أيضاً أطلبك، أبحث عني، جدني، ضمني إليك، أحملني... فأنت تقدر أن تجد مَنْ تطلبه، وتحب أن ترحب بمن تجده، وأن تضعه على كتفيك، تعال بنفسك لتطلب خرافك وغنم مرعاتك، عِوض أن ترسل خدامك أو أجراءك يبحثون عني... أجذبني إليك في هذا الجسد الذي فشل في آدم، وأجذبني إليك ليس من سارة، بل من مريم، أحملني على صليبك الذي هو خلاص الهالكين والراحة الوحيدة للمبعثين، على صليبك الذي كل مَنْ يموت يحيا به من جديد"[١٢١].

وهذه الاقتباسات المطولة من أغسطينوس وأوريجينوس وجيروم وأمبروسيوس يمكن أن تساعدنا على أن ندخل بعمق أكثر إلى داخل قلوبهم... وربما بالإنصات إلى قلوبهم يمكننا أن نتعلم كيف نثق بهم، بل وأن نحبهم.

ويقترح الباحث مايكل كيزي أن إحدى طرق التغلب على مصاعب التواصل التي نختبرها عند لقائنا بالآباء هي أن نصبح منخرطين عاطفياً، مع أحد شخوص

[121] St. Anbrose, Expositio in Ps. 118, Serma 22.28 -30, PL 15, 1520-1521.

الكنيسة القديمة. وقد يؤدي بنا هنا إلى قراءة سيرة حياة يمكن أن تساعد على إحياء هذا الشخص. إن قراءة الرسائل هي طريقة أخرى لنعتاد على شخص ما ونتآلف معه[١٢٢].

122 Michael Casey, Sacred Reading: the Ancient Art of Lectio Divina (Liguori, Mo: Triumph Books, 1996), P. 113.

لقد إتبع القديس أثناسيوس خطًا جديدًا في التفسير مقارنةً بكليمنضس وأوريجينوس. فالتفسير الكتابي بحسب القديس أثناسيوس يرتبط إرتباطًا جوهريًا بحدث تجسد كلمة الله، الذي "يفسر" ويُعلِن خطة الله الأزلية للإنسان. التجسد يُظهِر "هدف" الإرادة الإلهية التي صارت حدث تاريخي. هذا الهدف هو دائمًا محتوى الكتاب المقدس الأساسي وهو مطلب التفسير الكتابي الأرثوذكسي. هذا الهدف هو بداية التفسير والقائد له.

يُطلب هذا الكتاب من :

- جذور للتوزيع تليفون: ٢٦٣٣ ٨١٣٧
- georgeibrahim2257@yahoo.com

سعر النسخة

٢٨,٠٠ جنيه